السلفية عقيدة ومنهج
متلازمان

تأليف / أبي محمد عبدالله السيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد

فإننا في هذا الزمان الذي كثرت فيه المناهج الاعتقادية والمناهج الدعوية بل والمناهج السلوكية كان لزاماً أن نميز المنهج الصحيح من بين هذه المناهج في كل الاتجاهات سواء كانت في العقيدة أو في السلوك أو في الدعوة ولعل السلف الصالح كانت اهتماماتهم أن يدونوا أساسيات هذا المنهج حتى لا يختلط الحق بغيره ولكن جاءت الأزمان التي يختلط فيها الحق بغيره فيتكلم الخوارج بلسان أهل السنة والجماعة ويتكلم الأشاعرة بلسان أهل السنة والجماعة ويتكلم ويتكلم..... فاختلطت الأوراق فكان لا بد من البيان فهذا الكتاب الذي بين يديك مع صغر حجمه وقلة أوراقه بالنسبة لموضوعه إلا أنه يحتوي على ما يحتاجه المسلمون اليوم لجمع شتات ما تفرق حتى يعود المسلمون إلى رشدهم بعد أن فقدوا المنهج الصحيح إلا من رحم الله عز وجل وهنا لا بد من التفريق بين أمرين حتى لا يحدث خلط في الفهم

١ – هناك عصمة المنهج

٢ – عصمة الأشخاص

فالمنهج معصوم وذلك بأدلة من الكتاب والسنة أما الأشخاص فليسوا بمعصومين وليس هناك في الأمة معصوم بعد رسول الله ﷺ أما أدلة عصمة المنهج فمنها قوله تعالى

﴿ ومَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء]

والشاهد من هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل قال: { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ } إذا سبيل المؤمنين قد رضيه الله للإتباع ولا يرضى الله إلا ما كان حقا يرضيه ويرضى عنه وأيضا قوله تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }

ووجه الاستدلال أن منهج الأمة الوسط التي يحبها الله ويرتضيها شاهدة على منهج لا يتطرق إليه الخطأ ولا الضلال ومنه أيضاً قوله تعالى { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ }

قال: شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ج١٣ صفحة ٣١٦

وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] الأعراف ١٥٧

فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ولم تنكر المنكر وتنهى عنه.

أما من السنة المطهرة ما رواه ابن ماجة من حديث أنس بن مالك قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ * (رواه ابن ماجه) حسن لغيره

وما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ فَلَا حُجَّةَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ مَاتَ مُفَارِقًا لِلْجَمَاعَةِ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً * (رواه أحمد)

أما الأشخاص فالأمر كما قال: الإمام مالك رضي الله عنه كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

فمن فهم ذلك علم أن منهج أهل السنة والجماعة منهج معصوم دون حاملي هذا المنهج بأعيانهم ولذلك كانت الفكرة في إخراج هذا الكتاب الذي يحمل أسس هذا المنهج في نقاط تحتاج إلى البيان والتوضيح وخاصة أن ذكر المنهج دون ذكر الأدلة لا يمثل قيمة في هذا الدين القويم الذي يقوم على الدليل - قال: الله قال: رسول الله ﷺ.

فأرجو من الله التوفيق والقبول إنه الموفق والهادي إلى سواء السبيل فما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من زلل فمني ومن الشيطان ونسأل الله العفو والعافية والرضا والقبول.

كتبه أبو محمد

عبد الله بن عبد الحليم بن محمد السيسي

وكل شيء يبدأ باسم الله وحمده تعالى فإنما هو الأصل عند المسلمين أن يبدءوا كل شيء بذكر الله. وصفة المؤمنين أنهم يحمدون الله في الدنيا وفي الآخرة وعلى ذلك أدلة كثيرة منها.

قوله تعالى:

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[الزمر]

وبادئ ذي بدء نقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وكل شيء يبدأ بسم الله فإنه من فضائل شرعنا كما قال: الله لنبيه { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ثم نثني بالحمد لله فإن الله افتتح القرآن أعظم كتاب في السماوات وفي الأرض بقوله { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ[1] الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

والكتاب الذي بين أيدينا يبين لنا مسائل الاعتقاد الصحيح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يتعلق به من النفخ في الصور والبعث والحشر والصراط والميزان والحوض والحساب والجزاء ودخول الجنة والنار والإيمان بالقدر خيره وشره وما يتعلق منه بالقدر الكوني

وما يتعلق بالقدر الشرعي وكل هذا يحتاج إلى معرفة المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه للوصول إلى هذه العقيدة الشاملة.

والحق أننا في حاجة إلى سرد العقيدة الصحيحة بأدلتها الشرعية الصحيحة من الكتاب والسنة الصحيحة لتنقية عقائدنا مما شابها سواء كان ذلك من خلال الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي بنى الناس - ممن لا علم عندهم - أحكاما وعقائد عليها - والحديث الضعيف أو الموضوع لا يبنى عليه أحكام ولا عقائد – وأيضا الخرافات التي انتشرت بين الناس بسبب الجهل أو القُصَّاص أوالوعاظ الذين لا دين لهم إلا إرضاء الناس ومدح الناس لهم.

وقبل أن نبدأ في سرد تفاصيل هذه العقيدة وهذا المنهج ما كان منها إجمالا ثم يليه التفصيل أو تفصيلا ثم يليه الإجمال. أريد أن نقف أنا وأنت أخي القارئ على بعض النصوص من آيات القرآن وقفة تأمل وتفكر وتدبر بكل كيانك العقلي والذهني والوجداني فإني أخاطب فيك قلبا خفاقا حيا ينبض بفضل الله ونعمته علي وعليك وعلى الناس ومن هذه الآيات ما يأتي.

مقارنة وموازنة وتأملات

قوله { أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الملك:٢٢]

وقوله { أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الزمر:٢٢]

وقوله { أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى } [الرعد:١٩]

وقوله { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ } [السجدة:١٨]

وقوله { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا } [فصلت:٤٦]

وقوله { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } [غافر:٤٠]

ثم اعلم أن بينات ربك هي سلاحك ضد كل عدو.

قوله { أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ } [محمد:١٤]

وقوله { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحديد:٢٥]

وقوله { فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } [غافر:٨٣]

وقوله { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحديد:٩]

وعلينا أن نحذر من تزيين الشيطان للأعمال المخالفة لمنهج الله ورسوله

قوله { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } [فاطر:٨]

وقوله { تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النحل:٦٣]

وقوله { وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل:٢٤]

وليعلم كل مسلم أن الاختبار دائما يكون بالرسل وكلام الرسل

قوله { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [غافر:٢٢]

وقوله { ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [التغابن: ٦]

وقوله { قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر:٥٠]

وقوله { وَقَال: لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [الزمر:٧١]

ولنكن على يقين أن أمتنا أمة واحدة وأن التفرق إنما هو صفة من صفات المشركين

قوله { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة:١٢٨]

وقوله { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } [البقرة:١٤٣]

وقوله { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين } [البقرة:٢١٣]

وقوله { وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل:٩٣]

وقوله { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [يونس:١٩]

وقوله { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود:١١٩]

وقوله { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء:٩٢]

وقوله { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [المؤمنون:٥٢]

وقوله { وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [الشورى:٨]

ولذلك جاء النهي الصريح عن التفرق إلى أحزاب وشيع وجماعات

قوله { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران:١٠٣]

وقوله { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران:١٠٥]

وقوله { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } [الأنعام:١٥٩]

وقوله { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم:٣٢]

من أجل ذلك بين الله لنا أنه لا هداية إلا بالوحي لأنه كفانا به

قوله { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر:٣٦]

وقوله { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف:٤٤]

وقوله { قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } [سبأ:٥٠]

وقوله { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [سبأ:٦]

وعليه فإن مخالفة منهج رسول الله ﷺ في الأمر والنهي لا تجوز بل هي من الضلال المبين.

قوله { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [النور:٥١]

وقوله { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [الشورى:١٠]

وقوله { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [الأحزاب:٣٦]

وقوله { لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور:٦٣]

وقوله { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً } [الجاثية:١٩]

وقوله { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [الجاثية:٢٣]

وكل من لم يستجب للمنهج فعليه أن يراجع نفسه وليصلح عقيدته

قوله { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران:٣١]

وقوله { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء:١١٥]

وقوله { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[القصص:٥٠]

وقوله { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } [العنكبوت:٢]

وقوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت:١٠]

ولنأخذ هذه الكلمات ونضعها نصب أعيننا

١- التوحيد ونفي الشرك شرط لدخول الجنة وشرط لقبول الأعمال.

٢- بالأعمال تتفاوت الدرجات في الجنة.

<u>والدليل على ذلك</u>

قوله تعالى { حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج:٣١]

وقوله { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } [النساء:١١٦]

وقوله { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر:٦٥]

وقوله ﷺ فيما رواه البخاري بسنده من حديث

أَبي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:" أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى، قال: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى "

وقوله ﷺ فيما رواه الترمذي وأبو داود والنسائي من حديث

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:" يُقال: لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا "

وقوله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث

أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ". قالوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: " وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ " وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ.

من هم خير هذه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ ؟

وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان هكذا روي لنا عن ابن عمر قال: كنا نقول ورسول الله بين أظهرنا إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ويسمع بذلك النبي ﷺ فلا ينكره وذل ك كما روى البخاري من حديث عبدالله ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال:" كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ ".تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن عامر بن الجراح وكلهم يصلح للخلافه ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الأول الذي بعث فيهم المهاجرون الأولون والأنصار وهم من صلى إلى القبلتين نترحم عليهم ونذكر فضلهم ونكف عن زللهم ولا نذكرهم إلا بالخير لقول رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا (قلت أي عبدالله: وهو حديث ضعيف) وقال: سفيان بن عيينة من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى (نقلا من شرح السنة للبربهاري)

الصحابة هم أول جماعة المسلمين في هذه الأمة الممتدة إلى آخر الزمان

إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أساس الجماعة المسلمة في هذه الأمة الممتدة إلى آخر الزمان وإنهم أهل السنة لأنهم العاملون بها وهم الذين قال: الله فيهم { رضي الله عنهم ورضوا عنه } فكان

لزاما أن يكونوا هم الأساس الذي تبنى عليه جماعة المسلمين وما دام الله قد عدلهم من فوق سبع سماوات فهم إجمالا على الحق ولا يتطرق إلهم باب من أبواب الضلال وإن كانوا بأفرادهم ليسوا بمعصومين كما قررنا في المقدمة أن المنهج معصوم أما الأفراد فليسوا بمعصومين فمن لم يكن لفهمه أصل عندهم فليس فهمه بصواب ومن لم يكن له دليل قد وصله من طريقهم فليس ذلك بدليل لأنهم كانوا حاملي أمانة الدين ووصوله إلينا.

الواجب على المسلم تجاه الصحابة وأهل البيت وعلماء السلف.

أولا: الواجب على المؤمن تجاه الصحابة

١ – سلامة القلب واللسان لهم لقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر]

٢ – نثبت لهم ما أثبته الشرع من الفضل لقوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُم أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ولله مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُم مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوَلِئَك أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾ [الحديد]

٣ – نمسك عما شجر بين الصحابة. وما ذكر من آثار في ذلك منها ما هو كذب أو زيد فيه أو نقص منه.

٤ – عدم دعوى العصمة لهم أو لأحدهم

أمور متعلقة بالصحابة

من هو الصحابي؟

الصحابي هو من اجتمع بالنبي ﷺ وهو مسلم ومات على الإسلام وإن تخلله ردة على الصحيح

منزلة الصحابة عند أهل السنة

وجوب محبتهم جميعا ووضعهم في منازلهم دون تفريط أو إفراط لأن الله تعالى قال:

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } التوبة ١٠٠

أما عند الغلاة من الرافضة كره وبغض عموم الصحابة والإفراط في حب آل البيت والمغالاة في ذلك.

أما عند النواصب من الخوارج فهم يرفعون شعار مناصبة أهل البيت العداء.

الدليل على فضل الصحابة

١ - من القرآن

قوله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ﴾ [الفتح : ٢٩] وقوله سبحانه ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُم فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨]

٢ - من السنة

حديث النبي ﷺ الذي عند البخاري بسنده من حديث

عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قال: عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ * [رواه البخاري : ٣٦٥.]

تنبيه: ليس في السنة لفظ لهذا الحديث يقول { خير القرون قرني } ولكن الثابت { خير أمتي قرني، خير الناس قرني } والفرق في المعنى كبير لأن خير أمتي أو خير الناس الخيرية متعلقة بالمؤمنين في قرن النبي ﷺ أما خير القرون فالخيرية متعلقة بالزمان وهذا غير مقصود والله أعلم

وحديث النبي ﷺ الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وهذا لفظ الترمذي من حديث جابر قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وهو كما قال:

ما المراد بالسابقين من الصحابة؟

المراد بالسابقين من الصحابة إما :

١ – من صلى إلى القبلتين ٢ – من أسلم قبل الفتح

ما حكم التجاوز في حب الصحابة ؟

يجب عدم التجاوز في حب الصحابة لأنه سيتبع ذلك غلو وقد قال: الله تعالى محذرا أهل الكتاب وهو تحذير لنا ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيل ﴾ [المائدة ٧٧].

ما هي الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الغلاة من الرافضة ؟

١ – قالت اليهود خير ملتنا أصحاب موسى. فصدقوا.

٢ – قالت النصارى خير ملتنا أصحاب عيسى. فصدقوا.

٣ – قالت الرافضة شر ملتنا أصحاب محمد إلا ما استثنوا. فكذبوا.

ما معنى قول غلاة الرافضة لا ولاء ولا براء ؟

[أي لا تتم موالاة أهل البيت إلا بالتبرؤ من أبي بكر وعمر وسب ولعن بعض الصحابة وأولهم أمهات المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم جميعا]

وهنا نقرر قاعدة قرآنية وهي:

أن من لم يرض أن تكون عائشة أمه فليس من المسلمين أصلا وذلك لقول الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ {الأحزاب:٦}

ولقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس قال:

" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ " [البخاري: ٥٢٢٥]

ما هو الواجب على المسلم تجاه أهل البيت ؟

١- محبتهم والحفاظ على وصية رسول الله ﷺ فيهم.

وذلك لما رواه البخاري في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ:" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ. [البخاري: ٣٦٧٣]

٢ – أزواج النبي ﷺ من آل البيت وأمهات المؤمنين.

ودليل ذلك قول الله تعالي في سورة الأحزاب :

﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ {الأحزاب:٣٢،٣٣}

وهناك شبهة لابن حزم في مرتبة نساء النبي ﷺ حيث قال: ابن حزم

إن أزواج النبي ﷺ أفضل من العشرة حيث إن أزواجه في درجته ﷺ ودرجته ﷺ أعلى من العشرة.

- الرد على شبهة ابن حزم

١ – إنه يلزم من ذلك أن أزواج النبي ﷺ أفضل من غير محمد ﷺ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا لا يليق بمقام الأنبياء والرسل.

٢ – أن النبي ﷺ قال: كما عند البخاري

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ * [ورواه: أحمد،الترمذي وابن ماجة وهو في صحيح الجامع : ٤٥٧٨]

٣ – أن الحديث فضل عائشة على النساء ولم يفضلها على الرجال.

٤ – هذا القول لم يقله إلا ابن حزم.

٥- قول علي رضي الله عنه خير هذه الأمة بعد الأنبياء أبو بكر وعمر.

تنبيه:

هناك لفظ لهذا الحديث مشهور من قول النبي ﷺ (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أربع وذكر فيه فاطمة) وسمعته من بعض المشاهير ويعزوه إلى الصحيحين وهذا خطأ لأن رواية الصحيحين هي كما ذكرناها آنفا ولكن بعد البحث عن هذا اللفظ وجدته في كتاب [الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لعبدالرحمن بن عساكر] يقول:

- أَخْبَرَنَا عَمِّي الْحَافِظُ، أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّاوِيُّ، أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ، أَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجَلُودِيُّ، أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ، نَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، نَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، نَا حَفْصُ بْنُ غَيَّاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قالت : مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قالت : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ : " أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ "، قالت : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ : خَدِيجَةُ؟ فَقال: " إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا ".هَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَحَفْصٌ أَبُو عُمَرَ بْنُ غَيَّاثِ بْنِ طَلْقِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ كُوفِيٌّ قَاضِيهَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَهُ فِي الصَّحِيحِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ هَذَا مَا وَقَعَ إِلَيَّ فِي فَضْلِهَا مُسْنَدًا.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ رُزَيْنٍ فِي مَجْمُوعِ الصِّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: " كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ".وَلَا خَفَاءَ بِمُسَاعَدَتِهَا النَّبِيَّ ﷺ وَتَثْبِيتِهَا لَهُ عِنْدَمَا بَدَأَ الْوَحْيُ إِلَيْهِ وَشَفَقَتِهَا عَلَيْهِ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَضِيَ عَنْهَا

وهذه الزيادة التي رواها ابن رزين لا شاهد لها في أي كتاب من كتب الحديث والثابت الصحيح ما رواه البخاري وغيره دون زيادة ابن رزين

ما الواجب علينا تجاه السلف ؟

ويجب أولا : التعريف بالسلف لأن السلف أصناف كثيرة منهم المؤمن الموحد ومنهم أهل الكتاب ومنهم المشركون والكفار ومنهم الملاحدة لأن السلف هو كل من مضى (وهذا هو المعنى اللغوي)
ولذلك كان الواجب علينا أن نحدد ما هو المقصود بالسلف شرعا ؟ لنعرف المنهج والسبيل الصحيح الذي يجب علينا اتباعه

من هم السلف؟

المراد بهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان (على نفس المنهج النبوي) من العلماء المتقدمين دون من رمي ببدعة.

وهل السلف جماعة؟

نعم هم جماعة المسلمين الأم التي قائدها وأميرها وأسوتها وقدوتها رسول الله ﷺ فكل من اتصف بصفة التمسك بمنهج رسول الله ﷺ عقيدة وشريعة وأخلاقا ومعاملة وسلوكا ومنهجا فهو سلفي.

والدليل على هذا الوصف ما رواه البخاري فقال:

- حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا فِرَاسٌ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، قالت : إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام تَمْشِي لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا : أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ، قالت: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَّا أَخْبَرْتِنِي.قالت : أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قالت : أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، " فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قالت : فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ "

فقول النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ يدلنا على أن النبي ﷺ سلف لمن بعده (ممن آمن به واتبع هداه) في كل أمور الدين عقيدة وشريعة وأخلاقا ومعاملة وسلوكا ومنهجا ولذلك نتشرف بالانتساب إلى نبينا فنحن سلفيون عقيدة وشريعة وأخلاقا ومعاملة وسلوكا ومنهجا.أما التحزب في أمر الدين فهو ممنوع شرعا وسيأتي تفصيل ذلك قريبا إن شاء الله.

أصناف علماء السلف

وهم علماء القرون الثلاثة الأولى أي من بداية الهجرة إلى سنة ٣٠٠ هجرية وما بعد ذلك فهم من أتباع السلف

١ – رواة الحديث ٢ - علماء أصول الدين

٣ – الفقهاء علماء الفروع ٤ – أئمة القرآن والمفسرون بالأثر

٥ – أئمة النحو والأدب واللغة [المتدينون منهم]

٦- علماء إحاطة [أحاطوا بالشريعة حديثا وفقها وتفسيرا ونحوا وأدبا [كابن تيمية].

- ويجب هنا أن نقرر أن الفرق التي تنتسب إلى الإسلام ليسوا كلهم من السلف الصالح لأن الخوارج والمعتزلة والأشاعرة والشيعة والصوفية والجهمية والمرجئة كل هؤلاء ليسوا من السلف الصالح من الناحية الشرعية وإن كان ينطبق عليهم أنهم سلف من الناحية اللغوية لأن السلف لغة كل من مضى.

موقف أهل السنة من السلف الصالح.

وجوب محبتهم وموالاتهم وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ﴾ [النساء : ١٥].

وقال تعالى مبينا منهج السابقين واللاحقين

{ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر:٩]

هذا بيان لفعل الأنصار مع المهاجرين وقد وصفهم الله عز وجل بالإيمان ثم بين سبحانه الذين جاءوا من بعدهم فقال:

{ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر:١٠]

وانظر الرابط بين قوله { وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ } وقوله { وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ }

موقف المعتزلة والأشاعرة من السلف الصالح

١ – المعتزلة كثير منهم يطعنون في علماء السلف ويفسقونهم

٢ – الأشاعرة تارة يقدمون قول السلف وتارة يقدمون رأي الخلف وتارة يقولون رأي السلف وطريقتهم أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. [وهذا القول مجانب للصواب]

وكل الفرق خطرها كبير على المسلمين فمنهم من كان خطره من جهة العقيدة ومنهم من كان خطره من جهة المنهج فالخوارج خطرهم الأكبر في المنهج أما الشيعة الرافضة فخطرهم الأكبر في العقيدة والمنهج أيضا ولذلك كان لابد من بيان.

*من هم الشيعة؟ ومتى نشئوا ؟

إن النبي ﷺ بعث من قبل ربه ليجمع الناس على قلب رجل واحد ويميز بين المؤمن وغير المؤمن فتميز الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فمن آمن به كان من أهل الجنة ومن كفر به كان من أهل السعير.

ثم لما قضي أجل النبي ﷺ وتولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه ارتد بعض العرب عن الدين كلية وفريق آخر امتنع عن إعطاء الزكاة للإمام ولم يجحد فرضيتها عندئذ قام أبو بكر رضي الله عنه بمقاتلة هؤلاء جميعا وقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاه كما روى البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ" لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ، أَنَّهُ الْحَقُّ "

وسميت بحرب المرتدين فقتل منهم من قتل وتاب منهم من تاب ودانت الأمة كلها لخليفة المسلمين أبو بكر رضي الله عنه والذي استمرت خلافته لمدة عامين ثم توفي أبو بكر وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب فنشر العدل حتى قيل حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر وامتدت خلافة عمر اثنا عشر عاما ثم قتل عمر وظهرت الفتن في ديار المسلمين كما أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الذي

رواه البخاري في صحيحه من حديث حُذَيْفَةَ، يَقُولُ : بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ، إِذْ قَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟، قَالَ : " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ : لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ عُمَرُ : أَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟، قَالَ : بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ عُمَرُ : إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْتُ : أَجَلْ، قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟، قَالَ : نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ : مَنِ الْبَابُ؟، قَالَ : عُمَرُ "

فبمقتل عمر فتح باب الفتن كما أخبر رسول الله ﷺ

ثم تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة، قَالَتْ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ : وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ : أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ " والملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فرجل مثل عثمان تستحي منه الملائكة ويستحي منه النبي ﷺ ماذا يكون قدره عند ربه سبحانه؟ إنها مكانة عظيمة لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه وفي عهد عثمان اتسعت رقعة الدولة الإسلامية جدا وولى عثمان رضي الله عنه الولاة على المدن ولكن فئة من الناس قالوا إن عثمان يولي أقرباءه ومعارفه فقاموا وخرجوا عليه وثاروا حتى ذهبوا إلى بيته وحاصروه لمدة شهر كامل وعثمان محبوس في داخل بيته يصلي ويقرأ القرآن وهم يحاصرون بيته حتى إن بعض الصحابه يريد أن يدافع عن عثمان ولكن عثمان يأبى ذلك حتى لا يحدث قتال بين المسلمين حقنا لدمائهم ولكن بعد شهر من الحصار يدخل المحاصرون مقتحمين بيته ويقتلونه حتى يخالط دمه أوراق المصحف الذي كان يقرأ فيه وقد كانت هذه بشرى رسول الله لعثمان عندما قال في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ

حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ". فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ". فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي : " افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ "، فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ "

ثم بايع الناس علي بن أبي طالب فأصبح أميرا للمؤمنين وخليفتهم وهنا تطفوا على السطح مشكلة يتناولها الناس بالتفسير الخاطئ الذي يقدح في الصحابيين الجليلين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعا

ولكنها لو فهمت فهما صحيحا لزال الإشكال وأصبح الأمر هينا وبيانه كالتالي

إن عثمان بن عفان من بني أمية ومعاوية بن أبي سفيان من بني أمية فقام معاوية يطالب الخليفة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالقصاص من قتلة عثمان فمعاوية من أولياء عثمان ومن حق الأولياء المطالبة بدم قتيلهم ممن بيده السلطان فمعاويه يطالب بحق ويطلبه ممن يجب أن يطلب منه ولكن قتل عثمان كان فتنة كبيرة لأن الثوار الذين حاصروا بيته كانوا كثيرين وعلي رضي الله عنه رأى أن الأمر يحتاج إلى بعض الوقت لحين استقرار وهدوء الأمر ولكن معاوية رأى أن القصاص لابد وأن يكون عاجلا فاختلف الصحابيان في أمر اجتهادي ولكنهما متفقان على وجوب القصاص لعثمان من قتلته فدارت بين الفريقين الحرب من أجل هذا الأمر ولكن للأسف الشديد نجد أن كثيرا من أصحاب الأهواء والأغراض يصورون أمر هذين الصحابيين على أنهما يتشاجران على الخلافة والملك والسلطان وأنهم غرتهم الدنيا وتركوا الدين جانبا وهذا تصوير باطل والأمر في حقيقته كما ذكرنا والأصل أن نمسك عما حدث بين الصحابة ولا نتكلم فيه إلا من قبيل البيان لمن عرضت عليه شبهة أو الرد على شبه المغرضين ونذكر صحابة النبي ﷺ جميعا بالخير ومن هذا القبيل أذكر القصة للبيان فقط وإزالة الشبهة

ففي هذه الفتنة العظيمة انقسم الناس إلى

١- معتزل للفتنه ٢ – مؤيد لعلي ٣- مؤيد لمعاوية

- أما الذين اعتزلوا فإنهم رأوا أن الأمر فيه غموض فآثروا العزلة وعدم الدخول في القتال بين فريقين مسلمين حتى لا تنالهم حرمة الدماء

- وأما الذين أيدوا عليا فإنهم رأوا أنه الخليفة الذي بايعه الناس والأمر إليه في تقدير الأمور وكيفية تنفيذها ومن هنا أيدوه ونصروه ووقفوا معه مدافعين عن حق يعتقدونه وليس ذلك من قبيل العصبية ولا المجاملة

- وأما الذين أيدوا معاوية فإنهم رأوا أنه يطالب بحق وهو القصاص من قتلة عثمان فأيدوه وناصروه ولم يكن ذلك لعصبية ولا لمجاملة ولا هوى ولكن عندما لجأ الفريقان للتحكيم والصلح ظهر

فريق رابع ألا وهم الخوارج الذين عابوا على علي في مسألة قبول التحكيم على اعتبار أن عليا حَكَّمَ الرجال في هذا الأمر والله تعالى يقول (إن الحكم إلا لله) وهذا قول الله وكلام الله حق ولكنهم قالوا الآية ولم يدركوا معناها كما فهمها صحابة رسول الله ﷺ ولذلك خرج إليهم عبدالله بن عباس وقال لهم ماذا تنكرون على أمير المؤمنين فقالوا له أنه حكم رجالا وترك حكم الله والله يقول :" إن الحكم إلا لله"

فقال لهم إن الله حكم الرجال وذلك في القرآن ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً } [النساء:٣٥] فها هو الله حكم الرجال بين المرأة وزوجها إن خافت من الشقاق بينها وبين بعلها ثم قال :" إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا " وهنا يكون أمر الله ليس ما يقضي به الحكمان لأن الحكمين مجتهدان فيحتمل الإصابة ويحتمل الخطأ ولكن أمر الله تعالى أن نحكم حكما من أهله وحكما من أهلها هذا هو حكم الله وقال تعالى أيضا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [المائدة:٩٥] عندئذ رجع عدد منهم وتاب إلى الله تعالى

أما الذين أيدوا عليا فمنهم من ثبت على الحق ومنهم فريق آخر وقع في فتنة شديدة قام بها رجل يهودي دخل في الإسلام ليبث الفتنة في قلوب الناس وفي عقولهم في هذا التوقيت وهذا دأبهم إلى يومنا هذا فبدأ يتكلم عن فضل علي ومكانة علي مادحا فيه مغال في مدحه وتبعه جمع من الناس على ذلك عندئذ لما علم علي بهذا الفريق من الناس فلم يرض بما قالوا لأنهم قالوا علي هو الله فحفر علي رضي الله عنه الأخاديد وأوقد فيها النار وقذفهم فيها لعظم الفرية التي قالوها وخالفه بعض الصحابة في مسألة التحريق ومنهم عبدالله بن عباس فتوقف علي رضي الله عنه عن تحريقهم ولكن فر منهم من فر واختبئوا فترة من الزمن وعند مقتل علي رضي الله عنه افتروا فرية أحرى وقالوا كما قال القرآن في عيسى ابن مريم بل رفعه الله إليه ولكنهم لم يقولوا رفعه بل قالوا رفع إلى السماء وسينزل آخر الزمان لينتقم من أعداءه وأشاعوا الفتنة في ديار المسلمين وبعد مقتل علي رضي الله عنه تولى الحسن بن علي الخلافة وبعد وقت قصير تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه وعن أبيه وعن كل صحابة النبي ﷺ أجمعين مصداقا لقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ " ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "

والله تعالى يقول {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات:٩] ثم أتبع ذلك بقوله { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات:١٠]

- إن الشيعة قوم وضعوا عقولهم تحت أقدامهم فإذا أرادوا أن يفهموا شيئا من أمور الدين قلبوه أولا حتى يفهموه وهم في ذلك يشبهون اليهود عندما أمرهم الله أن يقولوا حطه فغيروا وبدلوا وقالوا "حنطه" جهلا وعنادا واستكبارا فإذا بالشيعة يركبون نفس الموجه في الجهل والعناد والإستكبار بل ويتهمون الله عز وجل بالجهل والنسيان والندم والتراجع بعد الإقرار فيما يسمى في مبادئهم وعقيدتهم بعقيدة "البداء" ولذلك فإننا في حاجة إلى أن نسرد بعض عقائد الشيعة حتى نحذر من نشرها بين المسلمين في مصر خصوصا وفي بلاد المسلمين عموما وقد أصبح التشيع واقعا على أرض مصر لا شك فيه ولا مراء إلا لأعمى وأصم وقد كان العلماء وما زالوا

يحذرون من هذا الأمر الخبيث وقد كان النظام السابق يقطع العلاقات معهم بأي صورة من الصور وإن كان ذلك ليس من منطلق الحفاظ على الدين والسنة ولكن كان ذلك لأمور سياسية لكنها في نهاية الأمر كانت تصب في مصلحة الدين أما ما كان يحدث من بعض الجهات والهيئات الرسميه التي ترعى مسألة التقريب بين المذاهب فإن هذا كان من أشد أنواع البلاء الذي وقع وأحدق بديار المسلمين وخاصة أن السنة هي السائدة على ما أصابها من بعض الوهن والضعف في معتنقيها إلا أن المرجع إليها في نهاية الأمر لكن ابتلانا الله بقوم لا يدرون عاقبة ما يقولون وما يفعلون وما يدعون إليه من مسألة التقريب بين السنة والشيعة ظنا منهم أنه يمكن التلاقي بين من يترضى على الصحابة وبين من يكفرهم ويلعنهم وبين من يقر بالرسالة للنبي ﷺ وبين من يعتقد أن الرسالة كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وليست لمحمد ﷺ ولكن جبريل أخطأ في هذا الأمر ونزل بالرسالة على محمد ﷺ وأقره الله على خطئه هذا ثم إن الإمامة والحلافة كانت لعلي ولكن مرة أخرى يغتصبها منه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فعلي رضي الله عنه يُغْتَصَبُ حقه في النبوة من جبريل ثم للمرة الثانية يُغْتَصَبُ حقه في الخلافة والإمامة والإمارة من أبي بكر وعمر وعثمان وَعَلِيٌ راض وساكت ؛

فماذا تقولون لهؤلاء الذين فقدوا عقولهم فلم يعد عندهم ميزان شرعي ولا ميزان عقلي ولذلك كان لا بد لنا أن نبين عقائدهم التي يعتقدونها ثم نبين كيف ينشرونها بين الناس بمداخل مختلفه فهم خبثاء يدخلون إلى كل فئه من المدخل الذي يجدون فيه نقطة ضعف فمع الفقراء يدخلون بالمال ومع المنحلين خلقيا يدخلون بالمتعة ومع الصوفية يدخون من باب حب أهل البيت ومع الأنظمة يدخلون من باب السياحة ودفع الاقتصاد إلى الأمام ومع المناطق التي فيها اضطراب يدخلون بالسلاح والمدافعه فهم لهم طرق عديدة في التوصل إلى ما يريدون

وإليك عقائدهم ومبادئهم أولا ثم نذكر مداخلهم

- أولا "البداء"

والبداء معناها عندهم أن الله عز وجل يبدو له الأمر أي يظهر له الأمر فيقره ثم بعد ذلك يبدو له خطئه أي يظهر له خطئه فيندم عليه واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى { يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ

وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد:٣٩] فهم ينسبون الجهل والنسيان لله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعما يقولون ويعتقدون ويظنون علوا كبيرا قاتلهم الله أنى يؤفكون

وكلمة البداء كلمة قرآنيه ولكنها أتت في حق البشر لا في حق الله تعالى اسمع إلى قول الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر:٤٧] وقوله تعالى { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } [الجاثية : ٣٣] وقوله تعالى {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ } [يوسف:٣٥] ولاحظ أن لفظة بدا يأتي بعدها لهم فهي تتحدث عن البشر أنهم هم الذين بدا لهم أي ظهر لهم بعد أن كان خفيا عنهم أما الله عز وجل فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

- ثانيا "التقية"

والتقية معناها اتقاء شيء ما لغرض شرعي هذا عند أهل السنة وقد قال الله عز وجل في شأنها { لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران:٢٨] أما عند الشيعة فإن الأمر يختلف لأنهم يعدون التقية أصلا من أصول دينهم وهي تعتمد عندهم على الكذب الدائم والإفتراء حتى يصل المتشيع إلى غرضه

فالتقيه عندهم هي إظهار الشيعي إلى غير الشيعي خلاف ما يبطن ويعتبر الشيعه التقية من أعمال الدين الهامة ويزاولونها مع المخالفين من غيرهم خاصة أهل السنة فلذلك هم أخطر على المسلمين من اليهود والنصارى لأن اليهود والنصارى نحن نعلم عقائدهم وما في نفوسهم بما أخبرنا الله عنهم في القرآن ولذلك فنحن نحذرهم ونعاملهم بما نعلم منهم مع العلم بما شرع الله عز وجل لنا في شرعنا كيف نتعامل معهم فنحن نعاملهم بالشرع الذي فصله الله رب العالمين الذي خلقنا وخلقهم ويعلم ما في نفوسنا وما في نفوسهم ويعلم حجتنا وحجتهم ويجمع بيننا وبينهم يوم القيامة ولتعلم أن الله تعالى قال عن المنافقين {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } [الفتح:١١] والرافضه يجعلون هذا من

أصول دينهم ويحكون هذا بصراحة عن أئمتهم بل يقولون ذلك عن علي رضي الله عنه أنه سكت على حقه في الخلافة والإمامة والإمارة بعد النبي لما اغتصبها منه أبو بكر ثم من بعده عمر ثم من بعده عثمان رضي الله عنهم وكل هذا تقيه من علي حتى لا يفتك به الخلفاء الثلاثة لو طلب حقه المغتصب في الخلافه

-ثالثا "عصمة الأئمه"

إن الشيعة يعتقدون عصمة أئمتهم الذين يؤمنون بإمامتهم وهم اثنا عشر إماما وكتبهم مليئة بما يثبت هذا الشذوذ وقد قال الكليني وهو من علمائهم يقول عن أبي جعفر قال " بني الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولايه " أين شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا تجدها في شيء من كلامهم وقد روى الكليني أيضا عن محمد بن مسلم أنه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول "الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا أنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي ﷺ فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ

بل قالوا يجب على الله نصب الإمام كنصب النبي ونحن نعلم أن أهل السنة لا يوجبون على الله شيء إلا ما أوجبه الله على نفسه أما البشر فلا يصح منهم أن يوجبوا على الله شيء.

بل ويعتقدون أن الأئمة يعلمون الغيب وأنهم معصومون وأن طاعتهم كطاعة الرسول ﷺ.

- رابعا "كفر الصحابه"

* إن الشيعة يكفرون أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم ويقولون إن الصحابة كلهم ارتدوا إلا خمسة بل يسبون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعنهم أجمعين وإني لا أريد أن أدخل في جدل وسفسطة مع أحد من هؤلاء ولكني أذكر لهم مثالا أو أمثلة حتى يتبين لنا تعاملهم مع كتاب الله تعالى فيقول مؤلف كتاب "ثم اهتديت" وهو ما يسمى بالدكتور " محمد التيجاني السماوي" إن القرآن ذكر آيات تدل على مدح الصحابة وذكر آيات أخرى تدل على ذمهم والقدح فيهم وساق أمثلة من الآيات فقال :

١- " آية الانقلاب "

قال تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران:١٤٤]

ثم يقول مفسر لهذه الآية ((فهذه الآية الكريمة صريحة وجلية في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولن يثبت منهم إلا القليل)) فاستدل بهذه الآية على أن الصحابة انقلبوا بعد وفاة النبي ﷺ على أعقابهم وارتدوا ((أي كفروا)) .
وأنا أقول لو فهمنا هذه الآية على هذا النسق فماذا نقول في قول الله تعالى لنبيه { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ{ الزمر:٦٥ } فهل معنى ذلك نفهم أن النبي سيقع أو وقع في الشرك لأن الله حذره من هذا .
وكيف نفهم قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [المائدة:٦٧] فهل نفهمها على أن الله أثبت أن النبي ﷺ لم يقم ولن يقوم بالبلاغ للرسالة فلذلك حذره أم نفهمها على أن الله عز وجل يحذر رسوله من التقاعس عن البلاغ للرسالة .
إذن: هذا فهم مقلوب للتعامل مع كلام الله تعالى نسأل الله السلامة
٢- " آية الجهاد "
* يقول المؤلف (الخبيث) بعد أن ذكر قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ } [التوبة:٣٨]
* ثم يقول المؤلف هذه الآية صريحة أيضا في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا رغم علمهم بأنها متاع قليل حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده إياهم بالعذاب الأليم وباستبدالهم بغيرهم من المؤمنين الصادقين .
* فهذا المؤلف الخبيث يعتبر أن هذا قدح في الصحابة بأنهم تركوا الجهاد وركنوا إلى الدنيا رضا بها ونحن نعلم أن هناك بعض الذين خلفوا عن الجهاد في قوله تعالى {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [التوبة:١١٨] وكان عددهم قليل جدا بل نص القرآن على عددهم ولكن هذا المؤلف يطبق الآية على كل الصحابة بأنهم اثاقلوا إلى الأرض وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ومن هنا نقول هل انتشرت الدعوة وكان الجهاد من هؤلاء

الخمسة الذين لم يغيروا ولم يبدلوا على حسب منهجكم أيها الشيعة والخمسة هم ((علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة وسلمان))

* هل هؤلاء هم الذين قاموا بالجهاد وفتحوا البلاد وجعلهم الله سببا في إضاءة قلوب العباد بنور الله من آياته وسنة نبيه .

فهل من عاقل منكم يعقل ما يقال { أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ } [هود:٧٨]

بل إنه في موضع آخر يقول :

* مرحبا لهؤلاء الصحابة الذين لا يتورعون عن تغيير سنة الرسول ﷺ وحتى أحكام الله للوصول إلى أغراضهم الدنيئة وأحقادهم الدفينة ومطامعهم الخسيسة ثم يقول ولكن هؤلاء الصحابة بدلوا وغيروا وقالوا سمعنا وعصينا وبدلا من أن يصلوا عليه ويحبوه ويطيعوه شتموه ولعنوه طيلة ستين عاما كما جاء في كتب التاريخ ويقصد من ذلك أن الصحابة كانوا يسبون علي بن أبي طالب ثم يسوق أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ يستدل بها على بغض الصحابة لعلي رضي الله عنه وانظر إلى قوله كما جاء في كتب التاريخ وكأن التاريخ هو الحاكم على كلام الله تعالى وأحاديث النبي ﷺ ((فبعدا بعدا وسحقا سحقا)) لفكر وتفكير بهذه الصورة العفنه .

ولكنا نجد في كتاب الله تعالى ما يبين أن الصحابة لم يغيروا ولم يبدلوا

استمع إلى قول الله تعالى في سورة الأحزاب { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {٢٣} فها هو الله عز وجل يقول وما بدلوا تبديلا

* أما أهل السنة فإنهم يعرفون للصحابة جميعا فضلهم ومكانتهم فقد قال ربنا عز وجل { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً } [الفتح:١٨] فهذه شهادة من الله بالإيمان للذين بايعوا تحت الشجرة وكما يقال كان عددهم ١٤٠٠ ألفا وأربعمائة .

* ثم قال الله عز وجل في موضع آخر { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً } [الفتح:١٠]

* وأيضا فإن الله تعالى قال في موضع آخر { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١٠٠]

* وقوله تعالى { لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:١١٧]

* وقوله تعالى { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء:١١٥]

* فيا عبد الله احذر فكر هؤلاء وخبثهم فإنهم قوم وضعوا عقولهم تحت أقدامهم ...

* المداخل

- أماالمداخل التي يدخلون بها على الناس لتشبيعهم فإني أذكرها في نقاط محدده ثم نذكر تفصيل كل نقطه

١ – عن طريق حب آل البيت عند الصوفية وطرقها المتعددة والكثيره ولذلك فإن هذه نقطة ضعف عند الصوفيه يدخلون لهم منها ونحن نعلم أن أهل السنة والجماعة يحبون أهل البيت أكثر من غيرهم ولكن لا يغالون في أحد وإنما ينزلون كل أحد منزلته

فآل البيت بشر تجري عليهم الأعراض التي تجري علي كل البشر وإن كان النبي ﷺ أمرنا بالوصية بهم ليس معنى ذلك أننا نغالي فيهم ونرفعهم عن منزلتهم البشريه فمن المغالاه أن ننسب إليهم علم الغيب أو بعضه أو أنهم مفوضون بشئ في هذا الكون أو أنهم لديهم القدرة على الشفاء أو الإغاثة أو المدد من أي نوع أو غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ولنا في رسول الله أسوة حسنة كما قال ربنا: " { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } [الأحزاب:٢١]

وربنا عز وجل يقول في حق النبي ﷺ معلما له ولنا { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } [الكهف:١١٠]" ها هو النبي ﷺ يخبر عن نفسه وذلك بتعليم ربه له فالله عز وجل يقول له ((قل)) معنى ذلك أنه ليس من عند النبي ﷺ وإنما هو من عند الله تعالى " إنما أنا بشر مثلكم " كيف نفهم أنا وأنت كلمة : "إنما أنا بشر " معناها أنه ليس إلهً ولا ملكا ولا جنا ولا طائرا ولا غير ذلك من المخلوقات وإنما هو بشر من ناحية الخلقه بل إن الله زاد البيان والتفصيل فقال :" مثلكم" ماذا تفهم من المثلية إن الله يخبرنا بهذه المثلية عن الخلقة من اللحم والدم والعظم والجلد والشعر والعروق والعصب وبقية تكوين الجسد وأيضا عن الأعراض التي تجري على هذا الجسد فكما أن أحدنا يولد من نطفة من ماء مهين ثم يكون علقة ثم يكون مضغة وأصل كل ذلك من التراب كما قال ربنا عز وجل :" { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [الحج:٥]" وأيضا كما أن أحدنا ينزل من بطن أمه عن طريق الفرج ويصير طفلا ثم شابا وتجري عليه الأعراض كالأكل والشرب والتبول والتبرز والمرض والشفاء والتناكح والموت وما إلى ذلك من الأعراض كل هذه تدخل في معنى المثليه ولكن الله عز وجل أتم الآية بقوله :" يوحي إلى " فهذا هو الفارق لأن الوحي هو سبب العصمة إذ أن النبي والأنبياء مميزون عن غيرهم بالوحي الذي اختصهم الله عز وجل به واصطفاهم من الناس به فهل فهمت معنى الآية الصحيح دون مغالاة كما فعل النصارى بعيسى عليه السلام وهو بشر فجعلوه ابن الله أو هو الله فعاب الله عليهم ذلك في قوله " { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة:٣٠] " وهكذا فعل الشيعة مع علي رضي الله عنه فرفعوه فوق منزلته وجعلوه الإمام المعصوم بل منهم من يرفعه إلى درجة الألوهية وهذا كله باطل وإنما علي بن أبي طالب صحابي جليل وابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته وإنما هو بشر كبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وأهل السنة لا يقولون بعصمة

أحد من الصحابة ولكن العصمة لمنهجهم فقط لإن الله تعالى زكى منهجهم فقال { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١٠٠] " فذكر الله عز وجل المهاجرين والأنصار وهذا الوصف لا ينصرف لأحد غير صحابة النبي ﷺ ولم يعين الله عز وجل أسماءهم ولكن ذكرهم بالوصف فكل المهاجرين من أخطأ منهم ومن لم يخطئ والأنصار من أخطأ منهم ومن لم يخطئ لا فرق بين هذا وذاك وقد قال ربنا عز وجل مبينا ذلك { لَقَد تَّابَ اللہ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:١١٧] فهل بعد هذا من وضوح وجلاء في أن الصحابة قد تاب الله عليهم ثم إن الله تعالى قال (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ) " فإني أسأل سؤالا يحتاج إلى جواب ما معنى اتبعوهم بإحسان ؟ أليس ذلك يدل على اتباع منهجهم الذي كانوا يسيرون عليه وسؤال آخر ما معني رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟ هل يرضي الله عز وجل عن الباطل أم أنه يرضي عن الحق فإن قال قائل يرضي عن الباطل فقد كفر وإن قال يرضي عن الحق نقول الحمد لله منهج الصحابه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه إنما هو الحق فاتبعوه فلا تغمزوا في الصحابة جملة ولا في أحدهم منفردا ولكن عليكم بمنهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الصحابة ونضع ذلك في نقاط :

١- سلامة القلب واللسان لهم لقوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر:١٠]

٢- نثبت لهم ما أثبته الشرع من الفضل لقوله تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد:١٠]

٣- نمسك عما شجر بينهم لقوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر:١٠]

٤- عدم ادعاء العصمة لهم أو لأحدهم وإنما العصمة لمنهجهم لقوله تعالي : " والسابقون الأولون " وقوله تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد " وقوله تعالى : " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة "

٥- عدم التجاوز أو المغالاة فيهم أو في أحدهم وإنما نتزلهم منزلتهم لأن التجاوز في حبهم يتبعه غلو والله عز وجل قد نهى عن ذلك فقال { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } [النساء:١٧١]

ولذلك نري أن الشيعه لما غالوا في علي رضي الله عنه وفي أولاده وفي زوجته ماذا كانت النتيجة إنهم قالوا (إن شر ملتنا أصحاب محمد) كأبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وبقية الصحابة إلا ما استثناهم الشيعة من الكفر والردة مع العلم أن النصارى قالوا أن خير ملتنا أصحاب عيسى عليه السلام وقالت اليهود خير ملتنا أصحاب موسى عليه السلام فانظر وقارن بين قول الشيعة في أصحاب نبي الإسلام وبين قول النصارى وقول اليهود.

ثم إن آل البيت وجب علينا أن نعرف من هم؟ لنحدد الفهم عن الله وعن رسوله

إن الذين يحتجون بأن آل بيت النبي ﷺ هم الحسن والحسين وفاطمة وعلي وبنوا كلامهم غلى هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه فقال

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، قَالَتْ : قَالَتْ عَائِشَةُ : " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا "

وأنا أبشرهم بأن الحديث ضعيف لأنه يدور في كل أسانيده على مصعب بن شيبة وهو ضعيف الحديث فهذا الحديث لا يترتب عليه حكم

ثانيا: عن طريق المنحلين خلقيا

المتحررون من كل شيء يربطهم بمسألة الحلال والحرام فيدخلوا لهم عن طريق المتعة أي زواج المتعة وهو عبارة عن اتفاق رجل وامره على الزواج لساعات أو لأيام في مقابل مبلغ من المال يتفق الطرفان عليه وهذا ما يسمى عندنا بالبغاء الذي حرمه الله عز وجل حتى على الإماء فإنه يحرم إكراههن على هذا البغاء وقد قال الله تعالى { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النور:٣٣] ولكن الشيعة يتدينون لله بذلك على أنه زواج ويحتجون بأن النبي ﷺ أباحه في غزوة خيبر وهذا صحيح أن النبي ﷺ لما وجد عند الصحابة مشقة لما طالت المدة في الغزو وَبَعُدَ عهد الرجال بنسائهم فأباح المتعة ولكن كان ذلك مع نساء الكفار والمشركين ولم يكن مع نساء المسلمين ثم إن النبي ﷺ حرم هذا الأمر بعد ثلاثة أيام من إباحته وذلك لما جاءه الوحي بحرمة هذا الأمر فنهى النبي ﷺ عن المتعه وعن أكل لحوم الحمر الإنسية والتي كانت تأكل قبل هذا أيضا فحرمها وحرم لحوم الحمر فقد روى البخاري من حديث علي بن أبي طالب أن عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ " نَهَى عَنْ الْمُتْعَةِ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ زَمَنَ خَيْبَرَ "

إذن هذا كله بالشرع إباحة وتحريما ولكن الشيعة استهواهم هذا الأمر فظلوا يعملون به ويدعون إليه دون خجل ولا حياء وناهيك عن شباب منحل خلقيا أو لا يجد ما يتزوج به ليعف نفسه ثم يجد مثل هذه الدعوات الرخيصة البغيضه فماذا يفعل أمام زنى صراحا إلا أن فرقة من الفرق التي تنتسب للإسلام تقننه وتلبسه لباس الشرع ليصبح أمرا شرعيا مباحا بل يتقرب به إلى الله تعالى فماذا تقول أنت أيها المسلم هل ترضى ذلك لأمك أو لأختك أو لأبنتك أو لخالتك أو لعمتك أو لواحدة من عائلتك أن تكون إحداهن كل إسبوع في أحضان رجل مختلف عن الرجل الأول في الإسبوع الذي قبله أن تعود ومعها مال كثير. أليس هذا ما تنكره فيما يحدث عندنا في أماكن المجون والبغاء وكشارع الهرم والكباريهات والحفلات الماجنة وغيرها من الأماكن وشقق الدعاره المنتشرة في كل مكان فإن كنت تنكر كل هذا لأنه حرام وكبائر متتابعه فعليك أن تنكر زواج المتعة أيضا فإنه كذلك ولا يختلف إلا أن هؤلاء الشيعة يلبسونه حلية شرعية كذبا وزورا وإذا كنت لا

ترضاه لأمك ولا لأختك ولا لأبنتك ولا لخالتك ولا لعمتك فلا ترضاه أنت لأولاد الآخرين ونسائهم إن كنت مسلما حقا وترعى حرمات الله ولا تقربها وويل لقوم أستحلوا الحرام فأستحلال الحرام كفر وإن كبرائهم من علماء الشيعه يستحلون فعل ذلك مع بنات الناس ولكنهم لا يحلون ذلك لبناتهم ولا نسائهم فلماذا التفرقة بين العلماء والعوام؟ هل ما كان حلالا يحل لبعض ولا يحل للبعض الآخر وما كان حراما يحرم علي البعض ولا يحرم علي البعض الآخر؟

إن هذا فعل النصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فهل من عقل معتبر

٣- إغراء الناس بالمال لاعتناق التشيع

وهم في هذه الحاله يستغلون فقر الناس وحاجتهم إلى المال فيدخلون من باب المساعده وفعل الخير مع التقيه أي أنه لا يظهر لك شيئا مما يعتقد في أول الأمر ولا يتحدث معك في سب الصحابه ولا سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين حتي تطمئن أنت إليه وتكون دائما في حاجة إلي مساعدته الماليه التي يعطيها لك حتى ولو طالت المده ثم يظهر لك عقيدته الخبيثة هذه فإذا بك قد تعلقت به وأحببته وأصبح أفضل من أخيك ابن أمك وأبيك لأنك وجدت مصلحتك الدنيوية

معه ولكني أقول لك يجب أن تعلم أن عندنا في الإسلام ما يسمى بزكاة الركاز وزكاة الركاز هي أن كل ما يستخرج من باطن الأرض وهو بفضل الله كثير جدا كالبترول والمعادن وغيرها مما يستخرج من باطن الأرض إنما الفريضة فيه الخمس أي خمس ما يخرج من الأرض بعد المصاريف ونفقات الاستخراج ينفق في سبيل الله أي يدخل إلى بيت مال المسلمين وينفق منه على فقراء المسلمين ومصالح المسلمين العامه هذا هو الخمس عندنا في الإسلام أما عند الشيعة فإن الخمس يستخدم فقط لتشييع الناس وهذا أمر عقدي ديني عندهم أي أمر تعبدي فتجد الناس يدفعون وهم يتسابقون لذلك غلى اعتبار أن هذا من الدين ومن التدين فلذلك كان الواجب علينا أن نحذر لأننا لو غفلنا أو تغافلنا مثل هذا الأمر يفاجئك أن تجد ابنك أو ابنتك يأتيك بأفكار مثل هذه وعندئذ لا تستطيع أن ترد الأمر إلى نصابه الأول لأن الإغراءات تكون كثيرة والبدائل لوجوده معك أو وجودها معك في سكن واحد أصبحت مباحة أمامه أو أمامها فلا تستطيع أن تدفع عن

ابنك أو ابنتك شيئا فاحذر أيها المسلم على نفسك وعلى أولادك من الخطر الداهم فالأمر جد خطير.

٤- استغلال الأماكن التي فيها اضطرابات

إن هؤلاء القوم لا يدعون شاردة ولا واردة إلا ويستغلونها في نشر تشيعهم الخبيث وأفكارهم الهدامه ولذلك فحيثما وجدت منطقة فيها أي نوع من أنواع الاضطرابات فإنهم يأتون إليها بالوجه الحسن وهو إنقاذ الفقراء والمحتاجين ومساعدة النازحين ونجاة المظلومين الفارين ويتلقفون ذلك بكل قوه ثم يلقون بسمومهم في هذه الظروف التي يكون الناس فيها في حالة اضطرار وحاجه ولنعلم علم اليقين أن هذه الفرقة إنما منشؤها على رجل يهودي يسمى عبدالله بن سبأ دخل الإسلام نكاية في الإسلام والمسلمين مثله كمثل عبدالله ابن أبي بن سلول رأس المنافقين فعبدالله بن سبأ هذا دخل الإسلام وبدأ ينشر السم اليهودي بفكرة المغالاة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن الصحابة ظلموه وقهروه واغتصبوا منه حقه حتى قال إن على هو الله فعندئذ أمسك بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحرقهم بالنار ولكن فر منهم بعض أناس منهم عبد الله بن سبأ هذا واختفى فترة من الزمن ثم قام يبث أفكاره الخبيثة مرة أخرى فهؤلاء أصلهم متلبسين بأفكار يهوديه فكما قالت اليهود :" عزير ابن الله " وكما قالت النصارى في عيسى وقالوا عيسى ابن الله فكذلك غالت الشيعة في على على يد هذا اليهودي عبدالله ابن سبأ وقالوا علي هو الله ولكنهم تفرقوا فيما بينهم وفي عقائدهم فرقا كثيرة جدا فليكن حذرنا منهم أشد مما نحذر من اليهود والنصارى والله المستعان

****

الأعذار التي يعتذر بها عمن خالف نصا ثابتا عن الرسول ﷺ من السلف

١ – عدم اعتقاد المجتهد من السلف أن النبي ﷺ قال: هذا الحديث [أي ضَعَّفَ الحديث بعلم واجتهاد]

٢ – اعتقاد المجتهد من السلف أن النبي ﷺ قال: هذا الحديث لكنه لم يرد تلك المسألة بذلك القول.

٣ – اعتقاد المجتهد من السلف أن ذلك الحكم منسوخ [للتعارض اللفظي ظاهرا]

٤- عدم وصول الدليل إلى العالم المجتهد من السلف لأنه لا يعقل أن يجمع العلم كله أحد من الناس.

٥- عدم العلم بالناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص والمجمل والمبين.

٦- النسيان والخطأ.

٧- الألفاظ العربية التي تحمل أكثر من معنى.

ومن هذا المنطلق كان لابد من مبحث عن التقليد وما يترتب عليه من آثار من الناحية الشرعية. ولذلك نقول

التقليد نوعان أحدهما ممدوح والآخر مذموم

التقليد الممدوح

واعلم أن الدين إنما هو التقليد ولكن التقليد لأصحاب رسول الله ﷺ وليس لغيرهم كما قال: ﷺ فيما رواه الدارمي من حديث

العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ: قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ؟ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ:" أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ "، وقال: أَبُو عَاصِمٍ مَرَّةً : " وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "

[رواه الدارمي [٩٥] أبو داود (رقم ٤٦٠٧) وغيرهما وصححه شيخنا في (صحيح الجامع) (رقم ٢٥٤٩)]

وقال: ابن مسعود فيما رواه الدارمي فقال:

أَخْبَرَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قال: قال: عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ "

[اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد) (١/ ٨٦) و (السنة) محمد بن نصر المروزي (٢٣) وابن وضاح في (البدع والنهي عنها) (١٠) والدارمي في (السنن) (٨٦) والطبراني (٩/ ١٦٨) قال: في (المجمع) : ورجاله رجال الصحيح (١/ ١٨١) باب الاقتداء بالسلف].

ومن خصوصيات الإله حق التشريع المتضمن للتحليل والتحريم فليس لأحد أن يحلل أو يحرم حتى ولو كان ملكا مقربا إلا وحيا من الله فيبلغه إلى الرسل ليبلغوا الناس وفي هذا المعنى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد من حديث

عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ * [صحيح]

هل يجوز للمقلد أن يفتي ؟

والجواب أن المفتي إذا كان مقلدا التقليد المحمود الذي هو تقليد الصحابة فإنه يجوز له أن يفتي بشرط أن يكون ملما بضوابط الفتوى من حيث الضوابط العلمية [أي قواعد الاجتهاد وشروطه] والضوابط الأخلاقية [من حيث التعامل مع المجتهدين غيره] وضوابط أدب الخلاف [من حيث بيان حجته والرد على مخالفيه بالحجة لا بغيرها]

أما المقلد التقليد المذموم

لا يجوز للمقلد التقليد المذموم أن يفتي لأنه سبق أن المقلد بهذه الصورة ليس بعالم والله عز وجل فرض علينا عند العجز سؤال العالم ومن سأل مقلدا وهو يعلم أنه سيفتيه بحسب المذهب الذي يعتنقه دون اعتبار للدليل فهو آثم ومفتيه عاص لله تبارك وتعالى والله تعالى يقول ﴿ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل ٤٣] وأما إن كان لا يعرف أنه سيفتيه بحسب المذهب ولكن يظن أنه سيفتيه بما يقتضيه الدليل من الكتاب والسنة فلا شيء عليه إن شاء الله وصح عنه ﷺ أنه قال: فيما رواه ابن ماجة وأحمد والدارمي بأسانيد صحيحة وهذا لفظ ابن ماجة من حديث

أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ *

وقال: الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الرسالة { فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به وأقرب للسلامة إن شاء الله }

ولذلك جاءت الآيات ترهب من الفتيا للمقلد

قال: تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إلاَ قال: مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قال: أَوَلَوْا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُمْ عَلَيْه آبَاءَكُمْ قالوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾

وقال: تعالى ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾

وقال ﷺ فيما رواه الدارمي بسند صحيح من حديث

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ، وَلَكِنْ : قَبْضُ الْعِلْمِ قَبْضُ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا "

وروى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" تَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ ". فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: " يُرْفَعُ الْعِلْمُ "، قال: عُمَرُ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ يُنْزَعُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعُلَمَاءُ.

وقال: ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد والدارمي وهذا لفظ أبي داود من حديث

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: أَصَابَ رَجُلًا جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ احْتَلَمَ فَأُمِرَ بِالِاغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالَ *

[ألا تكفي هذه الأحاديث لكف كل من تسول له نفسه الإفتاء بما يخالف نص البيان عن النبي ﷺ أو التقليد للغير دون معرفة الدليل.انتبهوا]

إذن لابد من إنهاء فكرة التعصب المذهبي والتقليد الأعمى

وهذا التعصب إنما جاء تقليدا أعمى لأناس لم يدع واحد منهم العصمة لنفسه بل تبرأ كل واحد منهم من ذلك ولنعلم أن هؤلاء الأئمة العظام هم رؤوس أهل السنة في زمانهم وهم حملة العلم وأهله إلى الناس ولكن الذي حدث أن الناس جعلوا كلام هؤلاء الأئمة قرآنا منزلا لا يجوز مخالفته حتى ولو كان قول الإمام مخالفا لأدلة الكتاب والسنة فبذلك تفرق الناس وأصبح الخلاف بينهم

محتد بسبب التعصب الممقوت لكلام هؤلاء الأئمة ومع ذلك لابد من بيان طريقة هؤلاء الأئمة في مسائل الشرع.

فلو نظرت إلى الأئمة من حيث ترتيب الوجود لعلمت أن أولهم وجودا هو الإمام أبو حنيفة الذي ولد في عام٨٠ هجرية وكان بالعراق فكان قريبا من العهد النبوي ولذا كان عدد الأحاديث التي لم تصله كثيرة جدا فكان يبني الأحكام على حسب ما وصله من الأحاديث فكان يجتهد اجتهادا واسعا في تحصيل الحكم مع إعمال العقل في استخراج واستنباط الحكم من الأحاديث التي وصلته فبذلك جاءت بعض الأحكام واجتهاداته مخالفة للسنة ولم يكن هذا عن تعمد وإنما كان ذلك باجتهاد محمود لا مذموم ولذلك ينطبق عليه حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد برقم [٥٢٨٦] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ*

فأتى التلاميذ من بعده فنقلوا كلامه وظنوا أن هذه الأحكام لا يجوز مخالفتها حتى ولو تبين أنها تخالف أدلة الكتاب والسنة وهناك رسالة قيمة يجب على كل طالب علم أن يقرأ هذه الرسالة وهي بعنوان [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] لابن تيمية وليس معنى ذلك أن نقول لا يجوز التقليد مطلقا فهذا القول فيه غلو ولا يؤيده الواقع العملي لأن الناس متفاوتون فمنهم العالم الذي يستطيع الاستنباط ومنهم طالب العلم الذي يستطيع أن يرجح بين الأقوال ومعرفة الأدلة الشرعية ومنهم أنصاف المتعلمين الذين لا يستطيعون التمييز بين الصحيح والضعيف ولا يستطيعون الترجيح بين أدلة الشرع ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب فلا يستطيع أن يميز بين أقوال أهل العلم بل ربما لا يصله كلام أهل العلم.

فالتقليد له شروط ومواضع فيمكن الانتساب إلى مذهب انتسابا مؤقتا من أجل تنظيم الدراسة مع بيان ذلك للطالب حتى يتسنى له معرفة الأدلة الشرعية بعد ذلك وفي المراحل المتقدمة من التعليم يتعلم الفقه المقارن بأن يذكر كل قول بدليله سواء من القرآن أو من السنة أو الإجماع مع التنبيه على الطالب بأن مرحلة التقليد المذهبي قد انتهت وإن فعل ذلك فهو التعصب

الممقوت الذي أودى بأمة الإسلام إلى هذا الوادي السحيق من الخلافات الفرعية التي يجب أن يسعنا الخلاف فيها كما وسع من قبلنا ولعل أساسيات التعليم الأزهري من جهة التمذهب والالتزام بمذهب معين هي السبب الرئيسي في هذا الأمر وهو التعصب المذهبي حتى وإن كانوا يدرسون مادة الفقه المقارن بعد ذلك ولكن تكون قد تأصلت فيهم المذهبية والتقليد والتعصب نتيجة طول مدة الدراسة للمذهب الواحد فيتشبع به الدارس ونحن نعلم أن الطالب تتكون شخصيته العلمية في هذه الفترة الحرجة من عمره فترة الدراسة الثانوية والجامعية وما المانع في أن يكون هناك منهج للدراسة على منوال السلف الصالح وتكون المسائل الفقهية والعقدية بحسب الأدلة من الكتاب والسنة وتستبعد الآراء البعيدة عن الصواب فيتربى جيل يقل فيه الخلاف والتعصب لمذهب معين وتكون الفتوى من أهل الاختصاص بعيدا عن التشعب في الآراء ويتخلص الناس من هذا النزاع الذي يدب في الأمة يوما بعد يوم.

ولذلك كان التعصب المذهبي من الأمور التي فرقت الأمة تفرقا لا يليق بأمة الإسلام

إبطال حجج المقلدين

١ - قالوا اتباع قول النبي ﷺ تقليد.

والإجابة كيف يكون تقليدا وقول النبي ﷺ نفسه هو الحجة والدليل.

٢- قالوا الإجماع المتبع تقليد.

والإجابة أنه ليس بتقليد لأنه لا إجماع بدون مستند من الكتاب أو السنة والمستند هو الدليل فكيف يكون تقليدا بعد معرفة الدليل وعليه فمتبع الإجماع ليس مقلدا بل هو متبع للدليل.

٣- قولهم أنت أعلم أم الإمام الفلاني.

والإجابة: هذه المقولة فاسدة بل تدل وتخبر عن عقلية قائلها لأنه ما من بشر إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول ﷺ والواجب ألا نأخذ من كلام أي أحد مهما كان إلا ما كان بالدليل وما كان من غير دليل لابد وأن يرد مهما كان قائله وإن كان المتأول معه دليل ولكنه أوله تأويلا لا يسوغ فإنه يرد أيضا وليس في ذلك أدنى عيب بل لو فتح الباب لهذا السؤال لأفضي إلى تعطيل الشرع وتبديل الذمم وجعل الأئمة بمنزلة النبي ﷺ وفي ذلك قال: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه

{ ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله ويبقى كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي ﷺ في أمته وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب الله به على النصارى في قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَم وَمَا أُمِرُوا إلاَ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة ٣١

أدلة إبطال التقليد المذموم.

قال: تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ النساء٥٩

وقال: تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣]

وقال: تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠]

وقال: تعالى ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف٢]

وقال: تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١]

ووجه الاستدلال أن الله زجر من لم يكتف بالكتاب المنزل وبيانه من الرسول ﷺ

وقال: تعالى ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ غافر٣٥

ووجه الاستدلال أنه لا يجوز معارضة كتاب الله بغير كتاب الله من كلام البشر أيا كان. مجموع الفتاوى ج ١٩ صفحة ٧٨.

وقال: تعالى ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء ٦٥

وقال: تعالى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور

وقال: تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران٣١

وقال: تعالى ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف:١٠٨

نهي الأئمة عن التقليد لهم أو لغيرهم من غير دليل

قال: أبو حنيفة رحمه الله

{ لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه }

وقال: أيضا { حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا }

قيل لأبي حنيفة { إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي بكتاب الله فقيل إذا كان خبر رسول الله يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي بخبر الرسول ﷺ فقيل إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي بقول الصحابي } إرشاد النقاد للنصنعاني صفحة ١٤١

كان أبو حنيفة رحمه الله يفتي يقول { هذا ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب }

أقوال الإمام مالك رحمه الله

{ إنما أنا بشر أخطيء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه } وقال: رحمه الله { كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ }

وقال: الإمام الشافعي رحمه الله

{ أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد }

وقال: رحمه الله { كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي }

وقال: رحمه الله { كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى فلا تقلدوني }

وقال: رحمه الله { إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط }
وقال: الإمام أحمد رحمه الله
{ لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذوا من حيث أخذوا }
وقال: رحمه الله { من قلة علم الرجل أن يقلد دين الرجال }
وإليك صورة مصغرة للخلاف بين المذاهب المخالفه لسنة رسول الله ﷺ في أمر الصلاة يقول النبي ﷺ كما روى البخاري في كتاب الأذان قال:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قال: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ قال: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قال: حَدَّثَنَا مَالِكٌ أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قال: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ * فلا بد من اتباع صلاة النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة والنية ركن من أركان الصلاة لابد وأن تكون تبعا لما فعله رسول الله ﷺ
ففي المذهب المالكي في الصلاة أن الإنسان إذا وقف في الصلاة وكبر يرسل يديه على جنبيه ولا يضع يده اليمنى على اليسرى على صدره مع أن الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ دلت على أمر النبي ﷺ وفعله ﷺ دل على ذلك فهل نتبع المذهب ونرسل أيدينا ونخالف فعل النبي ﷺ وأمره فهذا لا يقوله أحد [أقصد من الناس] أما الأئمة فهم معذورون وفي المذهب الحنفي يباح للمرأة أن تتزوج بغير ولي أي للمرأة أن تنكح نفسها ممن تشاء وهذا مخالف لما قاله النبي ﷺ كما روى أبو داواد من حديث أَبِي مُوسَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ.
فهذا لا يجب أن يُخَالفَ ويُتْركَ لقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله لأن هذا الأمر يفضي إلى تزويج الفتاة نفسها ممن ليس بكفءٍ لها فهل يحق لأحد أن يخالف هذا الحديث لقول واحد من الناس. هذا لا يقوله أحد [أقصد من الناس] أما الأئمة فهم معذورون كما قلنا فهل بعد ذلك من مقلد لمذهب بدون دليل [فتنبه]

ومن هنا نبدأ في التعرف على أمور منها

وسطية الإسلام

الإسلام دين وسط بين اليهوديه والمسيحيه فهو وسط بين غال ومجافي وهذه من أبرز خصائصه وبالتبعية فإن الأمة التي اعتنقت هذا الإسلام هي الأمة الوسط ولكن ليست كلها أمة الوسط وإنما أمة الؤسط فيها هي أمة الإستجابه الذين قال الله عزوجل فيهم {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }البقرة [١٤٣] ولذلك نجد أن الإسلام يقدم المنهج الوسط في كل شأن من شأون الحياه بل يحذر من المصير إلى أحد الانحرافين - الغلو أو التقصير – ولذلك يقول تعالى مبينا هذا السبيل { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ{٧} ويقول تعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {يوسف:١٠٨} بل ويقول تعالى {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء١١٥]

وهذه الوسطية التي تميز الإسلام عما سواه من الأديان إنما هي صفة العدل وليست المساواه فدين الإسلام دين العدل وهذا معنى قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }البقرة [١٤٣] أي عدولا خيارا وبهذا التفسير جاء القرآن والسنه وبه قال أهل التفسير وأهل اللغه فما علينا إلا أن ننظر إلى هذا المعنى المتسق مع بقية الآية فبقية الآية يقول فيها الله عزوجل (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) والشهادة لا تقوم إلا بالعدل ولا تقبل إلا من عدل ولو نظرنا إلى قول الله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران:١١٠] فنجد أن الخيرية لا تكون إلا من متصف بعدل وأما السنة فقد جاء تفسير وسطية الأمه بأنها أمة العدل صريحا في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي سعيد الحدري رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ، فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ، فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ : مَنْ شُهُودُكَ؟، فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، قَالَ : عَدْلًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.

دل هـذا على أن الأمـة الوسـط المفسر بالعـدل هي التي تشـهد لنـوح عليـه السـلام بأنـه قـد بلـغ والعدل في الغالب يأتي وسطا بين طرفين ذميمين قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : " اتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، خُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَاللَّهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالا بَعِيدًا "

ولذلك كان التطرف إما المجافاة عما أمر الله عز وجل وأمر به رسوله ﷺ أو الغالي في أمر الله أو في أمر رسوله فكلاهما مضيع لأمر الله لأن كلاهما قد تجاوز الحد ثم إن هذه الوسطيه جاءت بوصف الله عز وجل لهذه الأهة وليس بحكم الناس لها أو عليها ذلك بقوله (جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) ومن هنا يتبين أن الوسطية في هذه الأمة ليست معيارا بشريا ولكنها صفة تميزت بها في هذا الدين وتميزت بها شرائعها التي هي من عند الله عز وجل فالدين وأهله براء من الانحراف سواء كان هذا الانحراف بالجنوح إلى الغلو أو الجنوح إلى التقصير

وصور هذه الوسطيه ومظاهرها في الدين كثيره إذ هي شاملة لجميع جوانب الحياه فكل أمر من أوامر الإسلام جاء على وفق العدل ولكني أورد هنا مثالا الغلو ببيان العدل والوسط أولا فنحن نرى أن اليهود قال الله تعالى عنهم { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة:٩٦] وهذا وصف من الله عز وجل لهم يبين لنا حقارة منهجهم الدنيوي والأخروي وفي المقابل فإن النصارى قال الله عز وجل في حقهم { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } [الحديد:٢٧] وهم بهذا حرموا أنفسهم حقها في الحياة الكريمة وأمام هذين المنهجين الغالي والمجافي جاء الإسلام الوسط وأعطى كل ذي حق حقه فقال تعالى { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص:٧٧] ولكنه سبحانه ربط هذين الأمرين ابتغاء الدنيا وابتغاء الآخرة بقوله (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) بل وقال الله تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف:٣٢] ولكن الله سبحانه وتعالى أيضا أتبع ذلك بقوله (قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وقد نهانا القرآن الكريم عن الإفراط في حب المال فقال تعالى { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [الحديد:٢٠]

وأيضا قد نهانا رسول الله ﷺ عن التشديد على النفس وترهيبها فقد روى أبو داود بسند صحيح أَنَّ سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ أَبِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنَفَّلْتَهُ؟، قَالَ : إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ وَإِنَّهَا لَصَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْطَأْتُ إِلَّا شَيْئًا سَهَوْتُ عَنْهُ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : " لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ غَدَا مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ : أَلَا تَرْكَبُ لِتَنْظُرَ وَلِتَعْتَبِرَ، قَالَ : نَعَمْ، فَرَكِبُوا جَمِيعًا فَإِذَا هُمْ بِدِيَارٍ بَادَ أَهْلُهَا وَانْقَضَوْا وَفَنُوا خَاوِيَةٍ عَلَى عُرُوشِهَا، فَقَالَ : أَتَعْرِفُ هَذِهِ الدِّيَارَ، فَقُلْتُ : مَا أَعْرَفَنِي بِهَا وَبِأَهْلِهَا، هَذِهِ دِيَارُ قَوْمٍ أَهْلَكَهُمُ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ إِنَّ الْحَسَدَ يُطْفِئُ نُورَ الْحَسَنَاتِ وَالْبَغْيُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ وَالْعَيْنُ تَزْنِي وَالْكَفُّ وَالْقَدَمُ وَالْجَسَدُ وَاللِّسَانُ وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ

انظر إلى قوله ((لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)) وبهذ يتبين أن أصل هذا الدين وفروعه عقيدة وشريعة ومنهجا وسلوكا ومعاملة مخالف للغلو كما أنه مخالف للتفريط والتقصير فهو دين الوسطية والاعتدال التي تميزه عن سائر الأديان

ولنبين شيئا من بناء الدين على اليسر

إن يسر الإسلام في نفسه وتيسيره على معتنقيه في الدنيا والآخرة وعلى غير معتنقيه في الدنيا سمة من سماته التي اختلف بها عن غيره من الأديان والشرائع الأخرى إذكان من حكمة بعث النبي ﷺ

رفع الإصر والأغلال الواقعة على الأمم من قبلنا قال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧] وقد قال الله تعالى مبينا لنا أن الحرج ليس من مقاصد الشريعه بل إن اليسر هو المقصد الأول والأخير قال تعالى {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج:٧٨] وقال تعالى { يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة:١٨٥] وقال تعالى { مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة:٦]

وروى البخاري وغيره بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ "

وقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ

وهذه بعض مظاهر اليسر والسماحة.

١- روى البخاري رحمه الله تعالى بسنده إلى ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِي هَذَا؟ قَالَ : لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ "

٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا، وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا، وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ، وَنَزَلَ: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ : اضْرِبُوهُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ "

٤- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : " دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ "

٥- روى مسلم في صحيحه من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ : وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ، لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ "

وهذه الأحاديث ليست إلا صورا عملية لبيان أسلوب النبي ﷺ في كيفية معاملة العصاة والمخالفين وإلا فالدين كله شاهد على أن العاصي لا يعامل بالتكفير وإنما إن عوقب فأقيم عليه الحد فهو كفارة له وطهرة وتطهير للمجتمع ومن تاب اللله عليه وستره فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وشاهد ذلك حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه عند البخاري وغيره أن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ " أَتُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَقَرَأَ آيَةَ النِّسَاءِ وَأَكْثَرُ لَفْظِ سُفْيَانَ قَرَأَ الْآيَةَ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَسَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ "

٦- وروى مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ : فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ : فقَالَ : لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عَنْقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : " هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ "، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى

عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ : وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ، حَتَّى بَلَغَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا، قَالَ : فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ "، قَالَت : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَت : أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ : " لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا "

ولو نظرنا إلى الرخص الشرعيةالتي نادت بها الشريعة ونادى بها القرآن الكريم والسنة النبوية فقد قال الله تعالى { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } [البقرة:٢٨٦] وقال تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا } [التغابن:١٦] والمشقة ولو كانت المشقة مقصوده لما كانت هذه الرخص بل إن سنة النبي ﷺ العملية تدل على أن النبي ﷺ اتخذ منهج اليسر في منهجه في الدين والدنيا فقد نقلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ : " مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ، كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ "

وروى مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ "

وقوله ﷺ في حديث من رواية عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ : " اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ : بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟، قَالَ : قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ "

فكان ﷺ ألطف الناس في دعوته وأرفق الناس بالناس كما وصفه ربه { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً } [الأحزاب:٤٣] وقوله {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:١٢٨] بل وكان ﷺ يأمر دعاته ورسله باليسر والتيسير فقال ﷺ لمعاذ بن

جبل وأبي مؤسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن (يسرا ولا تعسرا) كما نقل ذلك البخاري عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ : " يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا "

ومن سماحة الإسلام اللين في الدعوة كما أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام لما أرسلهما إلى فرعون وهو من أعتى الخلق عنادا وكبرا وقال تعالى { فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:٤٤] بل وقال لنبينا ﷺ { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل:١٢٥] فأرشده ربه إلى القيام بالدعوة بإحدى طرق ثلاث (الحكمة –والموعظة الحسنة- والمجادلة بالتي هي أحسن) ومن سماحة هذا الدين أيضا النهي عن الاعتداء قال تعالى { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } [البقرة:١٩٠] وعدم الإجبار على دخول الإسلام بل يكون التخيير بين ثلاثة أمور (الإسلام – أو الجزية – أو القتال)

فالأول أن يسلم ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ولا فرق بين من أسلم إذا كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا رجلا كان أو امرأة صغيرا أو كبيرا.

والثاني أن يدفع الجزية ويكون تحت سلطان المسلمين آمنا على نفسه وماله وعرضه ودينه إن لم يرض بالإسلام.

وأما الثالثة فتكون إذا رفض الإسلام ورفض الجزية فقد أعذر المسلمون إليه ولا بد من قتاله وقد وضع الإسلام قواعد التعامل لمن أعطي العهد أو دخل تحت ذمة المسلمين أو أمانهم فإنه يجب الوفاء له بالعهد وأن يستقيم المسلمون على العهد ما استقام لهم الكافرون ولذلك قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ } [المائدة:١] وقال تعالى { إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤] بل أمر بمعاملتهم بالحسنى إذا لم يقاتلوا المسلمين قال تعالى {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الممتحنة:٨،٩]

ولهذا فإننا بحاجة إلى التعرف على

معنى الإسلام الحقيقي

والإِسْلاَمُ مَعْنَاهُ أَن تُسَلِّمَ كُلَّ أَمْرٍ للهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ أَتَدْرِي لِمَاذِا ؟

لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ:

{وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } لقمان/٢٢

{إِنَّمَا كَانَ قَولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بِيْنَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } النور/٥١

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا } الأحزاب/٣٦

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بَاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } البقرة/٢٨٥

فَالآيَاتُ كَثِيرَةُ تَتَحَدَّثُ عِن الطَّاعَةِ بِأَنَّهَا مِن صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَحْدَهُم دُونَ غَيْرِهِمْ لأَنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ قالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَإِلَيْكَ الآيَاتُ

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ } البقرة/٩٣

وَيَقُولُ تَعَالَى أَيْضَاً :

{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَو أَنَّهُمْ قالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بَكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنَونَ إِلا قَلِيلاً} النساء/٤٦

فَبِاللهِ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي قَرَأْتَهَا لَو تَدَبَّرْتَ مَعْنَاهَا وَلَو لِلَحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ أَلاَ تَفْهَمُ مِنهَا أَنَّ بَنِي إِسَرَائِيلَ مَا كَفَرُوا بِاللهِ وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالْغَضَبَ إلا لأَنَّهُم سَمِعُوا وَلَكِنَّهُمْ عَصَوا وَلِذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَذِّرًا إِيَّانَا مِن فِعْلِهِم :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوا عَنهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالوا سَمِعْنَا وَهُم لا يَسْمَعُونَ} الأنفال/٢.

وَيَقُولُ تَعَالَى {وَقالوا لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك/١٠

ومن خلال هذه الآيات نفهم أن الإسلام معناه الاستسلام المطلق لله عز وجل في كل شيء لأن الله هو الخالق ونحن مخلوقون والله رب ونحن مربوبون والله إله ونحن عبيد له وهو السيد فيجب أن نكون له طائعون ولأوامره منفذون بحب ونحن راضون وقد قال: ربنا عز وجل في كتابه {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ: لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالتا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} {فصلت:١١}

التعريف بالإسلام

الإسلام يعني الاستسلام لله بالتوحيد، والخضوع والانقياد له سبحانه بالطاعة، والخلوص له من الشرك، وذلك بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه. والإسلام بهذا المعنى هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه، قال عز وجل: {إن الدين عند الله الإسلام}

[آل عمران: ٩١].

والشرائع السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله وأنبيائه شرائع متعددة، تتفق جميعها في الدعوة إلى التوحيد، وإقامة مصالح العباد، والمناداة بمكارم الأخلاق، وتختلف فيما بينها في بعض الأحكام، كما تختلف في سعة بعضها واقتصار بعضها على بعض متطلبات الحياة بحسب حاجة الناس. قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً} سورة [المائدة: ٤٨].

وتتفق الشرائع السماوية (الكتب السماوية الصحيحة) فيما بينها على أمور كثيرة، منها:

١. المصدر:

فهي منزلة من عند الله الواحد الأحد، قال تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده} [النساء: ١٦٣].

٢. المقاصد:

فمن مقاصد الشرائع السماوية:

تعبيد الناس لربهم: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون } [الأنبياء: ٢٥].

وقال عز وجل: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } [النحل: ٣٦].

وتعبيدهم بما يشرع من تكاليف وأحكام، فيلتزمون بها عن رضا وطواعية. قال تعالى: {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون } [النور: ٥١].

٣. القواعد العامة:

وهى مما تتفق فيه الشرائع السماوية أيضا، كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولايؤاخذ بجريرة غيره. ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره، قال تعالى: {أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألاّ تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى } [النجم:٣٦-٤١].

وهكذا فالشرائع السماوية السابقة كلها إسلام لله عز وجل، وتعبّد له بما شرع سبحانه على ألسنة رسله، عليهم الصلاة والسلام.

فهذا نوح عليه السلام يقول: {إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين } [النمل: ٩١].

وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قالا: {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم } [البقرة: ١٢٨].

وهي وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، قال تعالى: {ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون } [البقرة: ١٣٢].

ويوسف عليه السلام دعا ربه فقال: {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين } [يوسف: ١٠١].

وموسى عليه السلام قال: {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين } [يونس: ٨٤].

وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة معلومة.

الإسلام بمعناه الخاص:

إن المصلحة تختلف باختلاف الأحوال والأزمان، وهو تعالى حكيم يشرع لعباده في كل عصر ما يعلم في سابق علمه أن به مصلحتهم في ذلك الوقت، وإنما كانت الناسخة على الأغلب خيراً من المنسوخة، لأن الانتقال من خير إلى خير منه آية الترقي إلى ما هو أرقى وأكمل، كما هي سنة الله في خلقه، يأخذهم بالتدرج والارتقاء.

ولما كانت الشريعة الإسلامية لا مجال لنسخها لكونها خاتمة الشرائع، جاءت سمحة شاملة مطردة واسعة، تسع الضعيف أخذاً بالرخص، والقوي تحملاً بالعزائم، وهذا من واسع رحمة الرحمن بعباده.

قال تعالى: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون } [الجاثية: ١٨].

وصار دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً ﷺ وأوحى إليه بأصوله وشرائعه، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ودعوتهم إليه.. صار هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، فهو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه. وبذلك نسخ الإسلام جميع الأديان السابقة، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم.

وبوابة الدخول إليه أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وتعمل بأركان هذه الشهادة وشروطها، وتتجنب نواقضها.

قال عز وجل: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } [آل عمران: ٨٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم.

وعلى هذا فاليهود والنصارى بعد بعثة النبي ﷺ، إذا لم يدخلوا في دينه ويؤمنوا برسالته لا ينفعهم إيمانهم برسلهم، لأن دين الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ ناسخ لكل الأديان السابقة عليه لأنه الدين الذي ارتضاه الله للناس جميعا.

****

معنى الإيمان

لغة: الأمن والأمان والأمانة

قال: تعالى { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } الأحزاب: ٧٢ والأمانة هي الدين

تعريفه الاصطلاحي: هو التصديق بالجنان [أي القلب] وإقرار باللسان والعمل بالأركان [أي الجوارح]

أما عن زيادة الإيمان ونقصانه: فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقد ثبت في الحديث المتفق عليه وهذا لفظ مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ * [البخاري : ٩، مسلم : ٣٥ واللفظ لمسلم]

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا ﴾ [الأنفال : ٢].

والإيمان الصحيح يجب أن تتوفر فيه أربعة أمور:

١ – اعتقاد وجود الله عز وجل. [خروجا من اعتقاد الملحدين الذين يقولون لا إله]

٢ – اعتقاد توحيد الله عز وجل. [توحيدا على مراد الله خروجا من توحيد النصارى بقولهم إله واحد آمين]

٣ – اعتقاد صفات الله عز وجل [لأن الإله الحق لا يعرف ولا يميز إلا بصفاته التي ليست لغيره]

٤ – اعتقاد وجوب طاعة الله عليك [خروجا من الليبرالية والعلمانية وما شابههما في التحلل من الدين]

حقيقة الإيمان

وحقيقة الإيمان هي تلك الأمور التي يجب أن نؤمن بها ولكن ما معنى الإيمان بها؟ وكيف يكون؟ وما الشيء الذي يصدق عليه هذا الاسم؟

اختلف أهل العلم في هذا الموضوع على قولين.

القول الأول:إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح وهو القول الذي ذهب إليه معظم أهل السنة. (وهو الصحيح)

القول الثاني: إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ولا يدخل فيه العمل بالجوارح ولكنهم يقولون إن العمل بكل ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرائع والبيان حق واجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالإقرار والتصديق.

الاستثناء في الإيمان

أي قول المسلم أنا مؤمن إن شاء الله فيها ثلاثة أقوال

القول الأول: وجوب الاستثناء

ودليلهم على الاستثناء في قوله تعالى﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٧]

(وهذا لا يصح)

ومن يقول بهذا القول له شبهتان

الشبهة الأولى: يقولون: إن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه - وهذا في القلب لا يعلمه إلا الله - فالإيمان الذي يعقبه كفر فيموت صاحبه كافرا ليس بإيمان كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال.

الشبهة الثانية: يقولون إن الإيمان المطلق يتضمن ما أمر الله به عبده كله وترك ما نهاه عنه كله وإذا قال: الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار كان ممن يزكي نفسه ويشهد لها بالجنة والله تعالى يقول ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ النجم ٣٢

القول الثاني :

الاستثناء في الإيمان محرم وهم من جعلوا الإيمان شيئا واحدا فيقولون: أنا مؤمن كقولي أنا مسلم ومن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه.

القول الثالث وهو الصحيح

فيه منع وجواز

١ – المنع: إذا أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع الاستثناء.

٢ – الجواز: من أراد باستثنائه عدم علمه بالعاقبة فهو جائز ومن كان مراده أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم ينُفْقِوُن أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال :٢، ٣، ٤] فهذا الاستثناء جائز وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله من باب التبرك.

أصول الإيمان

وردت في حديث جبريل المتفق عليه وهذا لفظ البخاري من حديث

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قال: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قال: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قال: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قال: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ * [متفق عليه].

فالأركان ستة.

١- الإيمان بالله ٢- الإيمان بالملائكة ٣- الإيمان بالكتب المنزلة

٤- الإيمان بالرسل ٥- الإيمان باليوم الآخر ٦- الإيمان بالقدر

معنى الإيمان بالله

الإيمان بالله عز وجل معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه. وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة : من صلاه وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع. وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل نقص.

ويقتضي هذا الإيمان بالله حتى يكون حقا وصحيحا وصوابا أن تتوفر فيه أربعة أمور.

١ – الاعتقاد الجازم اليقيني بوجود الله.

٢ - الاعتقاد الجازم اليقيني بأن الله واحد متفرد في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله وفي تقديره وتدبيره {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} الشورى١١

٣ - الاعتقاد الجازم اليقيني بأسماء الله عز وجل وصفاته لأن الإله الحق يعرف ويميز عن الآلهة الباطلة بصفاته المطلقة التي لا تكون لغيره.

٤ - الاعتقاد الجازم اليقيني بوجوب طاعة الله عليك.

فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة : في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبيه والألوهيه، وصفات الكمال والجمال. وأسماء الجلال : فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله عز وجل وفيما يلي تفصيل الكلام في كل نوع منها.

<u>النوع الأول : توحيد الربوبية:</u>

ومعناه الإجمالي الاعتقاد أن الله وحده هو مصدر النعم كلها والاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره.

وبيانه: أن الرب في اللغة هو المالك المدبر وربوبية الله على خلقه تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم. فتوحيد الله في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه وحده خالق الخلق،ومالكهم،ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم، مجيب دعائهم عند الاضطرار، والقادر عليهم، ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق، وله الأمر كله، كما قال: سبحانه عن نفسه {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف: ٥٤)

ويدخل في هذا التوحيد الإيمان بقدر الله سبحانه : أي الإيمان بأن كل محدث صادر عن علم الله عز وجل وإرادته وقدرته.

وبعبارة أخرى فإن هذا التوحيد معناه الإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون: بالخلق، والتدبير والتغيير، والتيسير، والزيادة، والنقص والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح، ولا تكاد سورة من سورة تخلوا من ذكره أو الإشارة إليه، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى، لأن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده، بالتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع، وهو المستحق وحده، للحمد والشكر، والذكر، والدعاء، والرجاء، والخوف، وغير ذلك. والعبادة كلها لا يصح أن تكون إلا لمن له الخلق والأمر كله.

ومن جهة أخرى فإن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات الجلال والجمال والكمال، لأن هذه الصفات لا تكون إلا لرب العالمين، إذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أقواله وأفعاله.

ولهذا فإنا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله، وعبادته، والانقياد له والاستسلام. وفي مقام بيان صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى :

ففي مقام الحمد يتلو المسلم في كل ركعة يصليها (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة: آية ٢)

ويقول سبحانه وتعالى { فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الجاثية – آية ٣٦)

وفي مقام الاستسلام لله والانقياد له قال: عز وجل : { قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأنعام- آية ٧١)

وفي مقام التوجه لله عز وجل وإخلاص القصد إليه قال: عز وجل : { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأنعام – آية ١٦٢)

وفي مقام تولي الله عز وجل دون غيره قال: سبحانه { قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ } (الأنعام –آية ٦٤)

وفي مقام الدعاء قال: عز وجل : { أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (الأعراف - الأيتان ٥٤، ٥٥)

وفي مقام عبادة الله عز وجل قال: سبحانه: { وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (يس – آية ٢٢)

وقال: أيضا { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة – الأيتان ٢١، ٢٢)

فإن خالق السموات والأرض وما فيهن هو وحده الذي يستحق أن يتخذه العبد إلها ووليا ويسلم نفسه إليه، ويدعوه، ويتوجه إليه.

ومن جهة أخرى فإنا نجد القرآن الكريم يجمع بين ربوبية الله عز وجل المتمثلة في ملكه للسماوات والأرض وما فيهما، وقيوميته عليهما، وبين أسمائه الحسنى وصفاته العلى : فتدبر قوله تعالى في آية الكرسي :

(اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة – آية ٢٥٥)

فإن الذي خلق السموات والأرض هو وحده الحي الذي لا يموت، القيوم، العليم، الحفيظ، العلي، العظيم، ثم أنظر إلى قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } (ق – آية ١٦) وقوله تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الملك – آية ١٤) فإنه لا جدال أبدا في أن الذي خلق الخلق هو الرقيب عليهم، اللطيف الخبير بما يعملون.

وأما الذين يقرون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء، ولا يوحدونه في ألوهيته فيشركون معه غيره في عبادته، ولا يوحدونه في أسمائه وصفاته، فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق، أو

يؤولونها تأويلات فاسدة لا وجه لها، فإن هذا التوحيد لا ينفعهم، ولا يخرجهم من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، فقد حكي الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وظلوا مع ذلك مشركين لأنهم لم يوحدوا الله في ألوهيته، فعبدوا غيره سبحانه، ولأنهم لم يوحدوا الله في أسمائه وصفاته، فجحدوا بعضها، ولم يؤمنوا بها ولذلك قال: عنهم الله عز وجل: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } (يوسف – آية ١٠٦) فقد قال: مجاهد في هذه الآية: (إيمانهم بالله قولهم أن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره) وقالت طائفة من السلف : (نسألهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله، وهم مع هذا يعبدون غيره) وقد أخبر سبحانه عن المشركين أنهم كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك، فقال: عز من قائل : {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }الزخرف٨٧ وقال: أيضا {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }يونس٣١

وهكذا فإنه ليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء يكون موحدا له في ألوهيته وصفاته وأسمائه وأكثر العباد لا ينكرون الخالق، وربوبيته على الخلق، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم لغير الله عز وجل.

وقد كان الذين حاربهم رسول الله وقاتلهم وقتلهم يقرون بالربوبية ولكن كان كفرهم في الألوهية (أي في صرف العبادة لله وحده فهم كانوا يصرفون العبادة لغير الله)

ونستطيع بعبارة يسيرة أن نقول إن توحيد الربوبية هو الاعتراف بالنعم النازلة من الله لعباده وهذا لا يجحده أحد ولكن الجحود دائما يكون في الألوهية وإليك بيانها

<u>النوع الثاني: توحيد الألوهيه :</u>

ومعناه بعبارة إجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة.

وبيانه: أن الإله هو المألوه أي المعبود والعبادة في اللغة هي الانقياد والتذلل والخضوع وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع والذل.

فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه : فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره فيخلص لله الخوف والمحبة والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس فإن توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعني أنه يوحده في ألوهيته فقد يقر بالربوبية ولا يعبد الله عز وجل، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى. ولكن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق، فيقر أنه سبحانه هو، وحده، المستحق للعبادة، وأن غيره لا يستحقها، ولا يستحق شيئا منها يقر في الواقع بأن الله رب العالمين،وبأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص إذ كيف يعبد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق، وكيف يعبد من كان ناقصا؟

ومن هنا كانت شهادة أن (لا إله إلا الله) متضمنة لجميع أنواع التوحيد : فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته، الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

من أجل هذا كان هذا التوحيد أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، ومن أجله خلقت الخليقة، كما قال: الله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات – آية ٥٦) يقول ابن تيمية : (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين)

ومن أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، فما من رسول أرسله الله إلى العباد إلا وكان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها، قال: عز وجل: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل٣٦ وقال: سبحانه: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (الأنبياء – آية ٢٥) وأخبر عز وجل عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب أنهم كانوا جميعا يقولون لأقوامهم هذه الكلمة : { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } المؤمنون٢٣ (المؤمنون – آية ٢٣ / هود – آية ٦١ / الأعراف – آية ٦٥) كما أخبر سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه

قال: لقومه : { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام٧٩

ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام فقد كانت الشهادتان أول ركن من أركان هذا الدين، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث جرير قال:قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ * (رواه أحمد)

هذا ويستلزم توحيد الله في ألوهيته أن نتوجه إليه وحده بجميع أنواع العبادة وأشكالها ونخلص قلوبنا فيها من أية وجوه أخرى وهذه عبارة يدخل فيها أمور كثيرة نذكر منها:

١- <u>وجوب إخلاص المحبة لله عز وجل</u>، فلا يتخذ العبد ندا لله في الحب، يحبه كما يحب الله، أو يقدمه في المحبة على حب الله عز وجل ، فمن فعل ذلك كان من المشركين ، قال: عز وجل { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } (البقرة - الآية ١٦٥) فمن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه : أن يتخذ العبد من دون الله ندا يحبه كما يحب الله عز وجل وإذا كان الإنسان مفطورا على حب الذات والآباء والأوطان والأموال فإن إخلاص العبودية لله لا تعني القضاء على هذه الفطرة وإنما المطلوب من المؤمن أن يكون حب كل شيء في الدنيا عنده بعد حب الله عز وجل وتابع له وحب الله سبحانه عنده فوق كل حب وحب رسوله مقدم على حب نفسه حتى يضحي بكل هذه القيم في سبيل الله إذا وقع تعارض بينها وبين ما يقتضيه حبه لربه وقد توعد الله سبحانه من يقدمون هذه القيم الدنيوية على حب الله وحب رسوله ﷺ فقال: سبحانه { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (التوبة - الآية ٢٤)

٢- <u>وجوب إفراد الله تعالى في الدعاء والتوكل والرجاء</u> في ما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه قال: تعالى {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ } (يونس - الآية ١٠٦) وقال: تعالى { وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (المائدة - الآية ٢٣) وقال: تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ

وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (البقرة – الآية ٢١٨)

٣- وجوب إفراد الله عز وجل بالخوف منه فمن اعتقد أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها فخاف منها فقد أشرك بالله لقوله تعالى { وَقَالَ: اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ } (النحل - الآية ٥١) ولقوله أيضا { وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (يونس - الآية ١٠٧)

ولا بد من التمييز بين خوف العبادة والخوف الفطري فالأول لا يكون إلا من الله عز وجل ومعناه أن يعتقد الإنسان أن القادر على الضر بمشيئته وقدرته هو الله وحده وغيره لا يضر ولا ينفع إلا أن يجعله الله سببا للضرر أو للنفع بإذنه سبحانه ومشيئته.

ومن علامات خوف العبادة أنه يقع في القلب كلما ذكر الخوف منه.

وأما الخوف الفطري: كخوف الحيوان المفترس أو الزلازل أو الخوف عند إشهار السلاح والحوادث المفاجئة ونحو ذلك فلا يحدث في القلب إلا عند مباشرة المكروه وهذا لا يضر بالتوحيد لأنه من فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها

٤- وجوب إفراد الله سبحانه بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وركوع وسجود وصوم وذبح وطواف وجميع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك فهذه العبادات وغيرها يجب أن تكون لله تعالى وحده ومن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك وقد قال: تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } النساء:١١٦

ويجدر بنا هنا أن نفرد مبحثا لمعنى العبادة وأنواعها لتمام المعنى والفائدة

ما تعريف العبادة شرعا :

أ - معناها ب - شروطها ج - أركانها د - أنواعها.

أ- معنى العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فكل حياة الإنسان عبادة لله سبحانه وتعالى، فالإنسان عبد لله في المسجد والسوق والمنزل والعمل، وفي كل مكان.

ب- شروط العبادة:

لا تقبل العبادة إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص: فلابد أن تكون أعمال الإنسان وعبادته خالصة لله سبحانه، لا يشرك مع الله أحداً، ولا يرجو ثناءً ولا مدحاً من أحد.

قال عز وجل: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } [البينة: ٥].

وقال ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُوله فَهِجْرَتُه إِلَى الله ورَسُوله، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) رواه البخاري.

الثاني: أن تكون عبادته على وفق ما شرعه الله ورسوله، فمن عبد الله بشيء لم يشرعه الله، فعبادته مردودة عليه غير مقبولة.

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منهِ فَهُوَ رَدٌّ) متفق عليه.

ج- أركان العبادة وأصولها:

العبادة تقوم على أركان ثلاثة هي: المحبة، والرجاء، والخوف.

١. المحبة لله تعالى:

فهي أصل الإسلام، وهي التي تحدد صلة العبد بربه تبارك وتعالى، وهي نعمة لا يدركها إلا من ذاقها، وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمراً هائلاً عظيماً وفضلاً غامراً جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها، ولا شبيه له، هو إنعام عظيم وفضل غامر جزيل أيضا. وقد تواردت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بهذه المعاني، فقال الله عز وجل: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً } [مريم: ٢٤].

وقال عز وجل: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين } [التوبة: ٢٤].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه البخاري.

وحب الله تعالى ليس مجرد دعوى باللسان، ولا هياماً بالوجدان، بل لابد أن يصاحبه الاتباع لرسول الله ﷺ والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة، والإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول، قال الله عز وجل: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم} [آل عمران: ٣١].

تنبيه:

ولكن بقي أن نشير هنا -تأكيداً لما سبق- إلى أن هذه المحبة هي غير المحبة الطبيعية للشيء، وغير محبة الرحمة والإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، وليست محبة الإلف والأنس كمحبة الإخوة لبعضهم، أو لمن يجمعهم عمل واحد أو صناعة واحدة. وإنما هي المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله تعالى، ومتى أحب العبد بها غيره كانت شركاً لا يغفره الله، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره سبحانه وتعالى على غيره. فهذه المحبة لا يجوز تعلقها أصلاً بغير الله.

٢. الرجاء:

تعريفه: هو الاستبشار بجود الرب تبارك وتعالى، ومطالعة كرمه وفضله والثقة به.

الفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء هو أن العبد يرجو ما عند الله عز وجل في الدار الآخرة، والرجاء لا يكون إلا مع العمل، فإذا كان بدون عمل فهو التمني المذموم، قال عز وجل: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً} [الكهف: ١١٠].

فالرجاء هو التمني المقرون بالعمل وفعل السبب، أما التمني فهو الرغبة المجردة عن العمل وبذل الأسباب.

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَل) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) رواه البخاري.

٣. الخوف:

فكما أن العبد يرجو ثواب الله ومغفرته، كذلك فهو يخاف الله ويخشاه، قال عز وجل: {فلا تخافوهم وخافون } [آل عمران: ١٧٥].

فمن اتخذ مع الله نداً يخافه فهو مشرك.

قال الله عز وجل: {ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون } [البقرة: ٨٠-٨١].

والقلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

د- أنواع العبادة:

أنواعها من حيث العموم والخصوص نوعان:

١. عبادة عامة:

وهي تشمل عبودية جميع الكائنات لله عز وجل، يدخل فيها المؤمن والكافر والإنسان والحيوان، بمعنى: أن كل من في الكون تحت تصرف الله وقهره، قال عز وجل: {إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً } [مريم: ٩٣].

2. عبادة خاصة:

وهي عبادة المؤمنين لربهم، وهي التي عناها الله عز وجل بقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً } [النساء: ٣٦].

وهذه هي العبودية التي تحصل بها النجاة يوم القيامة.

هـ- أنواع العبادات من حيث تعلقها بالعباد:

1. عبادات اعتقادية:

وهذه أساسها أن تعتقد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي ينفرد بالخلق والأمر وبيده الضر والنفع ولا يشفع عنده إلا بإذنه، ولا معبود بحق غيره.

ومن ذلك أيضا: الاعتقاد والتصديق بما أخبر الله تعالى عنه، كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر في آيات كثيرة كقوله عز وجل: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين } [البقرة: ١٧٧].

٢. عبادات قلبية:

وهي الأعمال القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله تعالى وحده، فمنها:

المحبة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده، فالمسلم يحب الله تعالى، ويحب عباده الذين يحبونه سبحانه، ويحب دينه، قال الله عز وجل: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله } [البقرة: ١٦٥].

ومنها التوكل: وهو الاعتماد على الله تعالى والاستسلام له، وتفويض الأمر إليه مع الأخذ بالأسباب، قال الله عز وجل: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } [المائدة: ٢٣].

ومنها الخشية والخوف من إصابة مكروه أو ضر، فلا يخاف العبد أحداً غير الله تعالى أن يصيبه بمكروه إلا بمشيئة الله وتقديره، قال الله عز وجل: {فلا تخشوا الناس واخشون } [المائدة: ٤٤].

٣. عبادات لفظية أو قولية:

وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقدها ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، فقد قال الرسول ﷺ (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّه) رواه البخاري.

دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، سواء كان طلباً للشفاعة أو غيرها من المطالب، قال الله عز وجل: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين } [يونس: ١٦].

٤. عبادات بدنية:

كالصلاة والركوع والسجود، قال الله عز وجل: {فصل لربك وانحر } [الكوثر: ٢].

ومنها الطواف بالبيت، حيث لا يجوز الطواف إلا به، قال عز وجل: {وليطوفوا بالبيت العتيق } [الحج: ٢٩].

ومنها الجهاد في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً } [النساء: ٧٤].

وكذلك وسائر أنواع العبادات البدنية كالصوم والحج.

٥. عبادات مالية:

كإخراج جزء من المال لامتثال أمر الله تعالى به، وهي الزكاة. ومما يدخل في العبادة المالية أيضاً: النذر، قال الله عز وجل: {يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً } [الإنسان: ٧].

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

قال: الله تعالى { وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }الأعراف.١٨٠

أما أسماء الله عز وجل فهي أعلام عليه أخبرنا الله بها في كتابه والرسول ﷺ في سنته وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة أو صفات لله سبحانه وكل اسم منها مشتق من مصدره كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحوها فالعليم مشتق من العلم وهو يدل على صفة العلم للباري وكذلك بقية الأسماء والاسم الجامع لمعاني الأسماء كلها والصفات كلها هو الله.

هذا ولا تنافي بين كون هذه الأسماء نعوتا لله عز وجل وأعلاما عليه فالرحمن اسمه تعالى وصفة له وكل أسماء الله تدل على معانيها وجميعها أوصاف مدح.

وسميت الحسنى لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول وتوحيد الله في أسمائه يقتضي الإيمان بكل اسم سمى به نفسه وبما دل عليه هذا الاسم من معنى وبما تعلق بهذا الاسم من آثار فمثلاً ورد في القرآن اسم الله الرحيم فنؤمن بأن هذا علم على الله عز وجل ونؤمن بأن هذا الاسم يدل على أن الله ذو رحمة ونؤمن أيضا أن الله يرحم من يشاء وكذلك كل اسم ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وعدد أسماء الله عز وجل فالذي ورد به النص تسعة وتسعون اسما كما جاء في الصحيحين من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "(رواه البخاري [٢٧٣٦])

وقد اتفق العلماء على أن قول النبي ﷺ إن لله تسعة وتسعين اسما لا يفيد أنها محصورة في هذا العدد وإنما غاية ما في الحديث الصحيح أن لله هذه الأسماء المذكورة عددا من أحصاها دخل الجنة وليس فيه نفي غيرها عن الله سبحانه فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصرها في هذا العدد ودليل ذلك ما رواه الإمام أحمد بسند فيه مقال: لاختلافهم في أبي سلمة الجهني قال:

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَنْبَأَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْجُهَنِيُّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قال: فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا * (رواه أحمد)

** إسناده يدور على أبي سلمة الجهني وهو مختلف فيه ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يروي عن القاسم بن عبد الرحمن، وروى عنه الفضيل بن مرزوق، لا يرفع عنه صفة الجهالة وقال: العجلي ثقة مع أنه متساهل وقال: ابن حجر مجهول الحال وذكره البخاري في التاريخ الكبير، وقال: روى عن القاسم بن عبد الرحمن، وروى عنه فضيل بن مرزوق وقال: الحافظ المنذري لا ندري من هو؟ وقال: الذهبي لا يدري من هو ؟ وحكم الدارقطني بجهالته وقال: أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني مجهول.

ويرويه عبدالرحمن بن إسحاق عن القسم بن عبدالرحمن في طرق أخرى إلا أن عبدالرحمن بن إسحاق ضعيف عند أهل هذا الشأن

ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة فقال: حَدَّثَنِي أَبُو عَرُوبَةَ، ثنا عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ، ثنا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ فَيَّاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ : أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغُمِّي ".فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَغْبُونَ لَمَنْ غُبِنَ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ.قَالَ: " أَجَلْ، فَقُولُوهُنَّ وَعَلِّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ:هُنَّ الْتِمَاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ عز وجل حُزْنَهُ، وَأَطَالَ فَرَحَهُ "

فهذا الحديث يدلنا على أن الأسماء الحسنى لا تنحصر في هذا العدد ولكن يمكن حصر الأسماء الحسنى الصحيحة من الكتاب والسنة بقواعد الحصر والتتبع والاستقراء وننصح في هذا المقام بقراءة كتاب الأسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لأخينا الدكتور/ محمود عبدالرزاق الرضواني فإنه في مجمله في بابه نافع مفيد بإذن الله تعالى إلا أن الخطأ الذي وقع فيه هو مسألة الحصر والقصر على هذا العدد.

ومعنى الإحصاء ليس الحفظ والتغني بها إنشادا كما هو مشهور بين الناس ولكن الإحصاء معناه معرفة معانيها وفهمها وحفظها والتعبد بها لله رب العالمين ونضرب على ذلك أمثلة

في القرآن سورة الإخلاص { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2}} كل المسلمين يقرؤنها ولكن كم من الناس يعرف معني كلمة الصمد قَلّ من يعرف إلا من رحم الله سبحانه وأيضا نقرأ في القرآن في سورة الجمعة { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }{1} فكم من الذين يقرؤن أو يسمعون يعرف معني القدوس وأيضا المؤمن اسم من أسماء الله تعالى فما معناه في حق الله وما معناه في حق العبد (فتنبه)

مع ملاحظة أن الأسماء المشهورة التي وردت في الحديث الذي رواه الترمذي إنما هي من جمع وترتيب الوليد بن مسلم وليست من كلام النبي ﷺ ولا ترتيبه وليست كلها صوابا قال: الترمذي رحمه الله تعالى من حديث

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجُوزَجَانِيُّ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِيَ الْمُتَعَالِي الْبَرُّ

التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ قال: أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذِكْرَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَقَدْ رَوَى آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ فِيهِ الْأَسْمَاءَ وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ * (رواه الترمذي)

فها هو الترمذي الذي روى الحديث قال: ولا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسناد صحيح

وهناك أسماء وردت في السنة الصحيحة ولم ترد ضمن ما قاله الوليد بن مسلم مثل (الحيي الستير الوتر السيد) ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي الكتاب المشار إليه آنفا.

المنهج الصحيح لفهم الصفات والأسماء:

قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١].

الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه رسوله ﷺ في الحديث الصحيح وقوله سبحانه ﴿ ءأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ﴾. [البقرة : ١٤٠.]

تنبيه مهم للغاية

يجب عدم البحث عن الكيفية فكما أننا نؤمن بأن هناك كيف إلا أننا لا نعرف هيئته أي لا نعرف هيئة الكيف للذات كذلك لا نسأل عن هيئة الكيف للصفات مع الإيمان أن هناك كيف ولكننا لا ندريه ولا نعلمه فنؤمن بأن هناك كيف ولكن نفوض العلم به لله تعالى وهذا خلافا لمن يفوض المعنى والكيف ويقول نمرها كما جاءت فيفوض اللفظ والمعنى والكيف ونحن نقول نؤمن باللفظ والمعني ونؤمن بأن هناك كيف ولكن نفوض هيئة الكيف إلى الله تعالى.

ويقدح في هذا التوحيد عدة أمور يجب أن لا يقع فيها المسلم

١- التشبيه (أي تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق) كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله سبحانه وكتشبيه اليهود عزيرا بالله وتشبيه المشركين أصنامهم بالله وكتشبيه بعض الطوائف وجه الله بوجه المخلوق ويد الله بيد المخلوق وسمع الله بسمع المخلوق ونحو ذلك
٢- التحريف أو التغيير والتبديل كتحريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان أو تغيير الحركات الإعرابية أو تحريف معناها مما سماه بعض المبتدعين تأويلا وهو حمل اللفظ على معنى فاسد لم يعهد به استعمال في اللغة كتأويل الوجه بالذات والاستواء بالاستيلاء
٣- التعطيل وهو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله سبحانه كتعطيل الله جل وعلا عن كماله المقدس وذلك بجحد أسمائه وصفاته وكتعطيل معاملة الله عز وجل بترك عبادته وكتعطيل المصنوع من صانعه كمن قال: بقدم المخلوقات وجحد أن الله خلقها وصنعها
٤- التكييف وهو تعيين كيفية الصفات وإثبات كنهها وهذا المنهج في أخذ الصفات والأسماء المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف (هو مذهب السلف من الصحابة ومن تبعهم إلى يومنا هذا)

أنواع الصفات

١- صفات ذات ٢- صفات فعل

فأما صفات الذات فهي التي لا تنفك عن الله سبحانه كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه والكلام والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغنى والرحمة والحكمة وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله عز وجل فإنها قائمة في الله سبحانه لا ينفك عنها.

وأما صفات الفعل فهي ما تعلق بمشيئة الله وقدرته كالاستواء والنزول والمجيء والعجب والضحك والرضا والحب والكره والسخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت

والواجب في هذه الصفات بنوعيها إثباتها لله عز وجل على حسب المعنى الذي يليق بكمال الله تعالى وهو المعنى الحقيقي لها إذ ليس فيه تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف وأن نقول مثل ما قال: الإمام الشافعي رحمه الله (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ)

أصناف الناس في الأسماء والصفات

أهل السنة والجماعة

ونريد بها المعنى الخاص :- [أي الذين يعتقدون اعتقاد أهل السنة فعلا لا ادعاءً] **يجب في حق الله من صفات الكمال إثبات مفصل ونفي مجمل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** [الشورى: ١١] **وهذا معناه أننا نثبت على وجه التفصيل لله من الصفات ما ورد به النص أما النفي فنجمل فيه فنقول كل عيب أو نقص فالله منزه عنه ولذلك يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ نفيا وإثباتا. وهذه لابد أن تكون عقيدة كل مؤمن ومن خالفها فقد جانب الصواب.**

بعض الفرق التي جانبها الصواب

معتزلة جبرية معطلة

الفرق المنحرفة المغالية في الضلال التي قد تصل إلى الكفر

١- المعطلة : وهم الذين عطلوا صفات الله تعالى وأسماءه وجعلوا العابد لله وكأنه يعبد عدما

٢- الجهمية: وهم أتباع جهم بن صفوان والجعد بن درهم نفوا جميع الأسماء والصفات وشبهتهم في ذلك التنزيه عن شبه المخلوقين.

الرد عليهم:

بمحاجتهم بصفة الوجود التي يشترك فيها الخالق والمخلوق فإن الله تعالى واجب الوجود والمخلوق موجود ولكن لكل وجود يناسبه فإن أقروا بذلك قلنا كذلك بقية الصفات وإن نفوا صفة وجوب الوجود كفروا....

٣ – المعتزلة: اتباع واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وسبب التسمية هو اعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري عندما سئل الحسن عن جزاء أهل الكبيرة فقال: تحت مشيئة الله ولكن واصل بن عطاء وأتباعه جعلوهم في منزلة بين المنزلتين أي لم يحكموا لهم بإسلام ولا بكفر وبدعتهم أيضا أنهم ينفون الصفات ويثبتون الأسماء ولكنها أعلام مترادفة لا تدل إلا على الذات والتحقيق أنهم لا يثبتون إلا ثلاثة أسماء

شبهاتهم والرد عليهم :

قالوا إنه يلزم من إثبات الصفات أن يكون لله جسم لأن الصفات أعراض والأعراض لا تقوم إلا بالجسم.

الرد عليهم :

لا نسلم أن الصفات أعراض ولو سلمنا أنها أعراض فالأجسام غير متماثلة مثل النملة والفيل فكلاهما له جسم ولا يشبه أحدهما الآخر

الجسم من الصفات التوقيفية

قالوا إن أخص صفات الله تعالى القدم فلو أثبتنا لله تعالى صفات قديمة لزم ذلك تعدد القدماء وفي ذلك شرك.

الرد عليهم :

إن صفات الله تعالى قائمة بذاته غير منفصلة عنه ولا بائنة حتى يكون هناك تعدد.ولفظة قديم لم ترد في كتاب ولا سنة والواجب استخدام اللفظ القرآني الأول والآخر كما ورد في قوله تعالى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ﴾ الحديد ٣

المشبهة:

أتباع هشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربي فهؤلاء جسدوا الله سبحانه وتعالى وقالوا له طول وعرض وجسم..... إلخ { تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًا كَبِيرًا } وقال: بعض أهل العلم من أهل السنة [المعطل يعبد عدما والمشبه يعبد صنما]

المراد بالانحراف هنا الابتعاد عن الصراط المستقيم وهنا يختلف في درجته بحسب الفرق التي أخطأت المنهج والسبيل بعده أو قربه من السلف رضي الله عنهم

الأشاعرة :

ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري : وأبو الحسن كان معتزليا ثم رجع إلى مذهب السلف

الأشاعرة يخالفون المعتزلة حيث إنهم يثبتون صفات الذات السبع وهي العلم والإرادة والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام وينفون صفات الفعل كالغضب والرضا والرؤية والاستواء.

يقولون إن صفات المخلوق حادثة لأن الغضب غليان دم القلب وعند إثباته نكون قد شبهنا الله بالمخلوق.

الرد عليهم :

إن الصفات الفعلية وإن كانت تحدث آحادها فجنسها قديم النوع فهي حادثة الآحاد قديمة النوع.

إنهم يثبتون الإرادة وهي ميل القلب فإن قيل هذه إرادة المخلوقين قلنا كذلك الغضب.

أهل التأويل :

الكلابية والماتريدية

الكلابية أتباع سعيد بن كلاب، والماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي كلاهما كمذهب الأشاعرة في التأويل

ونستطيع أن نقول في نهاية المبحث.

إن النوع الأول من التوحيد يشترك فيه المسلمون وغيرهم من كل الملل الأخرى.

إن النوع الثاني من التوحيد يفرق بين المؤمنين والكفار بكل أصنافهم.

إن النوع الثالث يفرق بين الفرقة الحق والفرق التي جانبها الصواب من المسلمين.

تنبيه مهم:

هذا التوحيد له دلالات وعلامات ووسائل يعرف بها وتظهر آثاره على أرض الواقع المشاهد المحسوس.

وإليك هذه العلامات:

العلامة الأولى: طاعة الله ورسوله.

العلامة الثانية: تقوى الله.

العلامة الثالثة: اتباع الكتاب والسنة حتى تكون الطاعة عن بينة هادية والعمل خالصا من كل شائبة والاعتقاد في الله حق اليقين.

العلامة الرابعة: الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كلما وقع بين المسلمين خلاف سواء أكان في شيءون الدنيا أم في شيءون الدين حتى تظل وحدة المسلمين ثابتة مكينة والتآخي بينهم قويا صادق الشعور.

العلامة الخامسة: الحكم بكتاب الله وسنة رسوله بين المختلفين والمتخاصمين مسلمين كانوا أو غير مسلمين حتى تظل الدولة الإسلامية قوية العماد لا ينتقض عليها أفرادها ولا يختلف فيها محكوم على حاكم ما دام حكم الله يشمل الجميع ويطبق عليهم تطبيقا صحيحا عادلا.

العلامة السادسة: الرضى بحكم الله والصبر عليه والإذعان الكامل له.

تلك هي دلائل التوحيد – أو هي وسائله – التي يجب على المسلمين أن يتوسلوا بها وحدها إذا شاءوا أن يكونوا أولياء لله وأن يكون الله وليهم وأن يسودوا العالم كله بالحق والعدل والسلام والرحمة.

وتلك العلامات والوسائل متلازمة لا تنفصل إحداها عن الأخرى فلن يكون الإنسان مسلما حق الإسلام إذا ادعى طاعة الله ورسوله وهو يتبع في دينه غير الكتاب والسنة ولن تكون الدولة مسلمة حق الإسلام حتى تحكم بالكتاب والسنة ولن يكون المسلم مسلما حقا حتى إذا ما اتقى في عمله غير الله أو ابتغى به غير وجه الله.

والعجب كل العجب والاستغراب كل الاستغراب ممن يفترون على الله الكذب ويتقولون عليه بغير علم فيزعمون أن الدين لا صلة له بشئون الحكم ولا بشئون الحياة ؛ كأنما الدين تشريع للفرد في نفسه ولا صلة له بشئون الجماعة أو كأنما الدين عبادة للصومعة أما خارج الصومعة فمباح للفرد أن يعمل كيف شاء وأن يحكم بما شاء أن يجعله قانونا له في الحياة يسير بمقتضاه قال: الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً} النساء:٦٠

****

القسم الثاني في : نواقض الإيمان :

عرفت فيما تقدم ما يجب على المؤمن أن يقر به من الأمور، ولا ينكره، كما عرفت حقيقة الإيمان ومعنى الإيمان الذي يجب أن يتعلق بهذه الأمور.

ونخصص هذا القسم لمعرفة الأمور التي تنقض إيمان العبد، وتخرجه من عداد المؤمنين، وتدخله في عداد الكافرين.

على أن توضيح هذا الأمر يقتضي أن يقدم له ببحث يكشف لنا عن مبدأ الإيمان والإسلام، أي الحد الذي إذا وصله العبد المكلف من البشر، اعتبر مؤمنا ومسلما، وإذا قصر عنه أعتبر كافرا، وجرت عليه أحكام الكفر في الدنيا والآخرة، إن لم يبدل ولم يغير، ومات قبل أن يصل إلى ذلك الحد الذي يصير به مؤمنا، وذلك لنكون على بينه من حدود الإيمان، وحدود دائرة الكفر، قبل الكلام فيما يخرج من الأولى ويدخل في الثانية.

ومن هنا كان هذا القسم مشتملا على محورين يعتبر الأول منهما مقدمة للثاني وهما : الأول – متى يصير الكافر مؤمنا (كيفية الدخول في دين الله عز وجل)

الثاني – متي يصير المؤمن كافرا (نواقض الإيمان)

متى يصير الكافر مؤمنا (كيفية الدخول في دين الله عز وجل) :

يظهر لك مما تقدم أن أركان الإيمان لها إجمال وتفصيل، وأن لكل ركن منها إجمالا وتفصيلا فمن عرف تفصيل تلك الأركان، وصدق بها، وعمل بما تقتضيه من الأعمال، كان ممن قال: عنهم الله عز وجل (أولئك هم المؤمنون حقا، لهم درجات عند ربهم، ومغفرة ورزق كريم).

ولكن شاءت حكمة الله، تبارك وتعالى، تيسيرا على عباده، وتفضلا عليهم أن يجعل الباب الذي يلجه العباد إلى الإيمان دون ذلك التفصيل، فاكتفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل : فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقروا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق، دون سواه وأن محمدا ﷺ هو رسول الله وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق، وواجب العمل به، وجعل لذلك عنوانا، هو الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

فمن قال: هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه.

أدلة الأصل المتقدم :

والذي يدل على أن المطلوب هو الإقرار الإجمالي بأمور الإيمان، وهو الإقرار بالشهادتين.

وليس الإقرار التفصيلى بكل خصلة من خصال الإيمان والإسلام هو جملة أحاديث صحيحة رتبت حصول الإيمان والإسلام واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار على التصديق بأن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وكذلك حوادث السيرة التى دلت على أن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كانو يحكمون بدخول الشخص فى الإسلام إذا نطق بالشهادتين ولا يطالبونه في أول الأمر أن يقرنهما بغيرهما.

وقد يقول قائل ولكن أركان الإيمان كما جاءت في الحديث الصحيح أكثر من الإيمان بالله

وفيما يلى نذكر لك بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك الأصل ثم نتبعها بذكر بعض وقائع السيرة الدالة عليه

١- روى الإمام مسلم في صحيحه قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ قال: حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ قال: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ قال: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ قال: فَقال: عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا قال: فَفَعَلَ قال: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ قال: وَقال: مُجَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ قُلْتُ وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى قال: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ قال: فَدَعَا عَلَيْهَا حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ قال: فَقال: عِنْدَ ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ * (رواه مسلم)

وفي رواية عند مسلم أيضا (لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ)

٢- روى مسلم أيضا

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كِلَاهُمَا عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قال: أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ قال: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ عُثْمَانَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ * (رواه مسلم)

٣- ما رواه الترمذي قال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ: مَهْلًا لِمَ تَبْكِي فَوَاللَّهِ لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْه النَّارَ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَجَابِرٍ وَابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْت ابْنَ أَبِي عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ كَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا فِي الْحَدِيثِ قَالَ: أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالصُّنَابِحِيُّ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ قَالَ: أبو عِيسَى وَوَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَإِنْ عُذِّبُوا بِالنَّارِ بِذُنُوبِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قالوا إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * (رواه الترمذي)

وغير هذه الأحاديث مما هو في معناها كثير وكلها تدل على أن من مات على التوحيد ولقي الله عز وجل بالشهادتين دخل الجنة ولو في المآل ولم يخلد في النار وإن عذب فيها على ما كان منه من المعاصي والذنوب.

أما من السنة العملية ووقائع السيرة

ففي السنة العملية والسيرة المطهرة نجد أن الرسول ﷺ كان يشهد بالإسلام والإيمان لمن أقر بالشهادتين ومن ذلك

١- ما رواه مسلم قال:

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ قال:ا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قال: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قال: فَلَا تَأْتِهِمْ قال: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قال: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قال: ابْنُ الصَّبَّاحِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ قال: قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قال: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قال: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قال: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا <u>فَقال: لَهَا أَيْنَ اللَّهُ قالت فِي السَّمَاءِ قال: مَنْ أَنَا قالت أَنْتَ رَسُولُ اللَّه قال: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ</u> * (رواه مسلم)

٢- ما رواه النسائي قال:

أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي أَوْصَتْ أَنْ تُعْتَقَ عَنْهَا رَقَبَةٌ وَإِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً نُوبِيَّةً أَفَيُجْزِئُ عَنِّي أَنْ أُعْتِقَهَا عَنْهَا قال: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقال: لَهَا النَّبِيُّ ﷺ مَنْ رَبُّكِ قالت اللَّهُ قال: مَنْ أَنَا قالت أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قال: فَأَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ * (رواه النسائي)

٣- ما رواه البخاري في قصة إسلام أبي ذر الغفاري فقال:

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى عَنْ أَبِي جَمْرَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قال: لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقال: لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ فَقال: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقال: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قال: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ قال: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ قال: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَال: لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قال: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ * (رواه البخاري)

- فهذه الوقائع، وتلك الأحاديث الصحيحة تدل مجتمعه على أمر واحد اتفق عليه أهل السنة، وهو أن الدخول في دين الله لا يكون إلا بالشهادتين، وليس لأحد بعد هذه النصوص أن يحكم بإسلام أحد إذ لم يقر بهما بلسانه وقلبه.. كما أنه ليس لأحد بعدها أن يحكم بكفر أحد إذ أقر بهما، ولم يصدر منه ما ينقضها أو ينقض إحداهما.

هذا ولا يكفي للدخول في الإسلام مجرد إحدى الشهادتين، ولا بد منهما جميعا، وقد يقال: قد ورد في بعض الأحاديث المتقدمة، وغيرها الإكتفاء بالشهادة الأولى (لا إله إ الله) والجواب : أن المقصود هو الشهادتان، لأنه جاء مفسرا في الأحاديث الأخرى بهما جميعا ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجيا من الخلود في النار، وكافيا في دخول الإيمان والإسلام، إذا كان مقترنا بما ينقضهما أو ينقض إحداهما : فلا يحكم بإيمان إنسان جاء يقول : أقر بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكن لا أعترف بوجوب الزكاة والحج، أو بحرمة الزنا أو الربا أو القتل أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول ﷺ وعلمت بالضرورة، أو قال: أقر برسالة محمد ﷺ ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفا، فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكذلك من كان على ملة تكفي الشهادتان في نقض مبدأ من مبادئها أو أكثر، ولا بد في حقه من أن يتبرأ من ذلك المبدأ بالإضافة إلى الشهادتين، فلو أن شخصا كان يعتقد بالتوحيد، وبأن محمدا رسول الله ولكن إلى قوم معينين أو زمن معين، فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافيا لإعتباره مسلما : لأن اعترافه برسالة محمد ﷺ لا ينفي ما كان مشهورا من إعتقاده بإختصاصها بقوم أو بزمن، فلا بد مع هذا من أن يقر بأن محمدا رسول الله إلى الناس أجمعين.

وقد ذكر بعض العلماء في هذا الموضوع قاعدة عامة مفادها أنه لا يحكم بإسلام الشخص إلا إذا أقر بالشهادتين وكان هذا الإقرار كافيا في نقض جميع معتقداته الباطلة التي أشتهر بها فإن لم يكن كذلك كان لابد من النطق بها والتبرؤ من المعتقدات الباطلة التي لم يندرج نقضها تحت الشهادتين.

ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن كلمة (لا إله إلا الله) تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق وربوبيته وألوهيته ذلك أنها تقتضي كما علمت توحيد الله في ذاته وفي صفاته وأسمائه وأفعاله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به فمن نطق بها كان متبرئا من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق عز وجل وأما الشهادة الأخرى فإنها تنقض معظم التصورات الباطلة حول مكانة نبينا

محمد ﷺ وحول ما أخبر به من المغيبات جميعها ولا تنقض بعضها كما تقدم من اعتقاد بعض الناس بخصوصية رسالته إلى بعض الأقوام فلا بد في حق هؤلاء من التصريح بعموم رسالته ﷺ.

وهذا الذي تقدم خاص بمن كان كافرا ابتداء ولم يسبق له الدخول في دين الله وأما المرتد عن الإسلام فإنه لا يحكم بإسلامه إلا إذا أقر بما كان قد جحده من أمور الإيمان بالإضافة إلى الشهادتين فإن كان ارتداده بسبب جحوده الوحدانية أو الرسالة اكتفى بهما وإلا فلابد منهما وأن يقر معهما بالأمر الذي كان قد أنكره فمن كان ينكر فرضية الزكاة مثلا أو حرمة الربا أو الزنا فإنه لا يعود إليه إسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقر بفرضية أو حرمة ما أنكره.

ولعل من المفيد في هذا المقام أن ننبه إلى ما تقدم ذكره عند الكلام عن حقيقة الإيمان من اتفاق العلماء على أن النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلما من حيث الظاهر ومن أجل إجراء الأحكام الدنيوية عليه وأنه لا يكفي من أجل الخلاص من الخلود في النار حتى يقر بالتصديق القلبي فمن أقر بهما مع ما تقدم من الشروط عومل بمقتضى الإسلام في الحياة الدنيا وإن كان منافقا في حقيقة أمره لأننا مأمورون ببناء الأحكام في هذه الحياة على الظاهر وترك السرائر لله تعالى فإنه لا يعلمها إلا هو سبحانه وقد رأيت فيما تقدم إنكار النبي ﷺ على أسامة بن زيد عندما ترك العمل بالظاهر وقتل من قال: لا إله إلا الله ظنا منه أنه لم يكن مخلصا في قوله.

متى يصير المؤمن كافرا

(نواقض الإيمان)

عرفت فيما تقدم كيف يدخل الناس في دين الله عز وجل والذين يلجون باب الإيمان أنواع : فمنهم من يثبته الله عليه فيموت مقرا مصدقا بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ومنهم من يرتد على عقبيه بسبب إنكاره وجحوده.

والنوع الأول يتفاوت فيه المؤمنون: فمنهم المحسنون ومنهم المقتصدون ومنهم الظالمون لأنفسهم ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا ومنهم من يعذب في النار حتى يمن الله عليه فيخلصه منها بفضله سبحانه.

وأما أسباب الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه فنذكر لك أولا القاعدة الجامعة التي اتفق عليها أهل السنة ثم نشرع في تفصيلها :

القاعدة :

فأما القاعدة العامة التي تحكم ما يُكَفِّرُ من الاعتقادات والأقوال والأفعال فنختار في التعبير عنها ما قاله الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في العقيدة الطحاوية :(ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قال:ه وأخبر مصدقين ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)

وبيان هذه القاعدة أن الشارع قد جعل للإيمان والإسلام مدخلا وبابا يدخل منه وهو كما علمت الإقرار والتصديق بالشهادتين فمن ولج إلى الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين وقد علمت فيما تقدم أن معنى شهادة (أن لا إله إلا الله) توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده في ألوهيته وعدم توجه الإنسان بالعبادة إلى غيره سبحانه وأن معنى شهادة (محمد رسول الله) الإقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من الشرائع وما أخبر به من أمور الغيب وأنه من عند ربه عز وجل والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة من صدق وأمانه وفطنة وتبليغ وعصمة وغير ذلك.

ووجب علينا هنا أن نذكر بمعنى الشهادتين

أشهد أن لا إله إلا الله معناها : لا معبود حق وبحق إلا الله.

أشهد أن محمدا رسول الله معناها : لا متبوع في هذه الأمة الاتباع المطلق إلا محمد رسول الله ﷺ.

وبعد هذا فإن من قال: قولا أو فعل فعلا يدل على إنكار شيء مما تقدم يكون قد نقض إقراره السابق بالشهادتين بشرط أن ترفع عنه عدة أمور

١- الخطأ ٢- النسيان ٣- الإكراه

وأن تقام عليه الحجة [أي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس بضوابطه]

ممن هو حجة [أي يعلم الحجة والدليل بفهم سلف الأمة]

في وقت يكون حجة [أي اختيار الوقت المناسب لإقامة الحجة وحسب حالة من تقام عليه الحجة]

فإن انتفى عنه ما سبق وأصر على إنكاره خرج من دين الله سبحانه فإن كان قوله أو فعله مطابقا لحقيقة نيته واعتقاده كان كافرا في الدنيا والآخرة فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا وتطبق عليه أحكام الردة والتي من أهمها الاستتابة ثم القتل إن لم يتب ويكون من المخلدين في نار جهنم إن مات على هذه الحال.

وأما إذا أذنب المؤمن وقال: قولا أو فعل فعلا يعد في الشرع معصية لله تعالى فلا يكون هذا بمجرده دليلا على خروجه من الإيمان وإن لم يتب منه إن لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين أو إحداهما وهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بذنبه ومعصيته وأدخله النار ثم مآله إلى الجنة لكثرة الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال: ذرة من إيمان وإن شاء سبحانه غفر له ولم يعذبه وأدخله الجنة بغير عذاب في النار فإن الله سبحانه يقول {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }النساء ١١٦

شهادة أن لا إله إلا الله: معناها . أركانها . شروطها

أ - معناها: لا معبود بحق إلا الله، أي أن كل ما عبد من دون الله فهو باطل.

أخطاء في تفسير معنى لا إله إلا الله:

يخطئ من يفسر: (لا إله إلا الله) بلا خالق إلا الله، لأن هذا معلوم لدى جميع البشر، وقد بعث النبي ﷺ إلى العرب وهم يقرون ويعترفون ويعلمون بأنه لا خالق إلا الله، وقد قال عزوجل: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله } [الزخرف: ٨٧].

وأما من قال معناها لا موجود إلا الله، فهذا خطأ، لأن الموجودات غير الله كثيرة، كالناس والدواب والسماء والأرض وغير ذلك.

إذاً معناها الحقيقي: إفراد الله بالعبادة، فهو سبحانه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى وحده دون سواه.

ب- أركان شهادة أن لا إله إلا الله:

لها ركنان:

١. النفي ٢. الإثبات

١. النفي: وهو نفي الإلهية عن سوى الله: لاإله. ويقتضي الكفر بالطاغوت وبكل ما يعبد من دون الله سبحانه، وبكل دين وملة غير ملة الإسلام والبراءة من الشرك والكفر وأهله.

٢. الإثبات: إثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه، فهو سبحانه الإله المستحق للعبادة وحده دون ما سواه: إلا الله. وهذا يقتضي الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومحبة أهل التوحيد..

قال عز وجل: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم } [البقرة: ٢٥٦].

قال ﷺ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّه) رواه مسلم.

فمن قال "لا إله إلا الله " ولم يكفر بالأديان الأخرى ويكفر الكفار لا يصح إسلامه، فالذي يعتقد أن اليهود والنصارى وجميع الكفرة أنهم على حق، وأن دينهم ليس بباطل، أو رضي بدينهم فهو كافر، ولا يصح إسلامه حتى يكفر بهذه الأديان كلها ويؤمن بدين واحد هو دين الإسلام.

ج- شروط شهادة أن لا إله إلا الله :

لشهادة أن لا إله إلا الله سبعة شروط وهي:

١. العلم: وهو العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً، المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: {فاعلم أنه لا إله إلا الله } [محمد: ١٩].

وقال عز وجل: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } الزخرف: ٨٦.

{شهد بالحق } أي: بلا إله إلا الله؛ {وهم يعلمون } أي: بقلوبهم معنى مانطقوا به بألسنتهم.

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) رواه مسلم وأحمد.

٢. اليقين: وهو اليقين المنافي للشك، وذلك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز

وجل: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله عز وجل فيهم: {إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون } [التوبة: ٤٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ). أخرجه مسلم ضمن حديث طويل.

٣. القبول: وهو القبول لما اقتضته هذه الشهادة بقلبه ولسانه، وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن ردها وأنكرها، كما قال عز وجل: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين } [الزخرف: ٢٣-٢٥].

وقال عز وجل: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون } [الصافات: ٢٢-٢٣].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِه) متفق عليه.

٤. الانقياد: ويقصد به الانقياد لما دلت عليه هذه الشهادة المنافي لترك ذلك قال الله عز وجل: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } [الزمر: ٥٤].

وقال الله عز وجل: {ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى } [لقمان: ٢٢]. أي بلا إله إلا الله.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ) أخرجه الحسن بن سفيان وصححه النووي، وقال ابن حجر رجاله ثقات.

٥. الصدق: وهو أن يقولها صدقاً من قلبه، يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: {آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } [العنكبوت: ١-٣].

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَل ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: يَا مُعَاذ ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا).

فاشترط في نجاة من قال هذه الكلمة أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب.

6. الإخلاص وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله عز وجل: {ألا لله الدين الخالص } [الزمر: ٣]، وقال عز وجل: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } [البينة: ٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ) رواه البخاري.

وعن عثمان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) متفق عليه.

٧. المحبة: ويقصد بها المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله } [البقرة: ١٦٥].

فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حباً له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً، كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه.

قال رسول الله ﷺ (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار) رواه البخاري.

وقال ﷺ (فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِه) رواه البخاري.

ب-أركان شهادة أن لا إله إلا الله:

لها ركنان:

١. النفي ٢. الإثبات

١. النفي : وهو نفي الإلهية عن سوى الله (لا إله).

٢. الإثبات : إثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه، فهو سبحانه الإله المستحق للعبادة وحده دون ما سواه (إلا الله).

قال - عز وجل -: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} البقرة (٢٥٦).

فالنفي : هو الكفر بالطاغوت وبكل ما يعبد من دون الله سبحانه وبكل دين وملة غير ملة الإسلام وهو البراءة من الشرك والكفر وأهله.

والإثبات : يؤمن بالله موحداً له سبحانه ومحباً لأهل الإيمان والتوحيد.

قال ﷺ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)، رواه مسلم.

فمن قال هذه الكلمة ولم يكفر بالأديان الأخرى ويكفر الكفار لا يصح إسلامه، فالذي يعتقد أن اليهود والنصارى وجميع الكفرة أنهم على حق، وأن دينهم ليس بباطل أو رضي بدينهم فهو كافر، ولا يصح إسلامه حتى يكفر بهذه الأديان كلها ويؤمن بدين واحد هو دين الإسلام.

أنواع النواقض :

ومن هنا تعلم أن الأمور التي تكون سببا في الخروج من دين الله عز وجل تتنوع إلى أنواع جميعها يرجع إلى تلك القاعدة العامة وكل نوع يدخل فيه صور وتفصيلات كثيرة يصعب حصرها ولكن تلك الأنواع يمكن حصرها في أربعة هي :

١- نوع يتضمن إنكار الربوبية أو الطعن فيها.

٢- نوع يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته.

٣- نوع يتضمن الطعن في الألوهية.

٤- نوع يتضمن إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها عليه الصلاة والسلام.

فهذه أربعة أنواع : ويدخل في كل واحد منها صور من الأفعال والأقوال والاعتقادات جميعها يعود على الشهادتين بالنقض وتخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله تعالى وفيما يلي تفصيل كل نوع من هذه الأنواع وتوضيحه بالأمثلة :

النوع الأول:

فقد علمت أن أول أنواع التوحيد هو توحيد الله في الربوبية والملك وهو الاعتقاد بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء ورازقه والمتصرف فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكمته سبحانه فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص الربانية أو بعضها كفر وردة فيدخل في هذا إنكار الخالق والقول بقدم شيء أي لم يخلقه الله سبحانه أو إسناد الخلق أو التدبير إلى غير الله عز وجل كالصدفة والطبيعة ونحوهما أو إنكاره ملك الله لكل مخلوق أو ادعاء الرزق من غير الله تعالى أو إشراك غيره معه في ذلك أو ادعاء أن الله خلق الخلق وأهملهم وأنه لا يتصرف فيهم ولا يحفظهم ولا يدبر أمرهم أو نحو ذلك مما فيه مساس بخصائص الربوبية.

وكذلك يعد كفرا وردة أن يدعي شخص لنفسه شيئا من هذه الخصائص كأن يدعي لنفسه الربوبية كما قال: فرعون { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } النازعات ٢٤.
أو أن يدعي أنه يملك أو يرزق أو يدبر شيئا من دون الله تعالى وكذلك يكفر من يصدقه في هذه الدعوى.

النوع الثاني :

وهو ما يتضمن الطعن في النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الله فيما يليق به من الأسماء والصفات.
فقد أثبت الله سبحانه لنفسه وأثبت له رسوله ﷺ صفات وأسماء ونفى سبحانه عن نفسه ونفى عنه رسوله صفات فمن نفى أو انتقص شيئا مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله فقد كفر وكذلك من أثبت لله شيئا نفاه عنه رسوله.

فكفر الصفات نوعان (كفر نفي ، وكفر إثبات)

ويدخل في الأول : نفي أية صفة من صفات الله سبحانه كنفي علمه الكامل أو قدرته أو حياته أو قيوميته أو سمعه أو بصره أو استوائه على العرش أو كلامه أو رحمته أو جبروته أو كبريائه أو غيرهما مما هو ثابت لله في الكتاب والسنة.
ويدخل فيه أيضا تأويل صفات الله وأسمائه بما ينقصها أو يحد من كمالها كمن يقر بعلم الله ولكنه يدعي أنه العلم الإجمالي وأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات والتفصيلات أو يشبه صفة من تلك الصفات بما عند المخلوقات فيدعي أنه عز وجل يسمع كسمع الناس أو يبصر كبصرهم ونحو ذلك.
ويدخل في النوع الثاني وهو كفر الإثبات إثبات أية صفة لله نفاها سبحانه عن نفسه أو نفاها عنه رسول الله ﷺ كإثبات الولد له سبحانه أو البنات أو الصاحبة أو السنة أو النوم أو الغفلة أو الموت أو أي نقص من النواقص التي تعتري البشر.
وكذلك يكفر كل من يثبت شيئا من صفات الله لنفسه أو لمخلوق [أي الصفة المطلقة] ويكفر من يصدقه في دعواه كقول من قال: أنا أعلم كعلم الله أو فلان عنده من الحكمة كما عند الله

سبحانه وتعالى فيكفر هذا القائل ويكفر من يصدقه في قوله لأن إثبات الشريك لله في صفاته انتقاص منه جل وعلا وكل انتقاص منه أو من صفاته كفر وردة.

النوع الثالث :

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية وهو الشهادة بأن الله وحده هو المعبود بحق وأن سواه لا يستحق أي شيء من العبادة فمن قال: قولا أو فعل فعلا أو اعتقد اعتقادا يتضمن إنكار هذا الحق لله سبحانه أو انتقاص شيء منه أو إثباته أو إثبات شيء منه لغير الله عز وجل فقد كفر وارتد عن دين الله.

وأكثر ارتداد الناس وكفرهم يرجع إلى هذا النوع فإن أكثرهم في الماضي والحاضر يقرون بوجود الخالق سبحانه وكثير منهم يثبت له خصائص الربوبية وصفاتها من قدرة وتدبير ورزق وإحياء وإماتة وغيرها.

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم قال: تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } الزخرف٨٧

وقال: أيضا (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) الزخرف ٩

وإنما دخل الكفر على معظم الكافرين بسبب إنكارهم استحقاق البارئ سبحانه وتعالى بأن يفرد في توجيه العبادة إليه سواء أكان هذا الإنكار بالقلب وهو الاعتقاد أو بما يدل عليه من القول أو الفعل وبسبب إقرارهم باستحقاق غيره لهذا الأمر سواء أكان هذا الإقرار تصديقا بالقلب واعتقادا أم كان قولا أو فعلا يدل عليه.

والواقع أن هذا النوع من الكفر يدخل صاحبه في النوعين السابقين من الكفر لأن من يعترف لله سبحانه بأنه الخالق لكل شيء والمدبر لكل شيء ويعترف له بجميع صفات الجلال والكمال يقتضيه ذلك أن يعترف له وحده دون غيره بالألوهية المطلقة واستحقاق العبودية له دون سواه فإن أنكر ذلك وعبد غيره أو عبد معه غيره فإن اعترافه لله بالربوبية باطل ولا قيمة له يقول الصنعاني (فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة فإذا لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل) [تطهير الاعتقاد – ص٩].

ولذا كان توحيد الله في عبادته موضوع الامتحان للعباد في هذه الحياة الدنيا قال: تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات ٥٦

ومن هنا يتضح أن شهادة أن (لا إله إلا الله) يناقضها أمران :

الأول : نفي استحقاق الخالق لأن يعبد بأي نوع من أنواع العبادة.

الثاني : إثبات هذا الاستحقاق لأي مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

فكل قول أو تصرف أو اعتقاد يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الكفر والردة والعبادة التي لا يستحقها إلا الله هي الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد ومما يدخل فيها الحب والخشية والاستغاثة والدعاء والتوكل والرجاء والركوع والسجود والصوم والذبح والطواف والخشوع وغيرها.

وبناء عليه فإن من ينفي بقول أو اعتقاد أو عمل استحقاق الله عز وجل لهذه المعاني يكفر فيكفر من قال: أو اعتقد أن الله سبحانه لا يُخشَى أو لا يُدعَى أو لا يُستَعَان به أو لا يركع له أو يرجى أو يسخر ممن عبد الله أو استخف بمن يدعوا الله أو يستعين به أو يرجوه بسبب دعائه لله واستعانته به أو الصلاة له أو الصوم أو الطواف أو أي فعل أو قول يعده الشرع عباده لأن استهزاءه واستخفافه لذلك أو لبعضه يدل بصورة قاطعة على عدم اعتقاده باستحقاق البارئ لهذه العبادات كذلك يكفر من أنكر استحقاقه للطاعة وامتثال أمره واجتناب نهيه فإن لله عز وجل شرعا ضمنه كتابه وأوصى به إلى رسوله ﷺ فمن ادعى أن شيئا من هذا الشرع لا يستحق الامتثال والتطبيق أو لا يصلح في هذا الزمان أو نحو ذلك كفر بهذه الدعوى لأن من خصائص الألوهية الأمر والحكم والتشريع { إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ } يوسف ٤٠ ومن خصائص العبودية الامتثال والطاعة.

وفي مقابل ذلك يكفر كل من يثبت لغير الله شيئا من تلك العبادات فيكفر من يدعي استحقاقه لتلك العبادات أو أمر الناس بممارستها له ومن أجله ويكفر من يصدقه ويرضى بقوله أو يمارس بعض تلك العبادات له وكذلك من أحب أن يعبد بأصناف تلك العبادات وأن لم يأمر الناس بذلك كمن أحب أن يخشى أو أن يستعان به أو يتوكل عليه أو يرجى أو يسجد له أو يركع له أو يخشع الناس له أو غير ذلك من المعاني التي لا يصح التوجه بها إلا إلى الله عز وجل.

ويكفر من ادعى أن له الحق في تشريع ما لم يأذن به الله بسبب ما أوتي من السلطان والحكم فيدعي أن له الحق في تحليل الحرام وتحريم الحلال ومن ذلك وضع القوانين والأحكام التي تبيح الزنا والربا وكشف العورات أو تغيير ما جعل الله لها من العقوبات المحددة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ أو تغيير المقادير الشرعية في الزكاة والمواريث والكفارات والعبادات وغيرها مما قدره الشرع في الكتاب والسنة.

ويدخل في الكفر من يؤمن بهذه الطواغيت ويعترف لها بما ادعته من حقوق الألوهية فقد قال: تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) [النحل – الآية ٣٦]

وقال: أيضا { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة – الآية ٢٥٦] والعروة الوثقى هي شهادة أن لا إله إلا الله فهذا هو معناها : أن تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

ومن هنا تعلم أنه إذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت في الكتاب أو السنة يحلل به ما حرم الله أو يحرم ما أحله الله سبحانه كفر وارتد عن دين الله القويم لأنه يعتقد بذلك أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يشرع للناس ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين.

ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه إصدار التشريعات التي تتناولها نصوص الشرع أو لم تتعرض لها ولا الأحكام الاجتهادية التي أختلف العلماء فيها.

فمن سن قانونا يبيح بموجبه الزنا أو الربا أو أي شيء من المعاصي المتفق على حرمتها في شرع الله فقد كفر ويكفر جميع من يسهم في إصدار مثل هذا القانون ولكن لا يكفر من سن قانونا ينظم فيه الأمور الاجتهادية التي فيها مصلحة للمسلمين كالقوانين التي تنظم الأعمال والوظائف تخصصا وبداية الوقت ونهاية وتحديدا للعمل وساعاته والأجر المحدد لكل عمل على حسب وقدر الجهد المبذول فيه بشرط ألا يكون فيها جور أو ظلم لحساب فئة على فئة من الناس.

وتعلم أيضا أنه يكفر من الناس من يعترف لهذه الطواغيت بهذه الحقوق ويرضى بها ويتحاكم إليها وإلى شرائعهم المناقضة للإسلام في أصوله وما علم منه بالضرورة إلا إذا كان له حق يضر به إن تركة وليس أمامه سبيل لأخذ حقه إلا بالتحاكم إلى هذه القوانين وإن ترك حقا كان له تورعا

عن اللجوء إلى هذه القوانين فهو خير له وسيعوضه ربه خيرا منها وقد قال: تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً } النساء ٦٠ وقال: تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } الشورى ٢١

النوع الرابع من النواقض :

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم لأن ذلك ينقض شهادة أن محمدا رسول الله فإن هذه الشهادة تعني التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حق وصدق وأن محمدا ﷺ أَهَّلَهُ ربه وحلاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه وأكمله وبهذا تعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين :

الأول : الطعن في رسول الله ﷺ.

الثاني : إنكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده فيكفر كل من طعن في صدق الرسول أو أمانته أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك ويكفر من سب الرسول ﷺ أو استهزأ أو أستخف به أو بتصرف من تصرفاته الثابتة.

ويدخل في الأمر الثاني إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول ﷺ وثبت عنه من سؤال الملكين وعذاب القبر والنفخ في الصور والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيرها من المغيبات ويكفر من أنكر شيئا من القرآن مهما كان لأن جميع آيات القرآن أخبر ﷺ أنها من كلام الله تعالى فمن جحد شيئا من ذلك فقد كذب الرسول ﷺ ويكفر من أنكر حكما من الأحكام الثابتة في القرآن أو السنة فيكفر كل من أنكر فريضة الصلاة أو الزكاة أو حرمة الزنا أو السرقة أو ادعى زيادة ركعة في إحدى الصلوات أو جوازها بدون وضوء ونحو ذلك.

ولكن يعذر من جحد شيئا ليس مشتهرا في الدين ولا يعلمه إلا خاصة العلماء ولا يكفر أيضا من أنكر حكما مجتهدا فيه وليس مجمعا عليه.

يقول الإمام النووي (وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئا مما أجتمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون حديث العهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئا منها جهلا به لم يكفر فأما ما كان الإجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة وعمتها وخالتها وأن القاتل عمد لا يرث وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة) ويكفر من جحد آية من القرآن أو أنكر أمرا غيبيا أو كذب خبرا عما كان وما سيكون مما ورد به القرآن الكريم.

ويكفر من جحد إرسال الرسل قبل محمد ﷺ أو جحد ما ذكر من قصصهم مع أقوامهم ومن أنكر الكيفية التي ذكرها الله عن بداية الخلق أو ادعى كيفية أخرى تخالف ما ذكر في آيات الكتاب الكريم ومن أنكر الجن والشيطان أو أنكر الكرسي والعرش واللوح والقلم ومن أنكر وجود شخصية تاريخية أثبت القرآن وجودها ومن أنكر رسالة أو نبوة من ذكر القرآن أنهم رسل وأنبياء وكذلك من طعن في أحدهم بما لا يليق باختيار الله لهم أو أنكر أن الله أرسل رسلا غيرهم ولم يسمهم لأنه صرح بذلك في أكثر من موضع ويكفر كذلك من أنكر إعجاز القرآن الكريم لأن هذا الإعجاز ثابت بإخبار الله عز وجل وبالواقع وكذلك من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدق من يدعيها لأن القرآن أخبر أن محمدا خاتم النبيين.

الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام كفر:

ومن المفيد هنا أن نكرر ما ذكرناه سابقا وهو أن تلك الصور والتفصيلات مما يحبط الشهادتين ليست إلا أمثلة وقد يوجد غيرها.

ويرجى الانتباه هنا إلى أمر قد يظن أنه لا يدخل فيما سبق مع أنه في حقيقته ينقض الشهادتين ويتضمن إنكار التوحيد والرسالة ألا وهو الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام فإن من قال: صدقت لمن أنكر الشهادتين ومن قال: كذبت لمن نطق بهما لا يشك أحد في كفره حتى وإن كان القول الأول مجاملة للقائل وهنالك أساليب مختلفة من الأقوال والأعمال والأحوال لا تقل دلالتها

في عرف الشارع وفي عرف الناس وعرف اللغة عن قول صدقت لمن كفر أو كذبت لمن أسلم فمن صدرت منه خرج من دين الإسلام ومن هذه الأساليب.

أولا : أساليب الرضى بالكفر.

١- عدم تكفير الكافرين من ملحدين ومرتدين ومشركين :

أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة فمن علم من شخص أو جماعة أو مذهب أو حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو أهل دين من الأديان كفرا واضحا فاعتقد عدم كفرهم أو ردتهم أو قال: عن مذاهبهم أو بعضها أنه صحيح فقد دخل معهم في الكفر وأصبح مثلهم مع تقييد هذا الأمر بقول أهل العلم الربانيين حتى لا تكون فتنة واتباع هوى أو يقع الهرج والمرج في مثل هذه الأحكام.

ولكن هذه القاعدة تحتاج إلى بيان واحتياط عند تطبيقها ذلك أنه يفترض من أجل الحكم بردة هذا الإنسان أنه يعلم حقيقة من يحكم بإسلامهم وعدم كفرهم فإن كان لا يعرف حقيقتهم وما هم عليه من الكفر فلا يجوز الحكم عليه بالردة من أول الأمر وإنما يبين له بوسائل البيان السليمة التي لا يبقى بعدها شك فيما ينسب إليهم فإن أنكر بعد هذا كفرهم أعتبر حكمه هذا ردة وكفرا لأن إنكاره في حقيقته تبن لمذهبهم واعتراف بصحته.

على أنه ينبغي أن يلاحظ أن كفر بعض الطوائف أصبح مشتهرا ومعلوما بين الناس بالضرورة كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم فيكفر كل من ينكر كفر هؤلاء من أول الأمر.

وأما المذاهب والطوائف التي لا يفترض اشتهارها بين الناس وعلم مبادئها الكافرة فينبغي أن يتريث في تكفير من لا يحكم بردة أتباعها حتى يبين له بما يقطع الشك ويتعرف على مواقع الكفر في هذه المذاهب والطوائف وخاصة أن بعض هذه الطوائف تنسب نفسها إلى الإسلام وتتظاهر أمام العامة أنها لا تنكر شيئا من الإسلام وتخفي عنهم بادئ الأمر ما ينفرهم عنها مما فيه الإنكار الصريح الواضح لمبادئ الإسلام أو بعضها.

كذلك يشترط لتكفير هذا الصنف من الناس أن يكون المحكوم عليهم قد كفروا بأمر متفق على الكفر بسببه فإن كان مختلفا فيه بين العلماء المعتبرين بعضهم يعده من النواقض وبعضهم لا

يعده لم يجز تكفير من لم يكفرهم كتكفير الخوارج وبعض الفرق الأخرى التي لم يتفق على ردتها ويدخل في هذا من لم يكفر تارك الصلاة عمدا الذي لم يجحد فرضيتها فإذا تحققت هذه الشروط وأنكر المسلم كفر الكافرين وصحح ما هم عليه كان في حقيقة الأمر كالناطق المعتقد بالسبب الذي أدخلهم في الكفر فيكون ناقضا بذلك ما سبق منه من الشهادتين ومن جهة أخرى يكون منكرا للنصوص والدلائل التي تكفر أمثالهم فيكفر بسبب إنكاره لهذه النصوص.

٢- موالاة الكفار وإظهار موافقتهم على دينهم :

فقد علمت أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي استحقاق العبادة لغير الله عز وجل فوق ما تدل عليه من إثبات هذا الاستحقاق لله وحده وهو ما دل عليه قوله تعالى أيضا { أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } [النحل – الآية ٣٦] فلا يكفي في تحقيق معنى هذه الشهادة إلا أن يعبد الإنسان ربه حتى يتجنب عبادة غيره من جهة وينفي استحقاق أي مخلوق لأي من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله من جهة أخرى وهذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه ومما لا جدال فيه أيضا أن من أظهر خصائص الكفار أنهم لا يعبدون الله حق عبادته أو أنهم يشركون معه في العبادة غيره زيادة على ما قد يكون منهم من إنكار للرسالة أو طعن في الرسول ﷺ أو غير ذلك من الأمور المناقضة للإسلام والمضادة للشهادتين وهذا أمر متفق عليه أيضا.

وبناء على هاتين المسلمتين يتحدد الموقف الذي يتفق مع الشهادتين من أعداء الله وأعداء دينه من الكفار والمشركين والمرتدين ويتبين الحد الذي يجب أن يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه من أجل الحفاظ على دينه وإيمانه في معاملتهم وبناء العلاقات معهم وهو الحد الذي لا يفهم من الوقوف عنده الموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم فإذا تخطى المسلم هذا الحد ودخل في طاعة الكفار وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال وو الاهم وقطع الموالاة مع المسلمين ورفع علاقته معهم على علاقته مع المسلمين وضحى بالثانية من أجل الأولى فقد صار منهم وارتد عن دينه وكان كافرا من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يقع تحت سلطان الكفار فيأمرونه بطاعتهم في باطلهم ويهددونه بالقتل أو يشرعون في تعذيبه فيجوز له عندئذ فقط الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان ومع أن هذا الأمر يدخل في معنى الشهادتين كما تقدم فإنه ورد في القرآن آيات كثيرة جدا تفرض على

المؤمن قطع الولاء للكفار وتوجب عليه معاداتهم في الدين ويدل كثير من هذه الآيات في ظاهره على كفر وردة من لم يقم بهذه الفريضة فإذا رجعت إلى المعنى الذي تدل عليه الشهادتان وجمعته مع هذا الظاهر الذي تدل عليه هذه النصوص عرفت أنه على حقيقته ولا يجوز تأويله ونذكر لك فيما يلي بعض هذه النصوص لا جميعها فإنها كثيرة كثيرة لا يزيد عليها إلا ما جاء بخصوص التوحيد والأمر بعبادة الله :

١- قوله تعالى : { لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران – الآية ٢٨].

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء قال: ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ) (ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر) وأما قوله تعالى (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً) فهو كقوله تعالى { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل:١٠٦) وهو أن يكون المسلم مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم فيظهر لهم من المعاشرة والقلب مطمئن بالإيمان بالله ومليء بالعداوة والبغضاء للكفر وأعداء الله قال: ابن جرير (إلا أن تتقوا وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل) وسيأتيك إن شاء الله تعالى بيان حد الإكراه المعتبر في هذا المقام.

٢- قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } [المائدة – الآيتان ٥١-٥٢].

فنهى سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى وذكر أن من والاهم كان منهم فمن تولى اليهود فهو يهودي ومن تولى النصارى فهو نصراني وكذلك من تولى أي كافر فهو مثله في كفره لأن المتولي

متبن لما عليه ذلك الكافر وراض عنه فيكون مثله من حيث الكفر وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: قال: عبد الله بن عتبة (ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر) قال: فظننا يريد هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء) إلى قوله تعالى (فَإِنَّهُ مِنْهُمْ).

ثم تأمل عذر هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم لليهود والنصارى والذي لم يقبله الله عز وجل منهم وهو خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم على مراكزهم وأموالهم ودنياهم فإن تأملك هذا يعطيك ضوءا وإشارة إلى معنى الإكراه وما يعتبر منه وما لا يعتبر وهو ما وعدناك بالكلام عنه بعد الانتهاء من ذكر هذه الآيات.

٣- قوله تعالى : { تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } [المائدة – الآيتان ٨٠ – ٨١].

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي مرتبط بعدم ولاية الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ومن جهة أخرى فقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب وأخبر أن موالاتهم لا تحصل من مؤمن فإن أهل الإيمان يعادونهم ولا يوالونهم.

ثم انظر كيف اعتبر سبحانه وتعالى عدم الموالاة للكفار داخلا في معنى الشهادتين اللتين عبر عنهما بالإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ووجه الارتباط هو ما قدمناه لك في مبدأ الكلام عن الموالاة للكفار والموافقة على دينهم.

٤- قوله تعالى : { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعا }[النساء – الآيتان ١٣٨-١٣٩]. فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يود كافرا فمن ود كافرا فليس بمؤمن وإذا كان الله قد نفى الإيمان عمن يود أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا كفارا فمن ود الكفار الأبعدين أولى بأن لا يكون مؤمنا.

٥- وقوله تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة:٢٢}

٦- وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد – الآيات ٢٥ -٢٨].

فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة والكفر هو قولهم للذين كفروا سنطيعكم في بعض الأمر فلم ينفعهم ما علموه من الهدى والحق مع ما قال:وه وما وعدوه للذين يكرهون الإسلام.

٦- قوله تعالى { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ } [النساء – الآية ١٤٠].

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم هذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده فدعا الكافرين بالله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحابا وجلساء ومستشارين وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم وطرد علماء المسلمين وأبعدهم فهذا أسلوب من أساليب الرضى بالكفر والكفار يبعد صاحبه عن الإيمان ويدخله في الكفر والعياذ بالله لأن السكوت في مجالس الكفر وما يكون فيها دليل كاف على الموافقة إذا كان بالاختيار وليس تقية كما قال: تعالى { إلا أن تتقوا منهم تقاة }.

فيجب على المؤمن أن يحذر ذلك كما يحذر الكفر الصريح فيلزمه مفارقة هذه المجالس حتى ينجو من عذاب الله ولا يمنعه من ذلك خوف على مال أو مركز أو أي عرض من أعراض هذه الدنيا فإن الله سبحانه أحق أن يخشاه.

معنى الموالاة للكفار:

تلك بعض النصوص التي يدل كل واحد منها على ردة من يوالون الكفار والمشركين فكيف إذا اجتمعت وجمعت معها غيرها مما لم يذكر وعرفت تناقض موالاة الكفار مع الشهادتين.

وليس لقائل أن يقول أن معنى الموالاة غير محدد إذ يدخل فيه أمور كثيرة قاصدا بذلك أننا لا نستطيع أن نتخذه معيارا في معرفة من يكفر ومن لا يكفر لأن الله سبحانه وتعالى لا ينهى عن شيء غير محدد وغير معروف ولا يحكم بردة من دخل في أمر غير واضح وغير متميز وإلا لكان أمره ونهيه في هذا الموضوع عبثا لا يمكن تطبيقه وهذا قول لا يقوله مؤمن بالله وصفاته فإن قيل : فما معنى الموالاة ؟

فاعلم أن هذا اللفظ مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب والولاية ضد العداوة والولي عكس العدو والمؤمنون أولياء الرحمن والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعة أمره وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته.

ومن هنا يتبين أن موالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا وقد أشارت النصوص إلى كثير من هذه الأمور التي تدخل الإنسان في الولاء للكفار من ذلك : اتباع أهوائهم وقد نهى الله عن اتباعها قال: تعالى { وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ } [البقرة – الآية ١٢٠].

وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به قال: تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ } [آل عمران – الآية ١٤٩].

وقال: سبحانه { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } [الكهف – الآية ٢٨]

وقال: أيضا { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } [الأنعام – الآية ١٢١].

والركون إليهم قال: تعالى { وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } [هود – الآية ١١٣]. ومداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين

قال: عز وجل { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } [القلم – الآية ٩].

وإظهار الود لهم قال: تعالى { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [المجادلة – الآية ٢٢].

ويدخل في جملة ما تقدم إكرام الكفار وتقريبهم وخاصة من الحكام ومشاورتهم في الأمور الهامة واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ومعاونتهم على ظلمهم ونصرتهم والتشبه بأعمالهم وعاداتهم وتقال:يدهم وأخذ الأمة بوسائل الترغيب والترهيب والإعلام وغيرها للتشبه بهم وتقليدهم في شؤون الحياة واستعارة قوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها في أمر دينهم أما ما يخص أمور الدنيا فلا حرج في الاستفادة منهم ما لم يكن لذلك أثر سيء على الدين.

ويدخل فيه معاونتهم والتآمر والتخطيط معهم وتنفيذ مخططاتهم والدخول في تنظيماتهم وأحلافهم والتجسس من أجلهم ونقل عورات المسلمين وأسرار الأمة إليهم والقتال في صفهم ويدخل فيه استئمانهم وقد خونهم الله عز وجل وتوليتهم المراكز الهامة وتنصيبهم في أهم الوظائف وأخطرها وخاصة في الجيش والمرافق العامة.

كما يدخل فيه تحسين أفكارهم ومناهجهم وقيمهم وتصوراتهم والدعوة إليها وتفضيل علمائهم على علماء المسلمين فمن اجتمعت عندهم هذه الأمور أو قدر منها وكان ذلك له خلقا وعادة فقد أقام الدليل على أنه راض بكفر الكافرين فيكون مثلهم بل منهم ولا ينجيه من الكفر إلا إيمان جديد وإقلاع عن موالاة الكفار.

ما يقبل وما لا يقبل من الأعذار في هذا المقام :

هذا وقد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على ملكهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح ولا يعتبرها الله سبحانه ولا يعذرهم من أجلها وجميعها من تزيين الشيطان وتسويله وحب الدنيا والطمع في زينتها ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذرا لأحد في إظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم إلا عذرا واحدا هو الإكراه حيث قال: عز وجل { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [النحل – الآيتان ١٠٦/١٠٧]

وقال: أيضا {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران – الآية ٢٨]

على أن الإكراه لا ينفع أحدا فيما يتعلق بالرضى القلبي والميل الباطني إلى الكفار فهذا غير مأذون فيه على أية حال لقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالإيمان) ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب ولكن محل العذر هو محل تأثير الإكراه وهو النطق باللسان وفعل الجوارح فمن والى الكفار بقلبه وميله إليهم فهو كافر على كل حال فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار وإن لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالإسلام ظاهرا عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار.

حدود الإكراه المعتبر :

ولكن ما حدود الإكراه المقصود في هذا المقام ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد ولا يكون الكلام إكراها وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراها ومثل هذا لا يكون إكراها على الكفر فإن الأسير إذا خشي الكفار أن لا يزوجوه أو يحولوا بينه وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر).

وهكذا يرى الإمام أحمد بن حنبل ويوافقه ابن تيمية رحمهما الله تعالى أن الإكراه في مقام التظاهر بالكفر سواء كان نطقا بكلامه أو موالاة للكفار لا يعتبر إلا إذا وصل إلى حد التعذيب من ضرب أو قتل ونحو ذلك وأما ما دونه من طمع في رياسة أو في مركز يعين الكفار على توليه أو بقائه أو خوف على مال أو عيال أو وطن أو غير ذلك فإنه لا ينفع ولا يقبل منه.

وهذا الذي ذهب إليه تدل عليه النصوص السابقة التي نهت عن موالاة الكفار واعتبرته سببا من أسباب الكفر والردة ففي الآية التالية للآية التي عذر فيها الله سبحانه وتعالى المكره فيما يتلفظ به من كلام الكفر قرر سبحانه أن حب الدنيا والعمل من أجل حظوظها لا ينفع صاحبه ولا يشفع له عند الله تعالى إن صدر منه ما يستلزم الكفر فقال: سبحانه وتعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [النحل – الآية ١٠٧].

وفي آية أخرى توعد سبحانه وتعالى من اتخذ أباه أو أخاه وليا من دون الله فقال: تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [التوبة – الآية ٢٣].

فانظر كيف نفى صلة القرابة مهما كانت قوية عذرا في إظهار الموالاة للكفار فإن لم يكن حب الأب والأخ والولد عذرا في ولاية الكفار فكيف أن يكون كذلك حب الزعامة والأموال وزينة الحياة الدنيا بل إن الله عز وجل رفض الاعتذار بثمانية أعذار كثيرا ما يعتذر الناس بها في ترك ما يحب الله ورسوله وهو قوله تعالى { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة – الآية ٢٤].

ولا شك أن موالاة الكفار فيها إظهار لحبهم ومودتهم وتفضيلهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ومثل هذا قوله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ } [المجادلة – الآية ٣٢].

فلا عذر لإنسان في موالاة الكفار خوفا على الأموال والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس وانظر كيف رفض الباري عز وجل قبول عذر أناس كانوا يتولون اليهود والنصارى عندما قالوا نخشى أن تصيبنا دائرة فقال: سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ } [المائدة – الآيتان ٥١ / ٥٢].

وهذه في حال كثير من المرتدين في الفتنة في هذه الأيام وما أشبه أعذار كفار الأمس بأعذار كفار اليوم فتجدهم يعتذرون بنفس العذر ويخافون الدائرة التي خاف منها أولئك القوم فيقولون لك كيف لنا أن لا نوالي فلانا أو تلك الطائفة وكيف لنا أن لا نظهر المودة لها ونجاملها ولو كان على حساب الدين والعقيدة وهي تتمتع بالعطف والحماية من دول عظمى لا نقدر الوقوف أمامها أو يقولون لك كيف نتجاهل رغبة تلك الدولة العظيمة ولو كانت رغبتها قتل المسلمين وتشريدهم وإفساد أخلاقهم وإبعادهم عن دينهم والتنازل عن أراضيهم ، كيف لنا ذلك ؟

ويقولون لك تعلم أنه لا يستطيع أمثالنا الثبات لحظة في مكانه الذي هو فيه إن لم ننفذ لها رغباتها أننا لا نستطيع التضحية بمراكزنا ومكاسبنا وهذا هو الخوف الذي لا يجوز أن يكون إلا لله عز وجل وقد علمت أنه يكفر من يجعله لغير الله فهؤلاء قد كفروا مرتين لموالاتهم للكفار ولعبادتهم إياهم بخشيتهم لهم خشية لا تصح إلا لله عز وجل.

فهذه النصوص وغيرها تدلك على أن الله عز وجل لا يعذر أحدا في موالاة الكفار إلا من كان حاله كحال عمار بن ياسر رضي الله عن آل ياسر الذي نزل في حقه تفضل الله تعالى على العباد بالأعذار بالإكراه وهو قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)

وهذا يقتضي أن يكون المكره تحت سلطان الكفار ويقدرون عليه وتكون الرخصة عندئذ في وقت الإكراه ولا يجوز اللجوء إليه بعد زوال التعذيب فإن عادوا إلى تعذيبه كان له العودة إلى الرخصة فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: لعمار بعد ما عرف حاله (فإن عادوا فعد) وذلك كما جاء في حلية الأولياء.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْيَقْطِينِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا حَكِيمُ بْنُ سَيْفٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ، قال: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارًا فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " مَا وَرَاءَكَ؟ " قال: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نُلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ "، قال: أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ، قال: " فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ

قال: ابن قدامة (فإذا ثبت - أي المكره - أنه لم يكفر فمتى زال عنه الإكراه أمر بإظهار إسلامه فإن أظهره فهو باق على إسلامه وأنه أظهر الكفر حكم أنه كفر من حين نطق به لأننا تبينا بذلك أنه كان منشرح الصدر بالكفر من حين نطق به مختارا له) علي أن أفضل لمن أكره على كلمة الكفر أو على موالاة الكفار والموافقة على دينهم أن يصبر ولا يمتثل لهم حتى ولو أتى ذلك على نفسه لما روى خباب عن رسول الله ﷺ أنه قال: كما عند البخاري حيث قال:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا : لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قال: " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى

رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ "

ويشهد لهذا أيضا ما ورد في الصحيح من قصة أصحاب الأخدود وما فعلوه بالمؤمنين فصبر المؤمنون على التحريق في سبيل الله ولم يصدهم الأخدود المؤجج بالنيران عن دينهم القويم فثبتوا عليه وضحوا بأنفسهم في سبيله وهو تفسير قوله تعالى { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } [البروج - الآيات ٤-٧].

وقال: الإمام القرطبي رحمه الله (أجمع العلماء أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله ممن اختار الرخصة).

بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام :

ونذكر لك أيضا بعضا من مظاهر كره الإسلام التي تؤول إلى الردة والكفر وإن شهد الشهادتين وسمى نفسه مسلما منها :

أولا: الاستهزاء بشيء معلوم من دين الإسلام ويدخل في ذلك الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه أو بالمؤمنين بسبب إيمانهم ونحو ذلك وأصل هذا قوله تعالى { قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ } [التوبة - الآيات ٦٥-٦٦].

ومناسبة نزول هذه الآيات أنه قال: رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء – فقال: عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق قال: ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وأن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله (أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) ما يلتفت إليه وما يزيد عليه.وإليك الحديث

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: ثني هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قال: " قال: رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ، أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ ألسنًا، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقال: رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قال: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ {٦٥} لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ.

وصور الاستهزاء كثيرة جدا ولا تدخل تحت حصر

ثانيا: الاستخفاف بالدين وعدم الرضى عنه أو عن شيء منه وقد يكون كلاميا وقد يكون فعليا بالحركة والإشارة كالغمز بالعين وإخراج اللسان ومد الشفة والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أو عند ذكر عقيدة الإسلام أو شيء من مبادئه المعلومة بالضرورة ونحو ذلك.

الثالث : ظهور الكراهية والغضب عند ذكر الله أو رسوله أو تلاوة كتابه أو ذكر شيء من أمور الدين المعروفة أو الدعوة إليه فقد قال: عز وجل {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحج – الآية ٧٢] وقال: أيضا {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد – الآية ٩].

نصوص بعض العلماء فيما يكون سببا للردة :

ومن المفيد في ختام هذا البحث أن نذكر لك بعض النصوص لبعض العلماء مما نصوا عليه من الأفعال والأقوال والاعتقادات التي تؤول بصاحبها إلى الخروج من دين الإسلام ليكون الأخ القارئ على بينة منها فلا يقع فيها وليحذر إخوانه منها ومن الوقوع فيها فإن معظم ما ذكروه متفق عليه وما اختلف فيه لا يقل على أن يكون كبيرة من الكبائر :

١- ففي كتاب الزواجر عن ارتكاب الكبائر قال: الإمام ابن حجر الهيثمي : (فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ولو كان محالا عقليا فيما يظهر فيكفر حالا أو عناد أو استهزاء كأن يعتقد قدم العالم أو نفي ما هو

ثابت لله بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة كإنكار علم الله أو قدرته أو كونه يعلم الجزئيات أو إثبات ما هو منفي عنه سبحانه [كاللون والجسم والتحييز وما شابه ذلك]).

ثم شرع في بيان تفصيلات كثيرة لهذه القاعدة التي ذكرها فقال: (وفي معنى ذلك كل من فعل فعلا أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان مصرحا بالإسلام كالمشي إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير وغيرها أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن أو فيها اسم الله تعالى في نجاسة أو يشك في نبوة نبي أجمع عليها أو في إنزال كتاب كالتوراة أو الإنجيل أو زبور داود أو صحف إبراهيم ﷺ أو في آية من القرآن مجمع عليها أو في تكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة أو في مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام أو في صفة الحاج أو هيئته المعروفة وكذا الصوم والصلاة أو استحل محرما كذلك كالصلاة بغير وضوء أو استحل إيذاء مسلم أو كافر ذمي بلا مسوغ شرعي بالنسبة لاعتقاده أو حرم حلالا كالبيع والنكاح أو يقول عن نبينا ﷺ: كان أسود أو توفى قبل أن يلتحي أو ليس بقرشي أو عربي أو إنسي لأن وصفه بغير صفته تكذيب له ويؤخذ منه أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها كفرا كما لو جوز بعثة نبي بعده وقال: لا أدري أهو الذي بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره أو قال: إن النبوة مكتسبة أو أن رتبتها يوصل إليها بصفاء القلب أو يقول الولي أفضل من النبي وأنه يوحى إليه وإن لم يدع نبوة أو يدخل الجنة قبل موته أو يعيب نبينا محمدا ﷺ ومثله غيره من الأنبياء بل والملائكة أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو يلحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك أو يسبه بشيء عن طريق الإزدراء أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو تمنى معرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه عن طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عير بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه فيكفر بواحد مما ذكر إجماعا فيقتل ولا تقبل منه توبته عند أكثر العلماء وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال: له (عند صاحبكم) وعد هذه الكلمة تنقيصا له ﷺ.

ثم قال: ابن حجر (أو يرضى بالكفر ولو ضمنا كأن يشير على كافر بأن لا يسلم وإن لم يستشره أو سؤال الكفر لغيره لأنه رضي به أو يقول لمسلم : يا كافر بلا تأويل لأنه سمى الإسلام كفرا أو يسخر باسم الله تعالى أو نبيه بأن يصغره أو يسخر بأمر الله أو نهيه أو وعده أو وعيده كأن يقول : لو

أمرني بكذا لم أفعله أو لو جعل القبلة هنا ما صليت إليها أو لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافا أو عنادا أو يقول لو أخذني بترك الصلاة مع ما في من الشدة والمرض ظلمني أو قال: ظالم لمظلومه القائل (هذا الظلم بتقدير الله) أنا أفعل بغير تقدير الله أو قال: لو شهد عندي ملك أو نبي ما صدقته أو لو كان فلانا نبيا ما آمنت به أو قال: إن كان ما قال:ه النبي صدقا نجونا أو قيل له قلم أظافرك فإنه سنة فقال: لا أفعل وإن كان سنة استهزاء أو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع

ومثلها في ذلك سائر الأذكار كما هو ظاهر أو قال: المؤذن يكذب أو شبه صوته بناقوس الكفر أو استخف بالأذان أو سمى الله على محرم استهزاء أو قال: لا أخاف القيامة استهزاء أو قال: عن الله أنه لا يتبع السارق ناسبا العجز إليه أو نسب الله تعالى إلى جور في التحريم أو لبس زي كافر ميلا إلى دينه أو قال: اليهود خير من المسلمين أو قيل له ما الإيمان فقال: لا أدري استخفافا أو أنكر صحبة أبي بكر أو قذف عائشة رضي الله عنها لأنه مكذب للقرآن بخلاف غيرهما أو قال: أنا الله ولو مازحا أو قال: لا أدري حقه جحدا للواجبات أو قال: استخفافا شبعت من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو نحو ذلك أو قال: أي شيء المحشر أو جهنم أو قال: لعنة الله على كل عالم إذا قصد الاستغراق لشموله الأنبياء أو الملائكة أو قال: أي شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف أو قال: إذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وعنى بذلك رفع الأحكام أو أنه فني من صفاته الناسوتية إلى اللاهوتية أو أنه يرى الله عيانا في الدنيا أو يكلمة شفاها أو أنه يحل في صورة حسنة أو أنه أسقط عنه التكليف أو قال: العبد يصل إلى الله تعالى من غير طريق العبودية أو قال: الروح من نور الله فإذا اتصل النور بالنور اتحدا.

وأنقل هنا كلاما لابن تيمية رحمه الله تعالى حول معنى قوله تعالى { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة – الآية ٤٤].

حيث قال: (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم والعدل وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير منهم من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا

يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار).

وفي نفس الموضوع يقول شارح العقيدة الطحاوية) وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر).

ويقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ } [المائدة – الآية ٥٠]. (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يعضونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير).

ويقول الشيخ أحمد شاكر تعليقا على كلام ابن كثير السابق : (أقول : أفيجوز - مع هذا - في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبة الوثنية الملحدة ؟ بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها ؟

بل أصبحنا الآن نجد من يجهر بأن يتحاكم غير المسلمين إلى شرائعهم أما المسلمون فإنهم لا يتحاكمون إلى شريعتهم. فيا للعجب.

إن المسلمين لم يبالوا بهذا قط – فيما نعلم من تاريخهم – إلا في ذلك العهد عهد التتار وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له بل غلب الإسلام التتار ثم مزجهم فأدخلهم في شرعته وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشرعتهم وبما أن هذا الحكم السيئ الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية

المحكومة ولم يتعلموه ولم يعلموه أبناءهم فما أسرع ما زال أثره أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير – في القرن الثامن – لذاك القانون الوضعي الذي وضعه عدو الإسلام جنكزخان ؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر ؟ إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفا : أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمن سريعا فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت

ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا وأشد ظلما وظلاما منهم لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه شيء بذاك (الياسق) الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر هذه القوانين التي يصنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا (الياسق العصري) ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم (رجعيا) و (جامدا) إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة.

بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقى في الحكم من التشريع الإسلامي يريدون تحويله إلى (ياسقهم) الجديد بالهوينا واللين تارة وبالمكر والخديعة تارة وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات ويصرحون ولا يستحيون بأنهم يعملون على فصل الدولة عن الدين أفيجوز إذن – مع هذا – لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد أعني التشريع الجديد ؟

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها فليحذر امرؤ لنفسه وكل امرئ حسيب نفسه.

٢- ويقول الشيخ أحمد شاكر أيضا فيمن ينكرون حد السرقة (هذا حكم الله في السارق والسارقة قاطع صريح اللفظ والمعنى لا يحتمل أي شك في الثبوت ولا في الدلالة وهذا حكم رسول الله تنفيذا لحكم الله وطاعة أمره في الرجال والنساء قطع اليد لا شك فيه حتى أنه ليقول ﷺ فيما رواه البخاري وغيره وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَال: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالوا : وَمَنْ

يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ، قال: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "

فانظروا إلى ما فعل بنا أعداؤنا المبشرين المستعمرون ؟ لعبوا بديننا وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة نسخوا بها حكم الله وحكم رسوله ثم ربوا فينا ناسا ينتسبون إلينا أشربوهم في قلوبهم بغض هذا الحكم ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر: إن هذا حكم قاس لا يناسب هذا العصر الماجن عصر المدنية المتهتكة وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم فنتج عن هذا أن امتلأت السجون – في بلادنا وحدها – بمئات الألوف من اللصوص بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة ليست برادعة ولن تكون أبدا رادعة ولن تكون أبدا علاجا لهذا الداء المستشري ثم أدخلوا في عقول الطبقة المثقفة وخاصة القائمين على هذه القوانين الوثنية ما يسمونه (علم النفس) وهو ليس بعلم ولا شبيه به بل هو أهواء متناقضة متباينة لكل من دخل في هذا العلم رأي ينقض رأي مخالفه ثم جاءوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من علم النفس لكل لص بحسبه ثم زاد الأمر شرا أن يكتب اللصوص أنفسهم كلاما يلتمسون به الأعذار لجرمهم وقام المدافعون عنهم المقامات التي توردهم النار: يعلمون أن الجريمة ثابتة فيحاولون إنكارها بل يحاولون التهوين من شأنها بدراسة نفسية المجرم وظروفه. ولقد كانت أقوال كثير منهم تثير العجب والسخرية فليس عندهم إلا أن حكم القرآن في هذا لا يناسب العصر وأن المجرم إن هو إلا مريض يجب علاجه لا عقابه ثم ينسون قول الله سبحانه في هذا الحكم { جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ } [المائدة – الآية ٣٨]. فالله سبحانه وهو خالق الخلق وهو أعلم بهم وهو العزيز الحكيم يجعل هذه العقوبة للتنكيل بالسارقين نصا قاطعا صريحا فأين يذهب هؤلاء الناس.

المسألة عندنا نحن المسلمين هي من صميم العقيدة ومن صميم الإيمان فهؤلاء المنتسبون إلى الإسلام المنكرون حد القطع أو الراغبون عنه سنسألهم أتؤمنون بالله وبأنه خلق هذا الخلق فسيقولون نعم أفتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون وبأنه أعلم بخلقه من أنفسهم وبما يصلحهم وبما يضرهم فسيقولون نعم أفتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق وأنزل عليه

هذا القرآن من لدنه هدى للناس وإصلاحا لهم في دينهم ودنياهم فسيقولون نعم أفتؤمنون بأن هذه الآية بعينها {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} [المائدة – الآية ٣٨] من القرآن فسيقولون نعم إذن فأنى تصرفون وعلى أي شرع تقومون أما من أجاب ممن ينتسب للإسلام على أي سؤال من هذه السؤالات بأن لا فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل مثقف أو أمي أن من يقول في شيء من هذا لا فقد خرج من الإسلام وتردى في حمأة الردة وأما من عدا المسلمين ومن عدا المنتسبين للإسلام فلن نجادلهم في هذا ولن نسايرهم في الحديث عنه إذ هم لم يؤمنوا بمثل ما آمنا به ولن يرضوا عنا أبدا إلا أن نقول مثل قولهم عياذا بالله من ذلك ولو عقل هؤلاء الناس الذين ينتسبون للإسلام لعلموا أن بضعة أيد من أيدي السارقين لو قطعت كل عام لنجت البلاد من آفة السرقة واللصوص ولما وقع كل عام إلا بضع سرقات كالشيء النادر ولخلت السجون من مئات الألوف التي تجعل السجون مدارس حقيقية للتفنن في الجرائم لو عقلوا لفعلوا ولكنهم يصرون على باطلهم ليرضى عنهم سادتهم ومعلموهم وهيهات.

٣- ومن فتاوى العلماء المسلمين حول بعض الطوائف المرتدة عن دين الإسلام أنقل لك جواب ابن تيمية رحمه الله تعالى على سؤال عن طائفة من هذه الطوائف تسمى (النصيرية) فقال: الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أكثر من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن وليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه - إلى أن قال: - ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله النصارى على ثغور المسلمين فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ

بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك ثم لما أقام الله ملوك المسلمين من المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين وصلاح الدين وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنه واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون (الملاحدة) وتارة يسمون (القرامطة) وتارة يسمون (الباطنية) وتارة يسمون (الإسماعيلية) وتارة يسمون (الخرمية) وتارة يسمون (المحمرة) وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين.

والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب وأيضا فإن ضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه عن أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

الاحتياط في تكفير المعينين :

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية :

أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرفة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال: فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر ويقال: من قال:ها فهو كافر ونحو ذلك وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافرا فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل ويخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما

وراء ذلك من النصوص ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذي قال: (إذا مت فاسحقوني ثم أذروني) ثم غفر الله له لخشيته وذلك لما رواه البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا يَعْنِي أَعْطَاهُ، قال: فَلَمَّا حُضِرَ، قال: لِبَنِيهِ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ، قالوا : خَيْرَ أَبٍ، قال: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، فَسَّرَهَا قَتَادَةُ : لَمْ يَدَّخِرْ وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا، فَاسْحَقُونِي أَوْ قال: فَاسْهَكُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، فَقال: اللَّهُ : كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قال: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ، قال: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ "، فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ، فَقال: سَمِعْتُ سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ : فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ، وَقال: مُعَاذٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، عَنِ النَّبِيِّ

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل أنه كفر والقائل به يكفر بتوافر شروط وانتفاء موانع.

والشروط والموانع أربعة

العلم ويقابله الجهل العمد ويقابله الخطأ القصد ويقابله التأويل الاختيار ويقابله الإكراه

الشروط	الموانع
العلم	الجهل
القصد	التأويل
العمد	الخطأ
الاختيار	الإكراه

يتضح لك من هذا الكلام أنه ينبغي الاحتياط في تكفير الأشخاص المعينين وهنا أمور هامة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند الكلام عن نواقض الإسلام :

الأمر الأول : إن هنالك أمورا كثيرة تتناقض مع الشهادتين إما لمنافاتها للإيمان بالله وإما لمناقضتها للإيمان برسول الله ﷺ وما جاء به فيجب على كل من يعلمها ويعلم ما يدل عليها من النصوص أن ينبه عليها ويحذر منها ويفصل أنواعها وضوابطها بقدر ما أوتي من العلم ويبين أدلتها من القرآن والسنة فهذا من بيان الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفاعل لذلك له أجره عند ربه إن أخلص النية.

الأمر الثاني : أن هذه الأمور المكفرة تختلف في قوة دلالتها على الكفر فمنها ما يدل عليه بصريح العبارة لا بما يلزم منها ومنها ما يدل على الكفر ما يلزم منه لا بصريح العبارة وهذا النوع الثاني منه ما يكون لازمه قريبا ومفهوما بأدنى تأمل ومنه ما يكون أبعد من ذلك.

فمن وقع في النوع الأول أمكن الشهادة عليه بالكفر ولا يعذر فيه أحد إلا المكره بالمعنى المتقدم وفي حدود التلفظ به باللسان دون الاعتقاد به وكذلك ما يقترب منه من النوع الثاني كمن يدعي أنه إله فإنه يستلزم الشريك لله تعالى وإن لم ينف الألوهية عن الله تعالى ومثله من يدعى إحدى خصائص الألوهية كحق التحليل والتحريم للعباد.

وكمن يقول بقدم العالم فإنه يلزم منه القول بأن الله لم يخلق ولا تأويل له غير ذلك فهو في قوته كالكفر الصريح ولا يعذر قائله وكمن يصدر عنه الرضا الصريح بالكفر كمن يقول لمن أنكر وجود الله : صدقت أو أنك على حق فهذا لا يقل في دلالته على الكفر من قول المنكر نفسه وقد يكون سبب القوة كثرة صدور أفعال الكفر وأقواله من شخص معين وإقامته عليها ومن هذا إقامة الشخص على موالاة الكفار وكثرة حصول أفعال منه فإن من المستحيل عرفا قيام عذر لشخص يقيم طوال حياته أو معظمها على أفعال وأقوال تستلزم الكفر أو الرضا به.

ومن وقع فيما يؤدى إلى الكفر عن طريق النظر إلى ما يلزم منه فهذا الذي ينبغي الاحتياط فيه عند تطبيقه على شخص معين وتزداد الحاجة إلى الاحتياط كلما كان اللازم بعيدا عن الأمر الذي صدر من ذلك الشخص المعين.

وذلك بأن ينظر إلى الظروف والقرائن الظاهرة القوية الدلالة.

وهذا الأمر لا يتأتى في الواقع لعامة الناس وإنما يقدر عليه من ملك وسائل الحكم والقضاء في الدولة الإسلامية.

ونضرب لذلك مثلا: لو أن شخصا ألقى شيئا من القرآن في نجاسة فهذا العمل في حد ذاته كفر وبغض النظر عن الفاعل أجمع الفقهاء على التكفير بسببه لأنه يلزم من هذا الفعل تحقير كلام الله والاستخفاف به فلو رآه شخص أخر فله أن يقول عن هذا أنه كفر ولكن لا يستطيع تكفير الشخص المعين الذي فعله حتى يعرف أمرين اثنين على الأقل : أن هذا الشخص يعرف أن ما ألقاه هو القرآن ويعرف أن الملقى فيه هو النجاسة فإذا علم ذلك كأن أقر بذلك كان له الحكم بالكفر ولكن قد يكون الشخص أميا لا يدري ما ألقاه وقد يكون غير مبصر لا يدري ما ألقاه ولا يدري ما ألقي فيه وعندئذ تكون هذه قرينة ظاهرة على عدم إرادة التحقير ويعذر ذلك الشخص المعين.

ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير فلان أو فلان إلا أن يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر مع وجوب التنبيه على جميع الأقوال والأفعال التي يلزم منها الكفر إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع.

الأمر الثالث : أن هنالك حكمين يترتبان على كفر العبد.

الأول حكم دنيوي وهو استحقاق المرتد في الدنيا جميع ما دلت عليه النصوص الشرعية من الأحكام التي يجب تنفيذها عليه في هذه الحياة الدنيا والتي مبناها على ما يصدر عن الإنسان في الظاهر دون النظر إلى مكنونات القلوب وذلك كاستحقاق المرتد القتل إن لم يتب والتفريق بينه وبين زوجته وعدم حل ذبيحته ولا إنكاحه وغير ذلك فهذا من اختصاص العباد في هذه الدنيا ويطبقونه على الشخص المعين وبعض هذه الأحكام يختص بالإمام كالاستتابة والقتل.

الثاني هو الحكم الأخروي : وهو استحقاق المرتد للخلود في النار إن مات علىذلك فهذا الحكم يختص بإصداره وتنفيذه على فلان وفلان وفلان ممن يستحقونه أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى ونحن لا نقدر عليه في الحياة الدنيا ولا نعلمه بخصوص شخص معين وليس من اختصاص العباد أصلا فليس لأحد في هذه الدنيا أن يدعي أنه يعرف مقعد شخص معين في الجنة أو النار اللهم إلا من أعلمنا الله بذلك من الرسل عليهم الصلاة والسلام كمن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة وهم العشرة من الصحابة الذين شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة وغيرهم ممن جاءت

النصوص في حقهم وكمن أخبر عنهم الله في كتابه أو شهد الرسول أنهم من أهل النار كأبي لهب الذي نزل فيه قرآن يدل على ذلك.
نعم لنا أن نحكم بصورة إجمالية فنقول : من كفر بالله وارتد عن دينه خلد في النار وحرمت عليه الجنة وهذا هو الحد الذي يجب على المسلم أن يقف عنده وإلا كان باغيا ومعتديا كما قال: شارح العقيدة الطحاوية فيما تقدم وكما قال: الطحاوي رحمه الله (ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا).

خاتمة في حكم أهل المعاصي

اقتراف المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله

لقد تقدم قول الطحاوي رحمه الله تعالى : (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).
ويقول الإمام النووي رحمه الله تعالى : (واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود والصحيح أن المراد به : المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه وأما من كانت له معصية ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى فإن شاء تعالى عفا عنه وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر أو الشرك ولو عمل من أعمال البر ما عمل هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص يحصل بها العلم القطعي فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها ليجمع

بين نصوص الشرع فمن مات على الإيمان وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين فمآله دخول الجنة وعدم الخلود في النار مهما ارتكب من المعاصي إذا لم يستحلها أو ينكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة أو يقع منه بعض ما يؤدي إلى نقض الشهادتين مما تقدم تفصيل أنواعه فمجرد فعل المعصية لا يدل على نقض الشهادتين ولا يكون سببا للتخليد في النار ويدل على هذا الأصل أحاديث كثيرة صرحت بأن الجنة هي مصير كل من شهد الشهادتين مخلصا مصدقا بقلبه لما يدلان عليه من التوحيد وتصديق الرسول ﷺ في كل ما جاء به وبعض هذه الأحاديث صرح بأن المعاصي والكبائر وحدها لا تمنع من دخول الجنة في المآل وإن عذب المؤمن بسببها ومن هذه الأحاديث :

١- ما رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كِلَاهُمَا عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قال: أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ قال: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ عُثْمَانَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ عَنِ الْوَلِيدِ أَبِي بِشْرٍ قال: سَمِعْتُ حُمْرَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مِثْلَهُ سَوَاءً * (رواه مسلم)

٢- ما رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ قال: حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ قال: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ قال: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ قال: فَقال: عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا قال: فَفَعَلَ قال: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ قال: وَقال: مُجَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ قُلْتُ وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى قال: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ قال: فَدَعَا عَلَيْهَا حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ قال: فَقال: عِنْدَ ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ * (رواه مسلم)

٣- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قال: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ قال: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ قال: الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيِّهَا شَاءَ *

٤- ما رواه مسلم والترمذي وأحمد

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَبِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ قال:ا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا * (رواه مسلم)

٥- ما رواه مسلم

حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ قال: مِنْجَابٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقال: حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقال: حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ * (رواه مسلم)

٦- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا وَاصِلٌ الْأَحْدَبُ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قال: بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ * [رواه البخاري]

قال: الإمام النووي في شرح هذا الحديث : (وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من

انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فإن عفا عنه دخل أولا وإلا عذب أولا ثم أخرج من النار وخلد في الجنة وأما قوله ﷺ (وإن زنى وإن سرق) فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم وإن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة) وأما الأحاديث التي أشار إليها النووي فيما تقدم بقوله (فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة أي للقاعدة السابقة وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع) فهي عدة أنواع :

١- نوع منها ظاهره نفي الإيمان عمن ارتكب بعض المعاصي.

٢- ونوع فيه البراءة من النبي ﷺ لمن ارتكب بعض المعاصي.

٣- ونوع فيه تسمية لبعض المعاصي كفرا وشركا ونذكر لك من هذه الأحاديث ما يلي :

١- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وغيرهم

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَرْعَرَةَ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قال: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجِئَةِ فَقال: حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ أَنَّ النَّبِي ﷺ قال: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ.

٢- ما رواه الترمذي وأحمد

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقال: ابْنُ عُمَرَ لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ قال: أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَفُسِّرَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ قَوْلَهُ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ عَلَى التَّغْلِيظِ وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ وَأَبِي وَأَبِي فَقال: أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: مَنْ قال: فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قال: أبو عِيسَى هَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: إِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) الْآيَةَ قال: لَا يُرَائِي * (رواه الترمذي)

٣- ما رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ * (رواه مسلم

٤- ما رواه البخاري

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ غَزْوَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ * (رواه البخاري)

٥- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا رَوَاهُ أَبُو مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ * (رواه البخاري)

٦- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا زُبَيْدٌ الْيَامِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ * (رواه البخاري

ولهذه الأحاديث نظائر أخرى ولم يحملها على ظاهرها ألا طائفة الخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة.

وأما أهل السنة فموقفهم منها جميعا تأويلها بما يتفق مع القاعدة السابقة.

وهذا الموقف هو القدر المشترك بينهم ولكن اختلفت مذاهبهم في التأويل فمنهم من أولها بأن المقصود بها كفر النعمة وليس الكفر المخرج من الدين ومنهم من أولها بأنها محمولة على التغليظ والترهيب ومنهم من أولها بأن المقصود استحلال ما ذكر فيها من المعاصي وأبقى الكفر المنسوب إلى أهلها على حقيقته فمن استحل شيئا مما ذكرته تلك الأحاديث كان كافرا مرتدا ومنهم من نحى منحى آخر فأول كل حديث تأويلا متفقا مع القاعدة السابقة المقررة عند أهل السنة (وهي أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار) فلم يلتزم هؤلاء تأويلا عاما شاملا لجميع هذه الأحاديث ومنهم من

أولها بأن المقصود بها بيان الأعمال والأقوال التي هي من ثمرات الكفر لا من ثمرات الإيمان وأن الإيمان لا يقتضيها وإنما يقتضي البعد عنها.

يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض التأويلات السابقة وضعفها : (وإن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيمانا وتوجب كفرا ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه فقال: سبحانه { إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ } إلى قوله تعالى { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [التوبة – الآيتان ١١١-١١٢] وقال: تعالى { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } إلى قوله تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون – الآيات ١-١١]. وقال: تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال – الآيات ٢-٤].

قال: أبو عبيد : فهذه الآيات التي شرحت وأبانت شرائعه المفروضة على أهله ونفت عنه المعاصي كلها ثم فسرته السنة بالأحاديث التي فيها خلال الإيمان فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها قيل : ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين ولا الأمارات التي يعرف بها أهل الإيمان فنفت عنهم حينئذ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه فإن قال: قائل : كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن واسم الإيمان غير زائل عنه ؟ قيل : هذا كلام العرب المستفيض عندنا. غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته. ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله ما صنعت شيئا و عملت عملا وإنما وقع معناها هنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها فهو عندهم عامل بالاسم وغير عامل في الإتقان حتى تكلموا فيه بما هو أكثر من هذا وذلك كرجل يعق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال: ما هو بولد وهم يعلمون أنه ابن صلبه ثم يقال: مثله في الأخ والزوجة... ثم قال: أبو عبيد وكذلك الأحاديث التي فيها البراءة فهي مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا ألا ترى يكون معناه التبرؤ من رسول الله ﷺ من ملته إنما مذهبه

عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ولا من المقتدين بنا ولا من المحافظين على شرائعنا... قلت (أي ليس على هدينا)

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الإيمان عن صاحبه إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون.

والواقع أن هناك عدة أدلة وقرائن شرعية قاطعة تقتضي تأويل تلك الأخبار، منها :

أولا : تلك الأحاديث المستفيضة التي تدل على أن أهل الكبائر والمعاصي لا يخلدون في النار وإنما يؤول أمرهم إلى الجنة إما بعد عذاب مؤقت في النار وأما بعد عفو ومغفرة من الله الغفور الرحيم وقد قدمنا لك بعض هذه الأحاديث وقد أشير في بعضها إلى كبائر هي أشد في حقيقتها من بعض الأعمال التي وقع تسميتها بالكفر في بعض الأحاديث فإن الزنا والسرقة أشد من سباب المسلم ومن الطيرة ومن النياحة على الميت التي سميت كفرا

ثانيا : أن تلك الأمور التي وصفت بالكفر في بعض الأحاديث لو كانت سببا للردة والخروج من دين الله عز وجل لكان حكمها في الدنيا هو الحكم الذي أجمع عليه المسلمون والذي نص عليه رسول الله ﷺ في قوله في الحديث الصحيح (من بدل دينه فاقتلوه) وكذلك وجدنا الله سبحانه وتعالى حكم في السارق بقطع اليد وفي الزاني والقاذف بالجلد ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا القتل فلو كانوا كفارا لما كانت عقوبتهم القطع والجلد ولما قبل عفو ولي المقتول عن القاتل لأن المرتد لا يقبل فيه العفو من أحد في الدنيا ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن السارق والزاني والقاذف لا يقتلون بل يقام عليهم الحدود فدل ذلك على أنهم ليسوا مرتدين.

ثالثا : أننا نجد في القرآن نصوصا جعل الله سبحانه فيها مرتكب الكبيرة من المؤمنين وثبت له صفة الإيمان وأخوة الإيمان فقد قال: تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } إلى أن قال: سبحانه { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } البقرة ١٧٨ فلم يخرج الله سبحانه وتعالى القاتل من الذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب

وكذلك قال: تعالى {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } إلى أن قال: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }

أهل السنة يثبتون للمعاصي عقوبتها المنصوص عليها :

وإذا كان أهل السنة يقررون بأن المعاصي من كبائر وذنوب لا توقع صاحبها في الردة إن لم تقترن بسبب من أسباب الكفر فإنهم لا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية وهو ما قالته فرقة تسمى (المرجئة) فإنهم ادعوا أن الذنب لا يضر صاحبه أبدا ما دام مؤمنا وهذا قول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد أخبر الشارع عن العقوبات الأخروية لكثير من المحرمات والمعاصي.

وأما أهل السنة فيرون أن فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقاب الذي توعد الله به على فعلها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأنها تؤثر على الإيمان من حيث زيادته ونقصانه لا من حيث بقاؤه وذهابه بل قد يؤدي الإكثار من مقارفة المعاصي إلى الوقوع في الكفر والردة بإنكار بعض ما جاء به الرسول ﷺ لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة ولأن اتباع الشهوات واقتراف الذنوب والمعاصي يميت القلب إذا كثر فيغدوا يؤول ويبرر لصاحبه كل ما يفعله حتى يوقعه في استحلال المعاصي فيؤدي بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله.

وشبهة (المرجئة أنها حملت ظواهر النصوص المتقدمة الدالة على أن من مات على التوحيد دخل الجنة كقوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كلاهما، عَنْ إِسْمَاعِيل بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قال: أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، قال: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ عُثْمَانَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ " فظنوا أن دخوله الجنة يقتضي عدم عذابه ولكن لا تلازم بينهما فقد يعذب المؤمن العاصي بما شاء الله أن يعذب ثم يدخله الجنة في المآل وربما تمسكوا بقوله تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة – الآية ٩٣].

والحق أن هذه الآية نزلت في حق من مات من الصحابة رضوان الله عليهم قبل تحريم الخمر حيث لم يكونوا مكلفين باجتنابها قبل تحريمها ويدل على ذلك ما ورد في سبب نزولها فقد ورد أن قدامة بن عبدالله شرب الخمر بعد تحريمها وطائفة وتأولوا قوله تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ

وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة – الآية ٩٣]

فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على استحلالها قتلوا وقال: عمر لقدامة : أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال: بعض الصحابة : فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فأنزل الله هذه الآية وبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين الصالحين.

وقال: البربهاري رحمه الله في شرح السنة:

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة المرجوم والزاني والزانية والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة والسكران وغيرهم الصلاة عليهم سنة ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئا من آثار رسول الله ﷺ أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله (وإذا فعل شيء من ذلك) فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالإسم لا بالحقيقة

****

الكبائر :

ذلك هو حكم المعاصي جميعا صغيرة كانت أم كبيرة : حذر الله ورسوله ﷺ من الوقوع فيها فيجب على المؤمن أن يتزود دائما بتقوى الله ويكثر من هذا الزاد ويتجنب محارم الله ويقف عند حدوده ولا يتساهل فيقول : هذه صغيرة فإن الله سبحانه وتعالى يقول { مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً } [النساء – الآية ١٢٣]. وقال: رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجة في سننه فقال:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيل وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قال:ا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ

إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

أي تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء وهذا هو الران الذي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين – الآية ١٤]. وقد قال: بعض العلماء : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن أنظر من عصيت وقال: الحسن البصري : ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة ويؤيده قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره حيث قال:

حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، قال:ا :كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ".

فانظر كيف أتى ﷺ بالاستطاعة في جانب المأمورات ولم يأت بها في جانب المنهيات إشارة إلى عظيم خطرها وقبيح وقعها وأنه يجب بذل الجهد واستفراغ الوسع في الابتعاد عنها قال: الفضيل بن عياض : بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقال: السلف: المعاصي بريد الكفر ذلك أن كثرتها تقسي القلب فيخرج منه كل خير فيرتكب ما أراد ويفعل ما أحب فيتخذ الشيطان وليا من دون الله فيضله ويغويه ويصده ولا يرضى منه بأقل من الكفر ما وجد إليه سبيلا ومع هذا فإنه لا يشك أن الله سبحانه وتعالى قد شدد على بعض المعاصي وتوعد عليها وهدد من يفعلها بأشد العقاب وكذلك الرسول ﷺ أخبر عن بعض المعاصي أنها من الموبقات أي المهلكات وذكر شيئا منها في عدد من الأحاديث الصحيحة وسماها الكبائر ومن هذه الأحاديث :

١- ما رواه البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ "، قال: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ..

٢- ما رواه البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قال: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الْمَدَنِيِّ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:" اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ، قال: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ ".

٣- ما رواه مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ "، قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قال: " نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ "..

وهنالك أحاديث أخرى فيها ذكر بعض المعاصي وتسميتها بالكبائر والواقع أنه ليس في الأحاديث حصر لها في عدد مذكور ولعل عدم حصرها في عدد معين مقصود لحكمة حث المؤمنين على اجتناب المعاصي كلها خشية أن يكون بعض ما يرتكبه العبد من الكبائر ومع هذا فقد ذهب جماهير السلف والخلف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر ولا شك أن في كل معصية مخالفة لله تعالى في أمره أو نهيه ومخالفة الله عز وجل قبيحة جدا بالنسبة لجلال الله تعالى ولكن بعض المعاصي أخف من بعض.

تعريف الكبيرة ومعيارها :

هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة ولكن كثيرا منهم يرجح أن الكبيرة هي كل معصية يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعن أو الغضب وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري رحمه الله تعالى وقال: أبو حامد الغزالي رحمه الله : أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذر وندم كالمتهاون بإرتكابها والمتجرئ عليها اعتياديا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات اللسان والنفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة.

ومن المستحسن في هذا المقام أن نثبت للأخ القارئ كلاما حسنا معقولا في التمييز بين الصغيرة والكبيرة للإمام الشيخ العز بن عبدالسلام في كتابه (القواعد) فقد قال:

(إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر فمن شتم الرب أو الرسول ﷺ أو استهان بالرسل أو كذب واحد منهم أو ألقى المصحف في القاذورات فهذا من أكبر الكبائر ولم يصرح الشرع بأنها كبيرة وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك من أعظم مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ويسبون حرمهم وأطفالهم ويغتنمون أموالهم ويزنون بنسائهم ويخربون ديارهم فإن تسببه في هذه المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر ثم قال: (وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قال: كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فهو من الكبائر... فقتل المؤمن كبيرة لأنه أقترن به الوعيد واللعن والمحاربة والزنا والسرقة والقذف كبائر لاقتران الحدود بها وعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو اللعن أو الحد أو أكبر من مفسدته فهو كبيرة).

ذكر بعض الكبائر:

ومن هنا تعلم أيها الأخ القارئ أن ما ذكره العلماء من ضوابط للتمييز بين الصغائر والكبائر إن هو إلا على وجه التقريب وتعلم أن النصوص وردت بالتعريف ببعض الكبائر وأخرى عرفت الصغائر وهناك أنواع أخرى من المعاصي مشتملة على صغائر وكبائر فواجب المسلم أن يجتهد في اجتناب كل معصية وأن يبذل كل جهد في توقي ما نص الشارع على أنه كبيرة ويضاعف جهده في ذلك وكذلك فيما رجح العلماء أنه منها ولا يستصغرن معصية مهما كانت ولا يتهاون فيها ولا يصرن على ذنب مهما كان صغيرا فإن العلماء نصوا على أن الإصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب الكبيرة وحد الإصرار أن يتكرر فعل الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاة الشخص بدينه وكذلك الإكثار من فعل الصغائر ولو كانت مختلفة لا يقل عن ارتكاب كبيرة من الكبائر لأن هذا الإكثار من فعل الصغائر يدل على عدم المبالاة بالدين وعلى استصغار مخالفة الرب عز وجل وفي هذا المقام أذكر

جملة من الكبائر التي ذكرها ابن حجر الهيثمي في كتابه القيم (الزواجر عن اقتراف الكبائر) فمنها :

الشرك الأكبر أعاذنا الله منه، والشرك الأصغر وهو الرياء ومن الذنوب الكبيرة الغضب بالباطل والحقد والحسد، والكبر والعجب والخيلاء والغش، والنفاق، والبغي، والإعراض عن الخلق استكبارا واحتقارا لهم، والطمع، وسخط المقدور، والنظر إلى الأغنياء وتعظيمهم لغناهم، والاستهزاء بالفقراء لفقرهم، والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والتزين للمخلوق بما يحرم التزين به، والمداهنة، وحب المدح بما لا يفعله، والحمية لغير دين الله، وهوان حقوق الله تعالى وأوامره على الإنسان، واتباع الهوى والإعراض عن الحق، وسوء الظن بالمسلم، وعدم قبول الحق إذا جاء بما لا تهواه الأنفس، أو جاء على يد من تكرهه، وفرح العبد بالمعصية، والإصرار عليها، ونسيان الله تعالى والدار الآخرة، والأمن من مكر الله، والاسترسال في المعاصي، وسوء الظن بالله تعالى والقنوط من رحمته، وتعلم العلم للدنيا، وكتم العلم، وعدم العمل بالعلم، وتعمد الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ، وسن السنة السيئة في الناس وترك السنة النبوية وعدم الوفاء بالعهد، ومحبة الظلمة والفسقة، وبغض الصالحين، وأذيتهم، والكلمة التي تعظم مفسدتها، وينتشر ضررها مما يسخط الله، وترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند سماع ذكره بسبب اشتغال بلهو محرم، والرضا بالكبيرة والإعانة عليها، وملازمة الشر والفحش حتى يخشاه الناس، ونسيان القرآن، والجدل والمراء وهو المخاصمة والمحاجبة وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين، وعدم التنزه من البول في البدن أو الثوب، وكشف العورة لغير ضرورة، ووطء الحائض، وتعمد ترك الصلاة وتعمد تأخير الصلاة عن وقتها، أو تقديمها عليه من غير عذر كسفر أو مرض وإمامة الإنسان لقوم يعلم أنهم كارهون لإمامته وقطع الصف في الصلاة، وعدم تسويته، ومسابقة الإمام، واتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها واستلامها، وسفر المرأة وحدها، وترك السفر أو الرجوع منه تشائما وتطيرا، وترك صلاة الجماعة مع الجماعة من غير عذر، وتخطي الرقاب يوم الجمعة، ولبس الرجل للحرير من غير عذر شرعي، وتحليه بالذهب أو الفضة في غير الخاتم، وتشبه الرجال بالنساء فيما يختص به عرفا من لباس أو كلام أو حركة أو نحوها، وكذلك عكسه أي تشبه النساء بالرجال، والخيلاء والتبختر في المشي، ولطم الخدود، وشق الجيب والنياحة، والدعاء بالويل، أو الثبور عند وقوع

المصيبة، وترك الزكاة، وتأخيرها بعد وجوبها لغير عذر شرعي، وشح الدائن على مدينه، المعسر من علمه بإعساره، والمن بالصدقة، ومنع فضل الماء عن المحتاج والمضطر، وترك صوم يوم من أيام رمضان، والإفطار فيه بغير عذر من سفر أو مرض، وتأخير ما تعدى بفطره من رمضان، وصوم العيدين وأيام التشريق، وترك الحج مع القدرة عليه إلى الموت، وشرب المسكر أو أكله مهما كان خمرا أو حشيشة أو أفيونا، وأكل لحم الخنزير أو الميتة، وأكل الربا أو إطعامه وكتابته وشهادته، والسعي فيه والإعانة عليه، وأكل المال بالبيوعات الفاسدة وسائر وجوه الكسب المحرم، والاحتكار والغش في البيع، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، وتطفيف الميزان ونحوه، ومطل الغني بعد المطالبة من غير عذر، وأكل مال اليتيم، وإنفاق المال في المحرمات، والبناء فوق الحاجة للخيلاء، وخيانة الشريك والوكيل، والغصب وهو الاستيلاء على مال الغير ظلما، وتأخير أجر الأجير، أو منعه منه بعد إتمام عمله، والاستيلاء على مال مباح ومنعه ابن السبيل، وجحد الأمانات كالوديعة، والعين المرهونة أو المستأجرة، وغير ذلك، وقد ذكر ابن حجر غير هذه الأمور فيحسن الإطلاع على كتابه.

أسباب سقوط العقوبة عن العصاة :

وإذا وقع العبد المؤمن في المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه إذا أخلصوا واتقوا.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التي تسقط العقوبة عن المعاصي في نصوص القرآن والسنة ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية في هذا الموضوع فقد قال: (إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة) نذكر منها ما يلي :

<u>السبب الأول</u> :

التوبة فقد قال: تعالى { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً. إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً } [مريم – ٥٩ - ٦٠].
وقال: أيضا { إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة ١٦٠].

والتوبة التي تسقط العقوبة هي التوبة النصوح وهي الخالصة النابعة من القلب لا المقتصرة على النطق باللسان وهي ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصي والعزم على عدم العودة إليها وعمل الصالحات وكون التوبة سببا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة وليس شيئا يكون سببا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة قال: تعالى { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر – الآية ٥٣].

السبب الثاني :

الاستغفار فقد قال: تعالى { وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال – الآية ٣٣]. والواقع أن الاستغفار يدخل في معنى التوبة فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التي وقع فيها العبد وهو ما يدخل في الندم على ما قدم الإنسان فإن طلب المغفرة هو عنوان هذا الندم وتزيد التوبة عن الاستغفار أن في معناها العزم على اجتناب المعاصي في المستقبل.

السبب الثالث :

فعل الحسنات فقد قال: سبحانه وتعالى {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } [هود – الآية ١١٤].

السبب الرابع :

ما يصاب به المسلم من المصائب الدنيوية لقوله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه فقال:
حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه وإن سخط كسب إثما جديدا ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

السبب الخامس :

عذاب القبر.

وذلك كما روى البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قال: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، قال: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ فَاطِمَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ، قالت : " أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي، فَقُلْتُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ، فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقالت : سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ : آيَةٌ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عز وجل النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قالت أَسْمَاءُ : مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقال: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا، قالت أَسْمَاءُ، فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيُقال: نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قالت أَسْمَاءُ : فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ "

<u>السبب السادس</u> :

أهوال يوم القيامة وشدائده وذلك كما روى مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ "، قال: سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ : فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قال: " فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا "، قال: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ

<u>السبب السابع</u> :

شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة وذلك كما روى البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ : " إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ : يَا فُلَانُ، اشْفَعْ يَا فُلَانُ، اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ "

<u>السبب الثامن</u> :

عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة كما قال: تعالى { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } [النساء – الآية ٤٨].

السبب التاسع :

دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات وذلك كما روى أبو داود في سننه فقال:

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحِيرٍ، عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ " إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ، قال: أَبُو دَاوُد : بَحِيرٌ ابْنُ رَيْسَانَ

السبب العاشر :

ما يهدي للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو دعاء أو حج أو نحو ذلك فقد أتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين :

الأمر الأول :

ما تسبب فيه الميت في حياته لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع من بعده).

الأمر الثاني :

دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج واختلفوا في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر.

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وقول الشافعي ومن وافقه من السلف والخلف هو الصحيح الراجح بإذن الله لأدلة الشرع والنصوص الثابتة من القرآن والسنة الصحيحة وفعل النبي ﷺ وقوله هو الميزان وصحابته الكرام هم البيان العملي لنهج رسول الله ﷺ.

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها قوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ

رَّحِيمٌ } [الحشر – الآية ١٠]. فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجماعة والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجماعة مستفيضة وكذلك الدعاء له بعد الدفن وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال: نعم وقد ورد أكثر من حديث في هذا المعنى.

والدليل على وصول ثواب الصوم ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه).

ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال: حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء). وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } [النجم – الآية ٣٩]. وقوله { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } [البقرة – الآية ٢٨٦]. وقوله { فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [يس – الآية ٥٤]. لأن الإنسان بدخوله الإسلام وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط الأخوة الإيمانية وبحسن عشرته وإسداء الخير للناس وتودده لهم يكون ساعيا في حثهم على الدعاء له بعد مماته والاستغفار والترحم عليه وإهداء ثواب الطاعات له فكان هذا الكسب أثرا من آثار سعيه فالقول بانتفاع الميت بما يهدى إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمات فإنها آيات محكمة تقتضي عدل الله تعالى وتقتضي أن لا يعاقب أحد بجرم غيره ولا يؤاخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا وتقتضي أنه لا يفلح أحد إلا بعمله لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه أو ينفعه نسبه أو جاهه إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما تقدم وليس عليها دليل من الشرع ولم يقل بجوازها أحد من

العلماء مثل استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت فهذا العمل لم يجزه أحد وإنما اختلف الفقهاء في جواز الاستئجار على تعليم القرآن وأما الاستئجار لقراءته وإهدائه للميت أو الاستئجار لمن يصلي ويصوم ويهدي للميت فهذا لا خلاف في عدم جوازه ولكن قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعا بغير أجرة فهذا مما فيه الخلاف والصواب فيه ما سبق ذكره.

****

الإيمان بالملائكة

من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة مخلوقين من نور موجودين وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها.

فهم صنف من مخلوقات الله عز وجل لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف قال: تعالى { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } { البقرة:٢٨٥ }

وفي الحديث الذي رواه مسلم والمشهور بحديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ وقد سبق ذكره ونذكر منه موضع الشاهد

{ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال: صَدَقْتَ }

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرا بإجماع المسلمين بل بنص القرآن العظيم فقد قال: تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } [النساء:١٣٦]

والذي يستقصي الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم يلاحظ أنها تناولت في الغالب ما يبين علاقتهم بالخالق سبحانه

وعلاقتهم بالكون وعلاقتهم بالإنسان فعرفنا من ذلك على ما ينفعنا في تطهير عقيدتنا وتزكية قلوبنا وتصحيح أعمالنا

وأما حقيقة الملائكة وكيفية خلقهم وتفصيلات أحوالهم فقد استأثر سبحانه بها وهذه خصيصة عامة من خصائص العقيدة الإسلامية تناولت الحقائق الكونية والتعريف بها في حدود ما يحتاج إليه البشر ويصلح أحوالهم في المعاش والمعاد وما تطيقه عقولهم فلا يطلعنا الله على كل المغيبات سواء منها ما تعلق بجلاله وصفاته وأسمائه وما تعلق بمخلوقاته الغيبية والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق مجملا أو مفصلا ولا يزيد على ذلك ولا ينقص منه ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ولا نخوض فيه.

تعريفهم

أجسام نورانية من خلق الله تختلف هيئتهم حسب وظيفتهم تبعا لإرادة الله.

- ## مهمتهم العامة

هم الموكلون بالسماوات والأرض فكل حركة في العالم فهم القائمون بها بتكليف الله لهم وهم عباد الله المكرمون.

وقد دلت أدلة الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل الأفلاك ملائكة وبالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها وبالموت ملائكة بل ووكل بكل عبد ملائكة يحفظونه وبكل مخلوق وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة

- ## رؤساء الملائكة

١ - جبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.

٢ - ميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان والإنسان.

٣ – إسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

٤ – ملك الموت موكل بقبض الأرواح إذا جاء أجلها ولم يرد في الشرع أنه يسمى عزرائيل وإنما اسمه ملك الموت فلا نتعدى النصوص الشرعية { عزرائيل من تسميات أهل الكتاب }.

كثرتهم : تتبين كثرتهم من قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي فقال:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مُوَرِّقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ * [صححه الألباني : السلسلة الصحيحة :٨٥٢]

وقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه والذي رواه النسائي وأحمد وهذا لفظ أحمد قال:

حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ *

- **من صفاتهم الخلقية**

- **مادة خلقهم**

يدلنا على هذا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ: ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قالت قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ *

وبناء على ذلك فإن الخالق عز وجل لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية إلا النذر القليل فأخبرنا سبحانه أنهم خلقوا قبل خلق آدم إذ ورد في القرآن أن الله أخبرهم بأنه سيخلق الإنسان ويجعله في الأرض يخلف بعضهم بعضا قال: تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ: رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ { البقرة: ٣٠ }

وأما عن مادة خلقهم فدلنا حديث عائشة عن النبي ﷺ أنهم خلقوا من نور، وتدل النصوص على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن

الأثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم [إلا عند التشكل في هيئة آدمية كوصف جبريل في سؤاله للنبي ﷺ وكرؤية الصحابة لهم في غزوة بدر وكما جاء إلى مريم في صورة بشرية]

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها أنه جعل لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها فقال: سبحانه { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر:١]

وقد رأى النبي ﷺ ملك الوحي جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح كما سيأتي بعد إن شاء الله تعالى.

هذا هو ما أخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن هذه المخلوقات الكريمة من حيث خلقتها ونؤمن بها كما جاءت ولا نسأل عن تفاصيل لم تذكر إذ لو كان في التفصيل نفع للعباد لما حجب الله عنهم معرفته فهو اللطيف الخبير والحكيم العليم والرحيم بهم يعلمهم الحق والخير الذي ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وأما عن تعلقهم بالله تعالى فهو تعلق العبودية الخالصة والطاعة والامتثال والخضوع المطلق لأوامره سبحانه لا ينتسبون إليه سبحانه إلا بهذه النسبة فهم ليسوا آلهة من دون الله سبحانه ولا بنات كما قال: المشركون من قبل {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }[الأنبياء ٢٦: ٢٨] وقال: تعالى {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } النحل.٥ فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة يطيعونه ولا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم وهم لايستطيعون المراجعة ولا الاقتراح أو التعديل أو الاستحسان رغم قوتهم الشديدة التي أعطاها الله لهم وهم منقطعون دائما لعبادة الله وطاعة أمره قال: تعالى {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } {الصافات: ١٦٤ :١٦٦ } فإذا كانت هذه هي حقيقة أمرهم فمن الشرك بالله أن يُعبدوا أو يستعان بهم أو يُعتقَد أن لهم من الأمر شيء قال: الله تعالى { وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ } [ال عمران: ٨٠]

وأما عن علاقتهم بالكون والإنسان

فقد علمنا يقينا من أدلة القرآن والسنة صلتهم بربهم فهم في عبودية كاملة وطاعة تامة لأوامره عز وجل فإن صلتهم بالكون والإنسان هي فرع تلك العبودية وتلك الطاعة ذلك أن عبادتهم لله كما أخبر سبحانه لا تقتصر على تسبيحهم بحمد الله وتمجيدهم له وإنما تشتمل على تنفيذ إرادته سبحانه بتدبير أمور الكون ورعايته بكل ما فيه من مخلوقات وما فيه من حركة ونشاط وما فيه من حياة وجماد وما فيه من قوانين ونواميس وإنفاذ قَدَرِهِ وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها وتنفيذ إرادته سبحانه في مراقبة وتسجيل كل ما يحدث في الكون من حركات فهم الموكلون بالسماوات والأرض وكل حركة في العالم تدخل في اختصاصهم كما أراد خالقهم سبحانه قال: الله تعالى { فالمدبرات أمرا } [النازعات:٥] وقال: تعالى { فالمقسمات أمرا } [الذاريات:٤] والمقصود بهم في الآيتين الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام

- **جبريل**

نعرفه من حديث ابن مسعود في الحديث الذي رواه أحمد قال:

حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ * [أخرجه أحمد : ٣٩٥/١ بسند جيد].

حملة العرش: نعرفهم من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: في الحديث الذي رواه أبو داود فقال:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ * [رواه أبو داود : ٤٧٢٧، والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في الصحيحة : ١٥١].

- **التفضيل بين الملائكة والنبيين**

الخوض في هذا الموضوع لا يصح ولا يجب لأنه لا ثمرة له ولن يجدي الخوض فيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فالواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين لا أن نعتقد أي الفريقين

أفضل فخلاصة الأمر ما ذكره ابن تيمية جمعا بين الأدلة أن صالحي البشر أفضل إذا دخلوا الجنة وسكنوا الدرجات العلا والملائكة أفضل باعتبار البداية لأن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى

- **قدرتهم**
- **القدرة على التشكل**

فقد ثبت تشكلهم في صورة البشر لقوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قالت إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٦، ١٧، ١٨].

- **علمهم**

لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار]
منظمون في شؤونهم ولذلك حثنا رسول الله ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال: ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم فقال:
حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قال:ا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرَفَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقال: مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقال: مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقال: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ [مسلم :٤٣.]

- **علاقة الملائكة بالمؤمنين**

١- محبة الملائكة للمؤمنين لحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري فقال:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قال: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ قال: قال: أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَابَعَهُ أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قال: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ * [متفق عليه] وهذا لفظ البخاري

٢- صلاة الملائكة على المؤمنين

وهي بمعنى الدعاء والاستغفار لهم حيث ثبت ذلك في القرآن الكريم

أولا قال: الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

ثانيا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ رَجَاءٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جَمِيلٍ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قال: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ قال: سَمِعْت أَبَا عَمَّارٍ الْحُسَيْنَ بْنَ حُرَيْثٍ الْخُزَاعِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ * [ورواه الطبراني أيضا في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع : [١٨٣٤].

ثالثا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبود داود قال:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ مَنْجُوفٍ السَّدُوسِيُّ حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ كَهْمَسٍ عَنْ أَبِيهِ كَهْمَسٍ قال: قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ بِمِنًى وَالْإِمَامُ لَمْ يَخْرُجْ فَقَعَدَ بَعْضُنَا فَقال: لِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَا يُقْعِدُكَ قُلْتُ ابْنُ بُرَيْدَةَ قال: هَذَا السُّمُودُ فَقال: لِيَ الشَّيْخُ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْسَجَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قال: كُنَّا نَقُومُ فِي الصُّفُوفِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ قال: وَقال: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَلُونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَمَا مِنْ خُطْوَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا يَصِلُ بِهَا صَفًّا *

رابعا حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري في كتاب الصلاة قال:

حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قال: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ *

- شهود الملائكة مجالس العلم.

ويعرف ذلك من حديث الإمام مسلم حيث قال:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قال: يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قال: الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

- الملائكة يقاتلون مع المؤمنين

لقوله ﷺ { أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع } [ذكره ابن إسحاق في المغازي بدون سند ولكن حسنه الألباني بسنده في تخريج أحاديث فقه السيرة].

****

الإيمان بالكتب

ومن أركان الإيمان أن تؤمن بالكتب التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه ورسله فكما أن الله عز وجل قد أنزل القرآن على محمد ﷺ فقد أنزل كتبا أخرى من قبل على أنبيائه ورسله ومن هذه الكتب ما سماه الله لنا في القرآن الكريم ومنها ما لم يسم والذي أخبرنا الله عز وجل منها:

١- التوراة : التي نزلت على موسى عليه السلام حيث قال: سبحانه { إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ

اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة - الآية ٤٤).

٢- الإنجيل : الذي نزل على عيسى عليه السلام حيث قال: سبحانه {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (المائدة - الآية ٤٦).

٣- الزبور : الذي نزل على داود عليه السلام قال: تعالى {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً } [الإسراء - الآية ٥٥].

٤- الصحف التي أنزلها على إبراهيم وموسى : التي أخبر عنها الله تعالى بقوله { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى } [النجم - الآيات ٣٦-٤٢].

وبقوله أيضا { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } [الأعلى – الآيات ١٤ - ١٩]

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه فقال: تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة - الآية ٢١٣]

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالا ولا يجوز لنا أن ننسب كتابا إلى الله تعالى سوى ما نسبه لنفسه مما أخبرنا عنه في القرآن.

كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم قال: تعالى عن التوراة { إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ

النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة - الآية ٤٤).

وقال: تعالى عن الإنجيل { وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (المائدة - الآية ٤٦).

ويجب علينا أن نؤمن بأن القرآن العظيم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى وأن الله عز وجل قد خصه بمزايا تميزبها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة من أهمها.

١- أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية وجاء مؤيدا ومصدقا بما جاء في الكتب السابقة المنزلة من عند الله من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته وجمع كل ما كان متفرقا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل وجاء مهيمنا ورقيبا يقر ما فيها من حق ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير قال: تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة – الآية ٤٨]

وأنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقين وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان

٢- أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه فقال: تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر – الآية ٩] وقال: تعالى أيضا { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت – الآية ٤١-٤٢].

وهذه مزية متفرعة عن مزية أخرى وهي أن القرآن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة وليس خاصا لقوم معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة فكان حفظه من التحريف وصيانته من عبث الناس ليبقى ما فيه حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما الكتب الأخرى فقد وجه الكلام في كل واحد منها إلى أمة خاصة دون سائر الأمم وهي وإن اتفقت في أصل الدين إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاص بأزمنة معينة وأقوام معينين قال: تعالى { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً } [المائدة:٤٨] لذلك لم يتعهد الله بحفظ أي منها على مدى الأزمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن بل أخبر عز وجل في آخر كتبه عن التحريف الذي وقع على تلك الكتب.

فعن التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود على التوراة قال: سبحانه { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون } [البقرة:٧٥]

وقال: أيضا { مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } [النساء:٤٦]

وأما عن التحريف الذي أدخله النصارى على الإنجيل قال: تعالى { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [المائدة:١٤،١٥،١٦]

هذا ومن التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه اليهود من أن العزير ابن الله وما زعمه النصارى أن المسيح ابن الله قال: تعالى { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة: ٣٠]

فصحح لهم القرآن هذا الانحراف الذي صنعوه بأنفسهم فبين لهم أن الله سبحانه منزه عن أن يكون له ولد فقال: تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }

وقرر أن الرسل جميعا بشر خصهم الله بالوحي وبما يؤهلهم لتلقيه وتبليغه للناس فقال: سبحانه مخاطبا رسوله ﷺ { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } [الكهف: ١١٠]

ومن التحريف الذي اقترفه النصارى وأخبرنا به الله عز وجل في القرآن الكريم ما أدخلوه على حقيقة النبوة، من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم، وقول بعضهم بالتثليث، قال: تعالى {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٧] وقال: أيضا {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة:٧٣] فجاء القران الكريم، وبين هذا التحريف وبين العقيدة السليمة في عيسى وأمه، فقال: تعالى {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة:٧٥]

والحق الذي لا يمارى فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القران الكريم، يدل على هذه الحقيقة أدلة حسية فضلا عما أخبر به القرآن الكريم عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة من هذه الأدلة :

١- أن الكتب التي نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها أما القرآن فإنه لا يزال محفوظا بسوره وآياته وكلماته وحركاته كما تلاه جبريل على لسان رسول الله ﷺ وكما تلاه رسول الله ﷺ على صحابته رضوان الله عليهم.

٢- أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس من تفسير وتاريخ وسير الأنبياء وتلاميذهم واستنباطات الفقهاء فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر وأما القرآن فهو جميعه كلام الله تعالى ولم يختلط به غيره من حديث الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة أو غيرهم.

٣- أن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرسول الذي ينسب إليه فليس لأي منها سند تاريخي موثوق فالأسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم ويطلق عليه التوراة إنما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة

يقول محمد فريد وجدي نقلا عن دائرة معارف لاروس ما خلاصته [العلم العصري ولا سيما النقد الألماني أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام وأنها عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم ألفوها على التعاقب معتمدين في

تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ولكنها تحتوي على إشارات ورموز وحكايات] (نقلا من كتاب العقائد الإسلامية لنديم الملاح)

وأما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبت نسبته بصورة قطعية إلى الرسول الذي أوحي إليه وهو محمد ﷺ فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته وطريقة ترتيبها وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتواتر بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي نزله الله على رسوله الكريم ﷺ.

ومن الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء.

ويكفي لحصر الدليل على التحريف أن الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن أربعة أناجيل أختيرت من نحو سبعين إنجيلا وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة عيسى عليه السلام ومؤلفوها معروفون وأسماؤهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد النصارى أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين ودون أقرب الأقربين إلى عيسى وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابة وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلى العربية وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة (نقلا من كتاب العقائد الإسلامية لسيد سابق)

ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ما تضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه وعن رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام فإنك تجد فيها تشبيه الخالق بالإنسان والقدح في الأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم ومن ذلك ما جاء في التوراة المتداولة في سفر التكوين ٣/ ٢٢ ففيه (وقال: الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر) وفيه أيضا (فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه) ومما جاء فيه أيضا مما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع عصمتهم ما قال:وه عن إبراهيم عليه السلام أنه كذاب وأن لوطا زنا بابنتيه وأن هارون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل وأن داود زنا وأن سليمان عبد الأصنام إرضاء لزوجته فهل ثم دليل على التحريف أقوى من هذا ؟

وإزاء هذا التحريف والتغيير الذي طرأ على الكتب السابقة فإن الإيمان بها يكون بالتصديق أنها من عند الله في أساسها فنؤمن بأن هناك كتابا يسمى التوراة نزل من عند الله على موسى وأن كتابا يسمى الإنجيل نزل على عيسى عليه السلام لنفس الغرض الذي أنزل من أجله القرآن ولا نؤمن بشيء من محتوياتها أنه من عند الله إلا بما ذكره القرآن فيجب علينا أن نؤمن بأنه كلام الله الخالص وهو الحق وأن كل لفظ فيه محفوظ ويجب اتباع أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره ورفض ما يخالفه.

****

الإيمان بالأنبياء والرسل

قال: تعالى { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } { البقرة/٢٨٥ }

- **النبي والرسول**

١ – الاثنان ينبئهما الله بخبر السماء.

٢ – المأمور بتبليغ خبر السماء نبي ورسول.

٣ – من ليس مأمورا بالتبليغ نبي وليس برسول.

٤ – الرسول أعم من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة.

٥ - بعد التأمل في المسألة تجد أن النبي هو الذي أرسل بشريعة رسول سابقة والرسول من جاءته شريعة مستقلة وهذا هو الصواب والله أعلم.

وتأمل قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج:٥٢] وعلى ذلك فالنبي مرسل إليه كما هو الرسول والفرق بالرسالة.

- **خاتم المرسلين محمد ﷺ**

قال: ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد قال:

حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ *

إشكال وتوضيحه.قد يقال: بأنه يشكل هذا الحديث مع الحديث الذي رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقال: الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ فَقال: الْيَهُودِيُّ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ فَقال: لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ *

- التوضيح

١ – أن النهي منصب على التفضيل الذي فيه حمية وهذا واضح من سبب الحديث

٢ – أن المنهي عنه هو التفضيل الذي فيه انتقاص من المفضول

٣ – أن النهي عن التفضيل الخاص وهو أن يفضل بعض الرسل على بعض بعينه

٤ – أما سبب إخبار النبي ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم وذلك كما في الحديث الذي رواه مسلم قال:

حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنَا هِقْلٌ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ * فهو من قبيل التبليغ الذي لا يمكن إخفاؤه. ولا نستطيع أن نصفه بهذا الوصف إلا بإخباره إيانا به.

- رسالة النبي محمد ﷺ خاتمة الرسالات

قال: تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠.]

وقال: رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن قال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وهو كما قال:

- **خليل الرحمن**

ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة بل أفضل من المحبة وهي مرتبة الخلة فقد قال: ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الصلاة قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ قال: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ قال: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقال: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا قال: يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ *

وفي ذلك رد على من قال: بأن الخلة خاصة بإبراهيم عليه السلام والمحبة لمحمد ﷺ

هو المبعوث ﷺ إلى عامة الجن والإنس لقوله تعالى ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [الأحقاف : ٢١] فالرسل من بني آدم ومن الجن نُذُرٌ ينذرون أقوامهم لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرسَلْنَاكَ إِلا كَافَةً لِلْنَاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] وقول الله سبحانه ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان :١].

- **النبوة والولاية**

- **أولا النبوة**

١ – لغة : الخبر أو الشيء المرتفع

٢ – اصطلاحا: اصطفاء الله تعالى لعبد من عباده بوحي منه

سبب التسمية بالنبي

١ – لتلقي الأخبار من الله

٢ – لارتفاع منزلته بسبب الوحي

- نظرة الناس للأنبياء

١ – نظرة أهل الاستقامة لهم

وجوب محبتهم وموالاتهم وطاعتهم لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [آل عمران : ٣١].

٢ – نظرة غلاة المتصوفة للأنبياء

انقسموا ثلاث فرق

الفرقة الأولى :إنه قد يصل المتصوف برئاسته واجتهاده إلى درجة الأنبياء من غير اتباع للأنبياء

الفرقة الثانية: أن الأولياء أفضل من الأنبياء

الفرقة الثالثة: يقولون إن الأنبياء والرسل يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء.

- ثانيا الولاية { المحبة والقرب }

١ – الولي هو الموافق لله والمحب له المتتبع له فيما يحب ويكره وفيما يأمر به وينهى فقد قال: الله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣]

وهنا لابد من توضيح لسؤال مهم لفهم مسألة الولاية.

الأولياء ما أسماؤهم ؟ وما أوصافهم ؟ وما أزمنتهم ؟ وما أماكنهم ؟

هذا السؤال الإجابة عليه بأدلة القرآن والسنة سهلة ويسيرة بإذن الله ولكن فهم الإجابة يحتاج إلى تجريد النفس والصدر والقلب والذهن لله رب العالمين. لماذا ؟

لأن الأصل في الإسلام أن المسلم يعتقد ما في القرآن والسنة فينجو وأما إذا عكس ذلك فهذا هو الهلاك بعينه لأن عكس ما في القرآن والسنة ليس إلا ضلال الشياطين ونحن نعلم أن الشيطان

يلبس على الناس دينهم ليكفروا بما في القرآن ليس بإنكاره بل أحيانا بتأويله تأويلا فاسدا يدخلهم في دائرة الشرك بالله تعالى إما الشرك الأصغر وإما الشرك الأكبر ولهذا قال: بعض أهل العلم [استدل تم اعتقد ولا تعتقد ثم تستدل فتضل]

من أجل ذلك سنذكر نصا من سورة يونس ولكننا لا نبتر النص بترا كما يفعل كثير من الناس ولكن نذكر النص بما يتمم المعني والفائدة فكل نص له سابق ولاحق يبين ويفسر ويحدد معناه لاستنباط وجه الدلالة منه بتوفيق الله تعالى وتسديده.

وإليك النص

{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. [يونس ٦١-٦٤]

نقول وبالله التوفيق والسداد في الفهم والقول والعمل إن الآية بدأت بالكلام عن المفرد فقال: تعالى { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ } والشأن هو لفظ يشمل الأحوال الدينية والأحوال الدنيوية ما كان مشاهدا منها وما كان غيبا في النفس لا يعلمه إلا الله وهذا الكلام موجه إلى النبي ﷺ ثم يثني الله بجملة أخري هي للمفرد أيضا فيقول { وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ } وهذا من الشأن المعلن حتما للبلاغ كما قال: الله تعالى { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } (الشورى:٤٨) والمؤمن الذي عنده فراسة الإيمان والنظر الثاقب إذا قرأ الجملة الثالثة علم أن الميزان في صلاح أعمال المسلم وأقواله وأفعاله وكل شيءون حياته هو قول وفعل وعمل النبي ﷺ حيث قال: تعالى وبصيغة الجمع { وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } أي شاهدين عليكم وشاهدين لكم سمعا وبصرا وعلما من أول ما تبدأون في أي عمل إلى أن تنتهون منه.

وقد قال: ابن كثير رحمه الله

يخبر تعالى نبيه ﷺ أنه تعالى يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال: ذرة في حقارتها وصغرها في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

فكانت هذه مقدمة لذكر مقام أولياء الله الذين كان عملهم وشأنهم موزونا على عمل وشأن النبي ﷺ فقال: { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [يونس ٦٢-٦٤]

فقد وصف الله أولياءه بالإيمان والتقوى فمن كان مؤمنا تقيا فهو ولي لله ولا علاقة لهذا بحسب ولا نسب ولا جاه ولا سلطان ولا فقر ولا غنى ولا قبة مضروبة ولا مكان دفن ولا أي شيء من هذه الهالة الكاذبة التي اخترعها الناس وابتدعوها لمعرفة أولياء الله الصالحين ثم إن الله تعالى قال: { لا خوف عليهم } جاء الضمير بالغائب فالولي لنفسه ومقامه عند ربه لا يخاف ولا يحزن وعندئذ يأتي التأكيد بضمير الغائب للمرة الثالثة لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ولذلك قال: عبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وغير واحد من السلف أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله وهذا يدل على أن ولايتهم وهم أحياء أما الأموات فقد رجعوا إلى ربهم سبحانه كل بحسب شأنه مع ربه في الدنيا فلا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فضلا عن أن يملكون لغيرهم. فتنبه

ولذلك لو أردنا أن نجيب على السؤال الذي طرحناه آنفا لقلنا

** الأولياء ما أسماؤهم؟

الجواب: لم يذكر الله عز وجل أسماء لهم.

الأولياء ما صفاتهم؟

الجواب: الذين آمنوا وكانوا يتقون.

ما أزمنتهم؟ في كل زمان وعصر لا يخلو منهم زمان.

ما أماكنهم؟ في كل مكان لا يخلو منهم مكان.

ما جزاؤهم؟ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

واجبنا نحوهم: نحبهم ونجلهم وندين لله بحبهم رأيناهم أو لم نراهم عرفناهم أو لم نعرفهم سمعنا بهم أولم نسمع فهم موجودون في كل زمان ومكان لا يخلو منهم زمان ولا مكان أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم.

أقسام الولاية:

الولاية قسمان ليس لهما ثالث

القسم الأول: ولاية لله ودليلها قوله تعالى { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ }

وقوله في الحديث القدسي الذي رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ * [رواه البخاري]

والحديث الذي رواه أحمد بسند صحيح فقال:

حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَأَبُوالْمُنْذِرِ قَالَ:ا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ مَوْلَى عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قالت قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ قَالَ: أَبِي وَقَالَ: أَبُوالْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ وَقَالَ: أَبُوالْمُنْذِرِ آذَى لِي * [رواه أحمد]

وقد فصلنا قبل ذلك من هو الولي؟ وما صفته؟

وبذلك نعلم أن كل مسلم له نصيب من الولاية بقدر طاعته لله وقربه من الله تعالى.

القسم الثاني: الولاية للشيطان ودليله من القرآن قول الله تعالى في قصة إبراهيم مع أبيه {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً } {مريم:٤٥}

ولقد ذكر الله عز وجل في سورة المجادلة ما يدل قطعا على أن الناس صنفان فقال:{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المجادلة :١٩)

وقال: في نهاية السورة {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {المجادلة:٢٢}

أفضل الأولياء

هم الأنبياء وأفضل الأنبياء المرسلون وأفضل المرسلين أولو العزم من الرسل وأفضل أولي العزم من الرسل خاتمهم محمد ﷺ. ثم أتباع الأنبياء وأولهم أصحاب نبينا ﷺ ثم العلماء الربانيون ثم الناس تبع بعد ذلك ولذلك كان الإمام الشافعي يقول [لو لم يكن العلماء هم الأولياء فليس لله في أرضه أولياء]

- **المنحرفون في الولاية**

ابن عربي وأتباعه هو محيي الدين محمد بن علي يكني بابن عربي ولد سنة ٣٦. هـ من تأليفاته الفتوحات المكية، ترجمان الأشواق وهذا غير ابن العربي الذي يذكر في كتب أهل العلم من أهل السنة والجماعة وهو مفسر مشهور ومن أحسن تأليفاته عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

فكرته في الولاية [أي ابن عربي الضال]

١ – أن النبوة ختمت وأن الولاية لم تختم حتى جاء هو وختمها.

٢ – أن آخر الأولياء متأخر على خاتم الأنبياء والمتأخر أفضل من المتقدم.

٣ – أن الولاية أفضل من النبوة لأن الولي يأخذ العلم من الله عز وجل من غير واسطة.

٤ – خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ومثل بذلك ببناء لم يكتمل وفيه لبنتان لبنة من فضة ولبنة من ذهب: فأما الفضة فهي العلم الظاهر وهو ما أتى به الرسول ﷺ وأما الذهب فيرمز به للعلم الباطن الذي أتى به هو أي ابن عربي.

- **الرد عليه**

١ – الفكرة باطلة في أصلها لأنه لم يأت لها بدليل من الكتاب أو السنة.

٢ – معارضته للأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

فمن القرآن قوله سبحانه ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣]

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي قال:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الْعَبْدِيُّ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ.

ومن الإجماع فقد أجمعت الأمة على ختم الرسالة والنبوة بمحمد ﷺ وعلى أنه أفضل خلق الله

- **أقوال الناس فيه**

١ – (إنه كافر) قال: ذلك شارح الطحاوية وهذا هو القول الراجح في حقه

٢ – عند الصوفية أنه من الأولياء العارفين وما ورد على لسانه وفي كتبه من كلمات فظاهرها غير مراد

٣ – أنه ولي ولكن يحرم النظر في كتبه على غير العارفين بطريقته والراجح فيه القول الأول.

- **المعجزة والكرامة.**

- **أولا المعجزة :**

- **تعريفها لغة:** مأخوذة من العجز وهو ضعف القدرة والمعجز هو فاعل العجز في غيره

اصطلاحا : أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله على يد نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل لإظهار صدق نبوته وصحة رسالته.

- **شروط المعجزة**

١- أن تكون أمرا خارقا للعادة.

٢ – أن تكون على يد نبي أو رسول يتحدى من وصلت إليهم الدعوة.

٣ –أن تعجز الأمة عن الإتيان بمثلها على الصورة التي كان التحدي بها.

- **ثانيا الكرامة**

تعريفها لغة : الإعطاء بدون مقابل وهي الأجر الذي يكرم الله به أحدا من أوليائه أو عباده الصالحين

اصطلاحا: هي أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه غير الأنبياء.

- **ثالثا الأمر الخارق للعادة**

الأمور التي يكون فيها الأمر خارقا للعادة منها.

١ – باب العلم

من حيث الإخبار عن الأمم السابقة والأمور الغيبية المستقبلية مثل حديث الحسن بن علي الذي قال: فيه النبي ﷺ كما روى البخاري فقال:

حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَال: ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ *

٢ – باب القدرة والتأثير

مثال : معجزات نبي الله عيسى ﷺ في إبرائه للأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله حيث إن هذا لم يتوفر لكل البشر وإنما كان معجزة لعيسى عليه السلام بين يدي قومه للدلالة على صدق دعوته مع ملاحظة أن الأسباب التي من أجلها تبرأ الرسول ﷺ من هذه الأمور الثلاثة في قوله تعالى ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] وهي

١ – أن هذه الصفات لا تكون على وجه الكمال إلا لله وحده.

٢ – حتى يبين للكفار أنه لا يستطيع أن يفعل من الأمور الخارقة التي يطلبونها إلا بأمر وقدرة الله سبحانه

٣ - بسبب طلب الكفار علم الغيب من الرسول ﷺ كسؤالهم عن الساعة قال: سبحانه ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٧] وقوله ﴿وَقالوا لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [الإسراء : ٩٠] وأيضا إعابتهم عليه حاجته أنه بشر يحتاج لما يحتاج إليه الناس فقال: سبحانه ﴿ وَقالوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧]

- **الحكمة من الأمر الخارق للعادة**

١ – الدلالة على قدرة الله.   ٢ – نفوذ مشيئة الله.

- وجه الاتفاق بين المعجزة والكرامة

أن الجميع أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عباده.

- الفرق بين الكرامة والمعجزة

١ – أن المعجزة تكون للرسول والنبي دون غيرهم والكرامة تكون للولي من غير الرسل.

٢ - المعجزة تتبع النبوة والكرامة تنال بالتقوى.

٣- الكرامة أخف قدرا من المعجزة.

٤ – المعجزة مأمونة العاقبة بخلاف الكرامة.

٥ – أن صاحب المعجزة يظهرها ويتحدى بها بخلاف صاحب الكرامة فهو لا يظهرها ولكن يكتمها.

- الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد

١- الامتنان على المؤمن التقي بتلبية حاجته.

٢ – حاجة الإنسان إلى ما يقوي إيمانه فقد يجري الله عز وجل بعض الكرامات على يد البعض ليزداد يقينا.

٣ – نصر المؤمنين وإحداث الرعب في الأعداء وقصة خالد في شربه للسم وقوله { بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [ذكره ابن حجر في الفتح : ٢٤٨/١].

٤ – إنقاذ المؤمنين من شَرَكٍ وقعوا فيه مثل قصة سارية عمر بن الخطاب ﷺ.

٥ – الاستدراك والابتلاء كما حصل لبلعام بن باعوراء ذكره ابن كثير في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥].

- أقسام صاحب الكرامة : منهم من

١ – ترتفع درجته لما يفعله من طاعة لله وشكر على النعمة.

٢ – تنخفض درجته لعدم الشكر واستعمال الخوارق في المعصية.

٣ - لا ترتفع حسناته ولا تنخفض وتكون الكرامة كأمر مباح.

- منكرو الكرامة والرد عليهم

المعتزلة قالوا لو قلنا بالكرامة لاشترك الولي مع النبي وهذا مستحيل ولذلك نفوا الكرامة وكذلك نفوا وقوع السحر.

- الرد عليهم :

١ - لا يقاس الولي بالنبي لأن الولي لا يدعي النبوة.

٢ - ثبوت الولاية بالنصوص الشرعية.

- من القرآن

١- قوله سبحانه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِب﴾ [الطلاق :٢،٣]

٢ – قصة أصحاب الكهف

- من السنة

١- حديث النبي الذي رواه البخاري قال:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عُبَيْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَال: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ فَقَال: وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَال: لِي إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ فَقَال: الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَقَال: الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فقالت اتَّقِ

اللَّـهَ وَلَا تَفُـضَّ الْخَـاتَمَ إِلَّا بِحَقِّـهِ فَقُمْـتُ وَتَرَكْـتُ الْمِائَـةَ دِينَـارٍ فَـإِنْ كُنْـتَ تَعْلَـمُ أَنِّي فَعَلْـتُ ذَلِـكَ مِـنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا *

٢ – قول الله سبحانه في الحديث القدسي الذي رواه البخاري قال:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ

- **من الآثار:**

١ - قصة عمر (يا سارية الجبل). (الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقى).

٢- قصة العلاء الحضرمي في الماء في الصحراء وفي عبور النهر. (المعجم الصغير للطبرانى).

٣ - قصة العصا المضيئة لعباد بن بشر وأسيد بن حضير. (صحيح ابن حبان).

٤ - قصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي (ووضعه في النار).(كنز العمال وجامع الأحاديث للسيوطى).

- **أمور تابعة للكرامة**

١- الكشف.

- **أنواع كلمات الله والكشف فيها.**

١- الكلمات الكونية وكشفها هو العلم بالكونيات ودليلها ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾ [يس :٨٢] وتأثيرها إما أن يكون في النفس أو في الغير.

(أ) [في النفس] الطير في الهواء كما ادعى كثير من الفسقة وهذا من الافتراء

(ب) [في الغير] الهلاك والمرض كما يدعو كثير من الناس من يسمونهم أولياء بإمراض فلان أو إماتة فلان وهذا من أمور الشرك والخرافات والافتراء نسأل الله السلامة.

٢ – كلمات دينية شرعية وهي القرآن وشرع الله وكشفها هو العلم بالمأمورات الشرعية وتأثيرها بالأمور الشرعية يكون

(ا) [في النفس] الالتزام بالشرع

(ب) [في الغير] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي المطلوبة

٢ - الفراسة

لغة : إذا دقق النظر في شيء لمعرفة أمره الباطن

أنواعها

١ – فراسة إيمانية سببها الإيمان وهي أمر يعرف به الحق من الباطل وعلى ذلك فالدين إذا أصبح علما وعملا واحتاج صاحبه إلى خرق العادة يحصل له فراسة إيمانية.

٢ - فراسة رياضية قد تكون بالجوع والسهر وهذا الأمر يشترك فيه الكافر والمؤمن.

- الفرق بين الكرامة والفراسة

بينهما عموم وخصوص فقد تكون الكرامة فراسة والفراسة قد تكون كرامة وقد لا تكون مع ملاحظة أن عدم حصول الكرامة للمسلم لا يضره بل قد يكون أنفع له فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له والعكس في الخوارق الفاسدة كالسحر مثلا ولذلك قال: أبو علي الجرجاني إن نفسك تطلب الكرامة وربك يطلب الاستقامة وعلى ذلك فالمسلم يشتغل بالطرق الموصلة للاستقامة لأنها الطريق الموصل إلى النجاة يوم القيامة.

****

الإيمان بأشراط الساعة

ويجب علينا أن نؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن موعدها لا يعلمه إلا الله أخفاه عن الناس كلهم بما فيهم الرسل والأنبياء وأنه ليس لأحد من سبيل إلى معرفة ما بقي من عمر الدنيا فقد قال: تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا{٤٢} فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا{٤٣} إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا }{ النازعات:٤٢:٤٤} وقال: تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا

لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } [الأعراف ١٨٧] وقال: تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ } [الحج: ٦،٧]

ولكن يجب أن نؤمن بما ثبت عن رسول الله ﷺ من علاماتها وأشراطها

هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في آخر الزمان وظهور الفتن بينهم وبعدهم عن هدي الله وطريق الرسل وذكر أيضا علامات كبرى وهذا من باب الإخبار الذي يعرف بالعقيدة فمن شك في شيء منها أو أنكره ولم يصدقه فليس من المسلمين ولا من جملتهم فانتبه.

فأما العلامات الصغرى

فقد ورد فيها جملة من الأحاديث الصحيحة نذكر منها

١- ما أخرجه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ هُوَ الجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ وَأَبِي التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ * (رواه البخاري)

فهذا يدل على أن بعثة الرسول ﷺ وختم الرسالة والنبوة به من علامات قرب الساعة ففي الحديث دلالة على أن النبي ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر فهي تليه وتأتي بعده وهذا إخبار بقرب وقوعها.

٢- وفي حديث جبريل الذي رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم قال:

حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَهَذَا حَدِيثُهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قال: فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي

أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ قال: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قال: صَدَقْتَ قال: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال: صَدَقْتَ قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قال: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قال: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قال: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قال: لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ * (رواه مسلم)

٣- أخرج البخاري فقال:

حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]

٤- ما رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قال: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]

٥- ما أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ * (رواه مسلم)

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت لنا علامات أخرى تظهر قبل قيام الساعة ويمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح في كتاب الفتن في الصحيحين وكتاب الرقاق في البخاري وغيرها من الكتب الأخرى.

وأما العلامات الكبرى

فقد ورد عن رسول الله ﷺ ذكر عشر علامات منها وذلك كحديث حذيفة بن أسيد الغفاري الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قال: إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قال: الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَال: مَا تَذَاكَرُونَ قالوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قال: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ * (رواه مسلم)

وفيما يلي نبين أهم وأشهر ما ذكره العلماء من هذه العلامات وخاصة أهل الحديث لأنهم أصدق الناس نقلا عن رسول الله ﷺ وأحرصهم على معرفة الحق وأرحمهم بالخلق.

١- طلوع الشمس من المغرب

وهذه الآية بداية التغيير الذي يحدثه الله على نظام الكون في الحياة الدنيا إيذانا بقرب وقوع الساعة الذي يكون معه تغيير شامل لنظام الكون كما ذكره الله سبحانه وتعالى في كثير من سور القرآن الكريم فأول هذا التغيير كما ورد في كثير من الأحاديث طلوع الشمس من المغرب على خلاف ما نعهده من طلوعها من المشرق والذي أطلعها من المشرق قادر على تغيير مسارها فهو

خالقها ومدبر أمرها وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ أن هذه تكون أول العلامات الكبرى ظهورا فقد روى ابن ماجة رحمه الله بسند صحيح فقال:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى قال: عَبْدُ اللَّهِ فَأَيَّتُهُمَا مَا خَرَجَتْ قَبْلَ الْأُخْرَى فَالْأُخْرَى مِنْهَا قَرِيبٌ قال: عَبْدُ اللَّهِ وَلَا أَظُنُّهَا إِلَّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا * (رواه ابن ماجه)

وقد تقدم في حديث أبي هريرة السابق أن هذه الآية إذا ظهرت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها إذا لم تكن قد آمنت من قبل وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ } [الأنعام: ١٥٨] وقد قال: كثير من المفسرين ما حاصله : معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

٢- خروج الدابة

وهذه الآية أشار إليها الله تعالى في القرآن حيث قال: عز وجل { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ } (النمل – الآية ٨٢)

وقد ورد ذكر خروج الدابة في أحاديث كثيرة بعضها صحيح كما عند الإمام أحمد رحمه الله حيث قال:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَعَفَّانُ قال:ا حَدَّثَنَا هَمَّامٌ قال: ثَنَا قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: تَبَادَرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ وَدَابَّةَ الْأَرْضِ وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ وَأَمْرَ الْعَامَّةِ قال: عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا قال: وَأَمْرَ الْعَامَّةِ قال: وَأَمْرَ السَّاعَةِ * (رواه أحمد)

وقد تقدم بعضها وليس فيما صح من تلك الأخبار وصف لهذه الدابة التي يخرجها الله عز وجل قبيل قيام الساعة وما ذكر من أوصافها في بعض الكتب ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة

والمؤمن لا تعنيه معرفة هذه الأوصاف وحسبه أن يقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة وأنه إذا ما انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه.عندئذ يخرج الله لهم الدابة وتكلمهم وإذا كان الناس لا يعهدون تكلم الدواب فإن الخالق القادر يمكنها من ذلك فيفهم عنها الناس ويعلمون أنها الخارقة المنبئة بقيام الساعة أو اقترابها وقد كانوا من قبل لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون بيوم القيامة.

٣- ونؤمن بظهور المسيح الدجال والدجال هو الكذاب شديد الدجل والدجل في اللغة هو التغطية وسمي الكذاب دجالا لأنه يغطي الحق بباطله ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه النبي ﷺ بالدجال لكثرة دجله وكذبه فيدعي الألوهية ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله سبحانه وتعالى فيفتن به بعض الناس وعندئذ يثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله وقد جمع النووي رحمه الله في شرحه على صحيح الإمام مسلم الأحاديث التي ذكرها الإمام مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجود الدجال وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأعطاه القدرة على أشياء لا يقدر عليها إلا الله من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يستطيع قتل ذلك الشاب الذي قتله مرة وأحياه مرة بإذن الله ويبطل أمره كلية ويقتله عيسى ابن مريم ﷺ وينجي الله الذين آمنوا من فتنته الشديدة كما ثبتهم ونجاهم من الفتن الأخرى.

وهذا هو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة وجميع المحدثين والفقهاء وذلك خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وأيضا خلافا لمن ادعى أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعيه خرافات وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدع الألوهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بهيئته وحاله ألا ترى إلى عوره الذي في عينه الذي لم يستطع أن يصلحه وهناك شاهد بين عينيه يبين حاله كما أخبر النبي ﷺ أنه مكتوب بين عينيه كافر وهذا يبين حاله ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا الرعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأمر وسرعة الأحداث فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص الذي يعتريه فيصدقه من صدقه من الناس في هذه الحالة ولهذا حذرت الأنبياء جميعا من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله

وهذه بعض الأحاديث التي تبين ذكر الدجال وحاله فقد روى مسلم في صحيحه قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ * (رواه مسلم)

وقال: البخاري رحمه الله

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قال: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فِي أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قال: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَال: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ ثُمَّ قال: ابْنُ صَيَّادٍ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَضَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قال: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ قال: لِابْنِ صَيَّادٍ مَاذَا تَرَى قال: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا قال: هُوَ الدُّخُّ قال: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ قال: عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ يَكُنْ هُوَ لَا تُسَلَّطُ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي

قَتْلِهِ قال: سَالِمٌ فَسَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْرَمَةٌ أَوْ زَمْزَمَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقالت لِابْنِ صَيَّادٍ أَيْ صَافِ وَهُوَ اسْمُهُ هَذَا مُحَمَّدٌ فَتَنَاهَى ابْنُ صَيَّادٍ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ قال: سَالِمٌ قال: عَبْدُاللَّهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقال: إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ قال: أَبو عَبْد اللَّهِ خَسَأْتُ الْكَلْبَ بَعَّدْتُهُ (خَاسِئِينَ) مُبْعَدِينَ * [رواه البخاري]

وروى مسلم فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَاضِي حِمْصَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ ابْنِ نُفَيْرٍ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقال: مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقال: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ <u>وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ</u> إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قال: لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قال: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقال: لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ * (رواه مسلم)

هذه الأحاديث وغيرها حجة لمذهب أهل السنة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال تبعا لما أخبر به النبي ﷺ وما وصفه به من الصفات وما يؤول إليه أمره وأنه من العلامات الكبرى لقيام الساعة.

فإذا قيل كيف يجري الله الآيات الباهرة على يده والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء فقد نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي رحمهما الله في الجواب عن هذا التساؤل قوله (الجواب أنه على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه وهو أنه أعور مكتوب بين يديه كافر يقرؤه كل مسلم قارئ أو غير قارئ فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر إذا لو كان إلها لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان) هذا كلام الخطابي ثم يقول الحافظ بن حجر (وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أنه لم يكن يسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه فأقل ما يجب أن يقال: يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صور نفسك وعدلها وأزل عنها العاهة فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك) انتهى

٤- الإيمان بنزول عيسى عليه السلام

والإيمان بنزول ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال ويتزوج ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ ويموت ويدفنه المسلمون.

دلت السنة وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان قرب الساعة أثناء وجود الدجال فيقتله ويحكم بشريعة الإسلام ويحيي ما تركه الناس من فرائض الإسلام وسننه ثم يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفن وقد ورد بذلك أحاديث صحيحة كثيرة وقد قال: سبحانه (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (النساء ١٥٧- ١٥٩)

وانظر إلى قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وفي تفسير قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال: ابن كثير قال: ابن جرير الطبري (وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن

به قبل موت عيسى عليه السلام ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآيات في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك فأخبر الله أن الأمر لم يكن كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه ولم يظهر لهم ذلك ثم إن الله رفع عيسى إليه وأنه باق حى في السماء وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وقد أخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم.

ومن الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام ما رواه الشيخان وهذا لفظ البخاري قال:
حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ * (رواه البخاري)
قال: القاضي عياض (نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة ومن وافقهم وزعموا أن الأحاديث مردودة بقوله تعالى (وخاتم النبيين) وبقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري فقال:
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ قال: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ قال: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قالوا فَمَا تَأْمُرُنَا قال: فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ * (رواه البخاري)

وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ. وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل وضحت هذه الأحاديث أنه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس.

٥- ظهور يأجوج ومأجوج

وقد ورد ذكر هذه العلامة في القرآن الكريم قال: تعالى{ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً{٩٢} حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً{٩٣} قالوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً{٩٤} قال: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً{٩٥} آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قال: انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قال: آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً{٩٦} فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً{٩٧} قال: هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً{٩٨} (الكهف ٩٢-٩٨) وقال: عز وجل { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ{٩٦} وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ{٩٧} (الأنبياء ٩٦-٩٧) ومما ورد في ذكرهم من الأحاديث الصحيحة ما أخرجه الشيخان

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِي اللَّه عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قالت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قال: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ * (رواه البخاري)

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان عند مسلم وقد ذكرناه تاما إلا أنني أذكر هنا الشاهد منه فقط

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَال: لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ (رواه مسلم)

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة في أواخر عمر هذه الدنيا فكان لابد للمؤمن من تصديق ما ورد به القران والخبر الصحيح من أمرهم وأما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الأمة والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم ومكان وجودهم قبل ظهورهم فكل هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

ملاحظة وتنبيه

ورد في حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قوله { إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ <u>وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ</u> } وهذا من الأدلة النقلية على أن الله يخلف كل شيء ولا يخلفه أحد لأنه سبحانه لا يغيب ومن لا يجوز في حقه الغياب أو الفناء لا يجوز في حقه أن يخلف وبناء على هذا يتبين خطأ العبارة الشائعة بين الناس بل لا أكون مبالغا لو قلت إنها شائعة بين طلبة العلم بل بين دعاة كثيرون وهذا بحث في هذه المسألة أسأل الله أن يكون صوابا والتوفيق والسداد من الله.

فإني أستعين بالله العظيم وأتحدث في قضية ربما لا تكون مسار جدل ولكن ستكون فيها من الغرابة للحديث فيها وذلك لأنها اشتهرت على أنها من المسلمات التي لا جدال فيها سواء عند عوام الناس أو عند من ينتسبون إلى العلم وهذا من أشد البلايا على المجتمع المسلم بأسره وهي قضية { أن الإنسان خليفة الله في الأرض} فهذا قول باطل ولا يليق بجلال الله وعظمته فهو سبحانه ليس كمثله شيء ولا يخلفه أحد لأنه لا يغيب ولا يموت سبحانه جل في علاه وربما يقول قائل إنها كلمة لا تحتاج إلى مثل هذه الضجة وهذا الاهتمام ولكني أقول إن هذه الكلمة قد بنيت

عليها أحكام من بعض الفرق الضالة كالخوارج القدامى والمعاصرين حتى وصل الأمر بهم إلى قتل الأبرياء بحجة أنه ليس هناك خليفة للمسلمين ينفذ أحكام الله في الأرض إذاً ننفذها نحن كل بما استطاع حتى وصل الأمر إلى القتل العشوائي ويُبعث الناس على نياتهم ولذلك كان استخدام هذا المصطلح [الإنسان خليفة الله في الأرض] من الأمور التي يجب بيانها والكشف عن معناها الحقيقي حتى يتسنى لنا فهم الكتاب الكريم وأحاديث النبي ﷺ على فهم وفقه سليم وذلك بمراعاة القواعد العامة والخاصة بالدين ولذلك أقدم لك هذه النقاط لبيان السلوك الصحيح للفهم والمعرفة

أولا/ لابد من التفريق بين صحة النسبة وصحة المعنى

وصحة النسبة أقصد بها صحة نسبة القول إلى قائله وذلك لأن صحة النسبة تؤدي إلى إثبات مضمون وفحوى هذا الكلام المنسوب إلى قائله ليترتب عليه حكما فما بالك إذا كان الكلام يَنسَب إلى الله عز وجل أو إلى رسوله ﷺ إذًا لا بد من إثبات صحة النسبة أولا فإن كانت آية من القرآن لابد وأن نُثبِت أنها في المصحف المشهور المعروف المجمع عليه من المسلمين منذ عهد النبي ﷺ إلى يوم أن تقوم الساعة وبهذا القول يدور في ذهن القارئ وهل هناك آيات تتلى أو تقرأ وليست في المصحف ؟ أرد عليها قائلا إن الشيعة وهم من الفرق الضالة يتهمون صاحبي رسول الله ﷺ بأنهما قد حذفا آية من القرآن من سورة الشرح والتي يقول فيها ربنا عز وجل ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ هذه هي الآيات المجمع عليها بين المسلمين في هذه السورة ولكن الشيعة يزيدون آية أخرى فبدلا من أن السورة مكونة من ثمان آيات يقولون هي تسع آيات ويقرؤونها هكذا ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ - وجعلنا عليا صهرك - فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ بل هناك من ألف كتابا وسماه الكتاب الأخضر ودعا فيه إلى حذف كلمة قل وذلك مثل ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ويدعو إلى حذف كل كلمة قل في القرآن إذاً هذه الدعاوى وإن كانت لم تؤثر في القرآن المحفوظ المتواتر إلينا المحفوظ بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ إلا أنها وجدت رواجا عند الجهال وعند أصحاب

النفوس المريضة ممن ينتسبون إلى الإسلام ولذلك فإني أقول صحة النسبة أولا قبل كل شيء لأنها تستلزم صحة المعنى إذا صحت نسبة الكلام لله أو لرسوله ﷺ لأن كلام الله تعالى وكلام الأنبياء إن صحت نسبته فلا بد من صحة معناه.

أما صحة المعنى فإنها لا تقتضي ولا تستلزم صحة النسبة والمثال على ذلك أنه قد اشتهر بين الناس القول بأن الله يقول { اسع يا عبد وأنا أكون معاك معين } وينسبون هذا القول لله تعالى فهل يصح نسبة هذا الكلام لله تعالى حتى وإن كان معناه صحيحا ؟ الجواب لا يصح ذلك ففارق بين صحة النسبة وصحة المعنى ويترتب على ذلك أن تقول لمن أراد أن يطلب علما أو يثبت حكما [ثبت عرشك ثم انقش] أي لابد من صحة الدليل الذي تستدل به على الحكم قبل القول بالحكم ولذلك نجد أن الفرق بين طالب العلم الذي يثبت ما يقول وبين المقلد الذي يفعل مثلما يفعل الناس ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ هذه النقطة المهمة [ثبت عرشك ثم انقش] ويترتب على ذلك أيضا ما قال:هـ بعض أهل العلم [استدل ثم اعتقد ولا تعتقد ثم تستدل فتضل] وهذا هو الفرق بين أهل السنة وأهل الضلال فإن أهل السنة يجردون أنفسهم وقلوبهم وعقولهم لدين الله عز وجل فهم يفهمون الدليل أولا ثم يعتقدون ما أثبته هذا الدليل فتكون عقيدتهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أما أهل الزيغ والضلال والفرق المنحرفة فإنهم يعتقدون أولا ثم يستدلون لهذه العقيدة فيلوون عنق هذه الأدلة على حسب ما يريدون لتوافق هواهم سواء بالتأويل الفاسد أو ادعاء دعوى في غير محِلّها كدعوى النسخ ودعوى ضعف النص ودعوى التعارض ودعوى أنها لا توافق العقل ودعاوى كثيرة وذلك لموافقة الهوى والله عز وجل يقول ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾

وقوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ ﴾

ولذلك أوصيك أخي القارئ الكريم وأوصي نفسي بهذه الوصايا الأربع.

١- صحة النسبة لله ورسوله تستلزم صحة المعنى وصحة المعنى لا تستلزم صحة النسبة.

٢ - ثبت عرشك ثم انقش.

٣ - استدل ثم اعتقد ولا تعتقد ثم تستدل فتضل.

٤ – من اتبع الهدى فقد اهتدى ومن اتبع الهوى فقد هوى.

ولولا مخافة الملل والسآمة لكان في الموضوع كلام كثير وخير الكلام ما قل ودل سائلا الله تعالى أن يعفو عني إن زللت أو أخطأت فما من أحد إلا يؤخذ منه ويترك إلا رسول الله ﷺ

الموضوع

يقول الله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ: رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة

فما معنى كلمة خليفة في هذا الموضع ؟وهل هناك نصوص أخرى تفسرها ؟

نقول وبالله التوفيق

هناك نصوص ثبتت من كلام النبي ﷺ تبين المعنى نكتفي بنصين منها

النص الأول

وذلك في دعاء السفر الذي يبين ويوضح معنى كلمة خليفة ولمن تُوَجَّهُ حيث روى الإمام مسلم في صحيحة فقال:

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: قال: ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ <u>وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ</u> اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَ:هُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ *

ورواه أيضا الترمذي وأبو داود وأحمد والدارمي من حديث ابن عمر ورواه الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي وأحمد من حديث عبد الله بن سرجس ورواه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهم جميعا

هنا نتوقف مع النص ليبين لنا معنى نص آخر فالنص يقول { اللهم أنت الصاحب في السفر } هنا الخطاب من الإنسان إلى الله عز وجل فما معنى أن يكون الله الصاحب في السفر أي معه معية رعاية وعلم ورؤية ورحمة ولطف وسمع وبصر وذلك كما ورد في آيات من القرآن مثل قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ وقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وأدلة كثيرة في هذا المعنى ثم يأتي الشاهد من الحديث وهو قوله والخليفة في الأهل فما معنى كلمة خليفة في هذا المقام ؟ والرجل يسافر ويستخلف الله في أهله.

أولا : هو من يخلف غيره إذا غاب بأي صورة من صور الغياب كالذهاب بترك المكان أو الموت أو المرض أو عدم الاتزان وهذه كلها تكون من البشر فيخلفهم الله عز وجل لأنهم يغيبون ويموتون ويمرضون وتجري عليهم كل الأعراض التي مؤداها النقص أما الله سبحانه لا تجرى عليه هذه الأعراض ولا النقائص سبحانه لأنه القدوس المنزه على كل النقائص الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد وتحتاج كل المخلوقات إليه فلذلك فإن الله يخلف كل البشر لأنه حي لا يموت ولا يفنى ولا يبيد سبحانه فهو الخليفة لكل ما في الكون وهذا دليل من نص من سنة النبي ﷺ يفسر معنى كلمة خليفة في الآية.

النص الثاني:

روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الفتن من حديث النواس بن سمعان قال:

ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَال: { مَا شَأْنُكُمْ } قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقال: { غَيْرَ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِن يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا

حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِن يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ **وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**...} الحديث

ففي هذا النص أيضا ما يبين لنا أيضا أن الله خليفة كل المخلوقات لأنه حي لا يموت ولا يغيب ولا يفنى ولا يبيد سبحانه جل في علاه وهو من كلام الرسول ﷺ وثابت بيقين فلا يمكن تأويله ولا يحتمل إلا هذا المعنى الذي نحن بصدده.

ثم إن الآية نفسها تنفي هذا المعنى الشائع الباطل ولكن لا يُعرَفُ ذلك إلا بالتدبر والتمعن في ألفاظ الآية الكريمة وغيرها من الآيات وإليك هذا المعنى يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ: رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الكلام من الله للملائكة ولم يكن آدم قد خلق بعد ولكنه كان في تقدير الله عز وجل وعلمه مكتوب وذلك كما في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق فقال:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَال: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قالوا قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَال: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ قالوا قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قالوا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ قال: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ **وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ** وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَنَادَى مُنَادٍ ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا وَرَوَى عِيسَى عَنْ رَقَبَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قال: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ

والشاهد من الحديث قول النبي ﷺ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء

وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد في المسند فقال:

حَـدَّثَنَا أَبُـو الْعَلَاءِ الْحَسَـنُ بْنُ سَـوَّارٍ حَـدَّثَنَا لَيْثٌ عَـنْ مُعَاوِيَـةَ عَـنْ أَيُّـوبَ بْـنِ زِيَـادٍ حَـدَّثَنِي عُبَـادَةُ بْـنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي فَقَـال: أَجْلِسُـونِي قـال: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَـنْ تَطْعَـمَ طَعْـمَ الْإِيمَـانِ وَلَـنْ تَبْلُـغْ حَـقَّ حَقِيقَـةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال: قُلْتُ يَا أَبَتَاهُ فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ قال: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمُ ثُمَّ قال: **اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ*

الحديث رواه أحمد بهذا الإسناد وفيه معاوية بن صالح بن حدير وهو صدوق وله أوهام وعند أحمد أيضا بإسناد فيه ابن لهيعة وهو صدوق اختلط بعد احتراق كتبه وكثير من أهل العلم يضعفه ورواه الترمذي في موضعين الموضع الأول في كتاب القدر والثاني في كتاب التفسير وفي الموضعين فيه عبد الواحد بن سليم وهو ضعيف

ورواه أبو داود في كتاب السنة وفيه أبو حفصة واسمه حبيش بن شريح وهو مقبول ولكنه توبع فالحديث حسن بمجموع طرقه والله أعلم

فكان مقدراً أن آدم سيخلق في موعد محدد فأخبر الله الملائكة بذلك فقال: لهم ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وكلمة خليفة معناها خليقة أي مخلوق لم يكن في الوجود الفعلي من قبل ولكنه مقدر من قبل فقالت الملائكة { وهذا موضع الشاهد } ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ لم يكن هذا اعتراض من الملائكة ولكن هذا على سبيل الاستفسار فلو كان آدم خليفة كيف يفسد فيها وهو مخلوق وحيد والإفساد في الأرض يحتاج إلى جماعة أو طرفين على الأقل فلربما يقول قائل إن الإنسان وحده يستطيع أن يفسد في الأرض بإفساد ما فيها من المخلوقات الأخرى نقول له قول الملائكة ويسفك الدماء يبين المعنى ويوضحه تماما وسفك الدماء لا بد فيه من طرفين بلا جدال فلو كان المقصود بالخليفة أنه يخلف الله (وهذا محال) لما قالت الملائكة ويسفك الدماء وهذا يدل على أن الملائكة قد فهمت المسألة فهما صحيحا فعلموا أن معنى كلمة خليفة أي خليقة له ذرية يخلف بعضها بعضا وبمعنى آخر أوضح خليفة يعني خليفة يخلفه غيره إذا مات أو غاب فجعل بني آدم خلفاء بعضهم لبعض ويتبين هذا

في قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ وأيضا قوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أي تخلف من قبلك ويخلفك من بعدك فالله تعالى لا يخلفه أحد ولكنه يخلف كل أحد.

وقد روى الإمام النسائي في سننه فقال:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قال: تَغَيَّظَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ فَقُلْتُ مَنْ هُوَ **<u>يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ</u>** قال: لِمَ؟ قُلْتُ لِأَضْرِبَ عُنُقَهُ إِنْ أَمَرْتَنِي بِذَلِكَ قال: أَفَكُنْتَ فَاعِلًا قُلْتُ نَعَمْ قال: فَوَاللَّهِ لَأَذْهَبَ عِظَمُ كَلِمَتِيَ الَّتِي قُلْتُ غَضَبَهُ ثُمَّ قال: مَا كَانَ لِأَحَدٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ *

فيه عنعنة الأعمش وهو مدلس ولكنه ورد عند أحمد بإسناد حسن من أجل محمد بن جعفر قالوا عنه ثقة صحيح الكتاب إلا أنه فيه غفلة حيث قال: الإمام أحمد رحمه الله .حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة – وهو ابن الحجاج – عن توبة العنبري –وهو توبة بن أبي الأسد كيسان- قال: سمعت أبا سوار القاضي – وهو عبد الله بن قدامة بن عنزة العنبري عن أبي برزة الأسلمى ـ قال: أَغْلَظَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَقال: أَبُو بَرْزَةَ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ قال: فَانْتَهَرَهُ وَقال: مَا هِيَ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ *

وقد رواه النسائي أيضا من طرق غير طريق الأعمش حيث قال: أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ الْأَشْعَرِيُّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قال: غَضِبَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُهُ قُلْتُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرْتَنِي لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ فَكَأَنَّمَا صُبَّ عَلَيْهِ مَاءٌ بَارِدٌ فَذَهَبَ غَضَبُهُ عَنِ الرَّجُلِ قال: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ هَذَا خَطَأٌ وَالصَّوَابُ أَبُو نَصْرٍ وَاسْمُهُ حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ خَالَفَهُ شُعْبَةُ*

ولو كان جائزا أن يقال: خليفة الله لكان الأولى أن يقولها الرجل لأبي بكر رضي الله عنه وهم أولى منا معرفة باللغة والمعاني وما من خير إلا وسبقونا إليه وقد شهد الله لهم بالرضا فقال: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ومع ذلك نذكر من كلام أبي بكر رضي الله عنه ما يدل على بطلان القول بأن الإنسان خليفة الله في الأرض وذلك فيما رواه الإمام أحمد فقال:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قال: قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ فَقال: أَنَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا رَاضٍ بِهِ وَأَنَا رَاضٍ بِهِ وَأَنَا رَاضٍ

وفيه انقطاع بين ابن أبي مليكة وأبي بكر رضي الله عنه لأن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر ولكن البخاري قد روى لنا عن أبي بكر ما يظهر هذا المعنى فقال: البخاري رحمه الله تعالى

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لِوَفْدِ بُزَاخَةَ تَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الْإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَكُمْ بِهِ *فلو كان جائزا لقال: أبو بكر رضي الله عنه حتى يري الله خليفته ولكنه قال: خليفة نبيه ﷺ وقد جاء حديث قصة مقتل عمر بن الخطاب ووصيته لولده أن يستأذن من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الدفن بجوار الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر ليبين لنا معنى الاستخلاف فقال: البخاري رحمه الله تعالى:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِالْحَمِيدِ حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو ابْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ اذْهَبْ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْ يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلَامَ ثُمَّ سَلْهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ قالت كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي فَلَمَّا أَقْبَلَ قال: لَهُ مَا لَدَيْكَ قال: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قال: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمُوا ثُمَّ قُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَادْفِنُونِي وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ فَمَنِ اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الْخَلِيفَةُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا فَسَمَّى عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَوَلَجَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقال: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَقال: لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا (الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ *

والشاهد من الحديث أن عمر رضي الله عنه قال: فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة أي أن الذي سيخلف عمر يخلفه لأن عمر قد غاب وأيضا هذا الشاب الذي دخل على عمر رضي الله عنه وقال: [أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ]

فكلمة استخلفت تدل على أنه قد خلف من قبله لما غاب وهذا المعنى هو المعنى الحتمي واللازم من هذه النصوص وهذا نص آخر من كلام النبي ﷺ يذكر فيه كلمة خليفة حيث قال: البخاري رحمه الله تعالى:

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُاللَّهِ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ *

فقول النبي ﷺ ما استخلف خليفة يفهم منه أن الاستخلاف من البشر بعضهم لبعض

وقد قال: البخاري رحمه الله تحت عنوان بَاب مَتَى يَسْتَوْجِبُ الرَّجُلُ الْقَضَاءَ

وَقَالَ: الْحَسَنُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْحُكَّامِ أَنْ لَا يَتَّبِعُوا الْهَوَى وَلَا يَخْشَوُا النَّاسَ وَلَا يَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ وَقَرَأَ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا ﴾ اسْتُوْدِعُوا ﴿ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وَقَرَأَ ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فَحَمِدَ سُلَيْمَانَ وَلَمْ يَلُمْ دَاوُدَ وَلَوْلَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ هَذَيْنِ لَرَأَيْتُ أَنَّ الْقُضَاةَ هَلَكُوا فَإِنَّهُ أَثْنَى عَلَى هَذَا بِعِلْمِهِ وَعَذَرَ هَذَا بِاجْتِهَادِهِ وَقَالَ: مُزَاحِمُ بْنُ زُفَرَ قَالَ: لَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ خَمْسٌ إِذَا أَخْطَأَ الْقَاضِي مِنْهُنَّ خَصْلَةً كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ أَنْ يَكُونَ فَهِمًا حَلِيمًا عَفِيفًا صَلِيبًا عَالِمًا سَئُولًا عَنِ الْعِلْمِ *

ليبين لنا أن اتباع الهوى في كل شيء يؤدي إلى الهاوية والضلال ولعل هذه المقولة التي قلناها آنفا وهي (من اتبع الهوى فقد هوى ومن اتبع الهدى فقد اهتدى) تنطبق على هذه المسألة

وحتى نغلق الباب أمام الشبه التي قد ترد على أذهان البعض من نصوص في السنة وفيها التصريح بهذا اللفظ خليفة الله أو لله خليفة فإننا نورد النصوص ونحققها من حيث الصناعة الحديثية أولا فإن الحكم لا يثبت إلا إذا ثبت دليله والأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمات ضعيفة وإليك البيان

الحديث الأول

روى أبو داود في سننه في كتاب السنة قال:

حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ قال: جَمَّعْتُ مَعَ الْحَجَّاجِ فَخَطَبَ فَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي بَكْرِ ابْنِ عَيَّاشٍ قال: فِيهَا فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِخَلِيفَةِ اللَّهِ وَصَفِيِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ قال: وَلَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْحَمْرَاءِ *

ضعيف

الحديث انفرد به أبو داود ولم يروه غيره وفي إسناده شريك بن عبد الله بن شريك وهو القاضي وهو صدوق سيء الحفظ جدا والحجاج وهو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي وهو ليس أهلا لأن يروى عنه وقطن بن نسير صدوق كثير الخطأ

الحديث الثاني

روى ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ قال:ا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقال: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ *

ضعيف وعلته

أبو قلابة وهو عبد الله بن زيد الجرمي ذكر الذهبي في ميزانه أنه كان يدلس عمن لحقهم وعمن لم يلحقهم وكان له صحف يحدث منها ويدلس

ووهم أبو حاتم فقال: لم يسمع من أبى زيد عمرو بن أخطب، ولا يعرف له تدليس وهذا وهم منه.

وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن ثوبان رضي الله عنه فقال:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ *

وهو ضعيف وعلته علي بن زيد وهو المعروف بعلى بن زيد بن جدعان، ينسب أبوه إلى جد جده. اهـ.

الحديث الثالث

روى الإمام أحمد في مسنده فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قال: سَمِعْتُ صَخْرًا يُحَدِّثُ عَنْ سُبَيْعٍ قال: أَرْسَلُونِي مِنْ مَاءٍ إِلَى الْكُوفَةِ أَشْتَرِي الدَّوَابَّ فَأَتَيْنَا الْكُنَاسَةَ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ جَمْعٌ قال: فَأَمَّا صَاحِبِي فَانْطَلَقَ إِلَى الدَّوَابِّ وَأَمَّا أَنَا فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ حُذَيْفَةُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ قال: نَعَمْ قُلْتُ فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْهُ قال: السَّيْفُ أَحْسَبُ أَبُو التَّيَّاحِ يَقُولُ السَّيْفُ أَحْسَبُ قال: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قال: ثُمَّ تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ قال: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قال: ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ قال: فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَالْزَمْهُ وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرَبْ فِي الْأَرْضِ وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ قال: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قال: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ قال: قُلْتُ فِيمَ يَجِيءُ بِهِ مَعَهُ قال: بِنَهَرٍ أَوْ قال: مَاءٍ وَنَارٍ فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَهُ حُطَّ أَجْرُهُ وَوَجَبَ وِزْرُهُ وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ قال: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قال: لَوْ أَنْتَجْتَ فَرَسًا لَمْ تَرْكَبْ فَلُوَّهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ قال: شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي أَبُو بِشْرٍ فِي إِسْنَادٍ لَهُ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ قال: قُلُوبٌ لَا تَعُودُ عَلَى مَا كَانَتْ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ حَدَّثَنِي

صَخْرُ بْنُ بَدْرٍ الْعِجْلِيُّ عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ الضُّبَعِيِّ فَذَكَرَ مِثْلَ مَعْنَاهُ وَقال: وَحُطَّ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ قال: وَإِنْ نَهَكَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ عَنْ صَخْرٍ عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ الضُّبَعِيِّ فَذَكَرَهُ وَقال: وَإِنْ نَهَكَ ظَهْرَكَ وَأَكَلَ مَالَكَ وَقال: وَحُطَّ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ *

حديث ضعيف

والحديث رواه أيضا أبو داود وأحمد في موضع آخر ومدار الحديث على سبيع بن خالد، ويقال: خالد ابن سبيع، ويقال: خالد بن خالد (ويقال: غير ذلك) اليشكري البصري لم يوثقه إلا ابن حبان والعجلي وهما يوثقان المجاهيل وقال: ابن حجر فيه مقبول

وبعد أن بينت لك علل الأحاديث التي جاءت فيها كلمة خليفة الله أو لله خليفة وأن هذه العبارة ليست من العقيدة الصحيحة في شيء بل فيها وصف لا يليق بالله عز وجل أود أن أنقل لك من كلام أهل العلم ما يعضد ذلك الفهم الذي فهمته

ذكر الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة الجزء الأول ص ١٢٠، ١٢١. وذلك في تحقيقه لحديث { يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة } الذي أخرجه ابن ماجة فقال: الشيخ رحمه الله

وهذه الزيادة [خليفة الله] ليس لها طريق ثابت ولا ما يصلح أن يكون شاهدا لها فهي منكرة كما يفيده كلام الذهبي ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: في الفتاوي [٢/٤٦١]

[وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله والله تعالى لا يجوز له خليفة ولهذا قالوا لأبي بكر يا خليفة الله فقال: لست بخليفة الله ولكن خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال: النبي ﷺ [اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا] وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ عن العالمين ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها فإنه

حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه ولا يقوم مقامه إنه لا سمي له ولا كفء له فمن جعل له خليفة فهو مشرك به. انتهى

بل قال: ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة

أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال: تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ ﴾ وقال: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَلائِكَة فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ وقال: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِم خَلْفٌ ﴾ وقرىء في الشاذ ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ حكاها الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ البقرة

فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قال:ه القرطبي أو أنهم قاسوهم على من سبق كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك، وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا لوجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم أنه سيخلق في الأرض خلقاً قال: قتادة وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ الآية وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك كما سيأتي، أي ولا يصدر منا شيء

من ذلك وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال: الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيها الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء الأبرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم وقد ثبت في الصحيح أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال: عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى فقال:

حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " يَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَإِذَا عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، قال: اللَّهُ عز وجل: لَهُمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ_أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَجِئْنَاكَ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَإِذَا عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، قال: اللَّهُ عز وجل : لَهُمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ قالوا : جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادِك، أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَجِئْنَاكَ وَهُمْ يُصَلُّونَ " ونحن نعلم يقينا من خلال كلام نبينا أن عمل الليل يرفع إلى الله قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ودليل ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، قال حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ "، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ، مَا انْتَهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ : وَلَمْ يَقُلْ حَدَّثَنَا، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ : مِنْ خَلْقِهِ، وَقال: " حِجَابُهُ النُّورُ "

فقول الملائكة أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ وقيل معنى قوله جواباً لهم ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ إني لي حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها وقيل إنه جواب ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فقال: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي من وجود إبليس بينكم وليس هو كما وصفتم أنفسكم به وقيل بل تضمن قولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة

طلباً منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم فقال: الله تعالى لهم ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة والله أعلم.

هذا كلام ابن كثير في المسألة والشاهد منه قوله أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

قال: السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن الله تعالى قال: للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة

قالوا ربنا وما يكون ذاك الخليفة قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. انتهى

وقال: ابن جرير الطبري تعليقاً على تفسير السدي لهذه الآية معترضاً عليه فقال:

فكان تأويل الآية على هذا إني جاعل في الأرض خليفةً مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي وأن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفاء.

ثم قال: ابن جرير وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا قال: والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلاناً في هذا الأثر إذا قام مقامه فيه بعده كما قال: تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر فكان منه خلفاً.

والذي نقلناه من كلام السدي وهو ضعيف ليس لاعتمادنا عليه ولكن أوردناه من أجل اعتراض الطبري عليه والله تعالى أعلم.

ومن هنا يظهر أنه لابد من بيان حقيقة غائبة عن كثير من الناس إلا من رحم الله عز وجل وهي أن المعاصي نوعان

١- نوع يزيل الإيمان كلية وينقل الإنسان إلى ضده.

٢- نوع ينقص في الإيمان ولا ينقل الإنسان إلى ضده.

ويتبين ذلك من قصة آدم عليه السلام مع إبليس فهذا كبير البشر وأول مخلوق منهم وهو آدم عليه السلام وذاك كبير الجن ولذلك لا بد من بيان بعض الحقائق المخلوطة عند الناس.

١- إن إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وهذا نص من القرآن واشتهر عند الناس أن إبليس كان من الملائكة وهذا خلط كبير.

٢- إن إبليس ليس معصوماً وكتب عليه الخطأ لا محالة ولكنه لما أخطأ استكبر على أمر الله عز وجل لأنه قاس الأمر بعقله وجعل عقله هو الحاكم على أمر الله عز وجل لأنه لما أمر بالسجود كان الواجب عليه أن يسجد لأنه مع صفوف الملائكة وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون مع العلم أن إبليس ارتفعت مكانته وعلت فأصبح في صفوف الملائكة بسبب اجتهاده في العبادة وزهده وورعه فارتفع إلى هذه المكانة دون غيره ولكن هنا موضع الابتلاء والاختبار يصدر الأمر من الله فإذا بالملائكة يسجدون لا يتخلف منهم أحد عن السجود ولكن يبقى مخلوق لا يسجد بعد فيسأله رب العالمين ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ ﴾ أي تكبرت على أمري معاندة ومشاقة أم أنك في مكانة أعلى من هذا الأمر فيرد إبليس بهذا الجواب ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ أدخل القياس العقلي ليثبت بهذا القياس مَنْ أفضل الذي خلق من طين أم الذي خلق من نار فبالقياس الفاسد أثبت لنفسه أن النار أفضل من الطين فلذلك لم يسجد لأنه قال: خلقتني من نار وخلقته من طين فكانت هذه المعصية سببا لخروجه من الإسلام كلية مع أنها معصية واحدة ولهذا قال: ﷺ كما روى مسلم في كتاب الإيمان فقال:

وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ قال: ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَال: ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قال: رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ *

لأن إبليس أول من سن هذه السنة السيئة وهي سنة الكبر فتبعه فيها من بعده فكان عليه كفل من أوزار كل المتكبرين سواء كانوا من الجن أو الإنس وذلك كما قال: النبي ﷺ فيما روى البخاري والترمذي وأحمد وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا وَرُبَّمَا قال: سُفْيَانُ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا *

٣- إن آدم عصى ربه وذلك بنص القرآن الكريم وعصى آدم ربه فغوى ولكن آدم لما علم حقيقة الأمر لم ينكر ولكنه رجع إلى الحق وتاب إلى الله عز وجل وهذا دأب المؤمنين أنهم إذا أخطئوا وهذا واقع منهم لا محالة تابوا إلى الله وأنابوا ولهم البشرى وذلك يتمثل في قول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي وهذا لفظ الترمذي

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْعَدَةَ الْبَاهِلِيُّ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ

٤- إن آدم سكن أول ما سكن في الجنة والله هو الذي أسكنه هذه الجنة وهي جنة الخلد على الرأي الراجح من كلام أهل العلم وهذا ما يذكرنا أن المعصية تقلل من مكانة الإنسان لأن آدم عصى فهبط من الجنة إلى الأرض وقطعا الجنة أفضل من الأرض لأن الجنة نعيم دائم والأرض فتنة وبلاء وتعب ونصب وشقاء فيالها من معصية تجعل الإنسان ينتقل هذه النقلة التي لا وجه مقارنة بينهما ولكن تقدير الله فوق كل شيء.

٥- إن آدم وهو نبي من أنبياء الله سبحانه فعل هذه المعصية بفعل فاعل ومكيدة إبليس يقول الله تعالى

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شيءتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَال: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا

عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلاَ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌ مُبِينٌ قال:اَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخّاسِرِينَ قال: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قال: فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

وروى الإمام مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنِي أَبُوغَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ وَابْنِ الْمُثَنَّى قال:ا حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ { أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقال: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قال: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ قال: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُوسُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُوعِيَالٍ قال: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَيُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوالْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُوغَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ }

فدل ذلك على أن الشيطان غير تارك ذرية آدم عليه السلام حتى يخرجهم من دينهم كما قال: تعالى { قال: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ{٣٩} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ{٤٠} [الحجر: ٣٩، ٤٠]

وروى مسلم وابن ماجة وأحمد وهذا لفظ مسلم

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قال:ا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قال: فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ *

وأيضا ورد أن النبي ﷺ قال: فيما رواه البخاري وغيره وهذا لفظه قال:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قال: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي أَنَسٍ مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ *

وذلك ليترك الإنسان إلى نفسه التي بين جنبيه حتى لا يحتج الإنسان ويعلق كل شيء على الشيطان مع أن الله عز وجل قال: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ مع العلم أن الراجح من كلام أهل العلم { أن الذين يغلون أو يسلسلون في رمضان إنما هم مردة الجن } وليس كل الجن ولذلك علق الله الفلاح والنجاح على النفس فقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى{٤١} ﴾ [النازعات: ٤١،٤٠] وهذا يجعلنا نتطرق إلى مسألة اتباع الهوى وما يترتب على ذلك

أولا : ما هو الهوى المقصود في آيات القرآن وفي نصوص السنة ؟

الهوى هو إتباع ما ترغبه النفس حيث توجد الرغبة دون قيد

ولعل الهوى يكون ضد أوامر الشرع ولعله يكون تبعا لأوامر الشرع فإن كان ضد أوامر الشرع فهو الهوى المذموم والذي قال: فيه ربنا سبحانه ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾

وقوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَة فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ ﴾ وقال: تعالى { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } {القصص:٥٠}

ومن السنة قوله ﷺ فيما روى مسلم وغيره وهذا لفظه

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا أَبُو هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ *

وفي هذا المقام ننبه على ضعف الحديث المشهور المتداول على السنة الخطباء وغيرهم وهو ما ينسب إلى النبي ﷺ { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به } فهذا حديث ضعيف معلول بعلل ثلاث

راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي

وبهذا أكون قد بينت لك أخا الإسلام العقيدة الصحيحة في هذه اللفظة التي يحمل معناها عند كثير من الناس بل لا أكون مبالغا إن قلت عند كثير من المتعالمين بل عند كثير من أصحاب المناهج المنحرفة فهما خاطئا لا يليق بالله تعالى كما ذكرت في المقدمة والله أعلم

****

الإيمان باليوم الآخر

ومعناه بصورة إجمالية الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله لأهلها جميعا.

اهتمام القرآن بهذا الركن وحكمته :

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر واهتم بتقريره في كل موقع ونبه إليه في كل مناسبة وأكد وقوعه بشتى الأساليب العربية.

ومن مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم في كتاب الله أنه كثيرا ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله عز وجل ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة - الآية ١٧٧) وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة - الآية ٦٢) وقوله تعالى { ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } (البقرة - الآية ٢٣٢) وقوله تعالى { قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (التوبة - الآية ٢٩) وقوله تعالى { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (العنكبوت - الآية ٣٦) وأمثال هذه الآيات كثيرا جدا في كتاب الله عز وجل

ومن مظاهره أيضا إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر حتى أنك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا وتجد فيها حديثا عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من الأحداث والأحوال بأساليب كثيرة ومتنوعة كذلك تجد القرآن يفصل أحوال ذلك اليوم تفصيلا قلما تجده في أمور الغيب الأخرى

ومن مظاهره أيضا كثرة ما سماه الله من الأسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأهوال فمن أسمائه في القرآن: القيامة والساعة ، والآخرة ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم الحسرة ، ويوم التناد ، والآزفة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة ، والغاشية ، والواقعة وغيرها.

وأما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن فمنها :

أن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب وفوز وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل وشتان ما بين اثنين :

أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين وأحكم الحاكمين فيثاب على الخير ويعاقب على الشر فالأول تفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته والغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة وأي خلق وأي عمل مهما كان ضرره والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم كما قال: تعالى { وَالْوَزْنُ

يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٨} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ{٩} (الأعراف - الآيتان ٨-٩)

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان ومن ذلك قوله تعالى { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ{١} فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ{٢} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ{٣} (الماعون - الآيات ١-٣) وقوله عز وجل { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ{١٨} (التوبة – الآية ١٨) وقوله أيضا { لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ{٤٤} إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ{٤٥} (التوبة – الآيتان ٤٤-٤٥)

وقوله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٢٢} [المجادلة:٢٢] وقوله { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ{٦} [الممتحنة:٦] وقوله { ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً{٢} [الطلاق:٢] وقوله { وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [الأنعام:٩٢] وغيرها كثير

فإنه لما كان الإنسان مفطورا على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها كان الإيمان باليوم الآخر مقويا للوازع النفسي عنده ذلك الوازع الذي يرغب في الخير ويصد عن الشر ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به والتفنن في تصويره حتى يتعمق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشتد تأثيره. ولعل من حكمة الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه بسبب تثاقلهم إلى الأرض وحبهم لمتاع الدنيا فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففا من الغلو في حب الدنيا فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها وإن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أعد لهم في ذلك اليوم العظيم ويشير إلى

هذا المعنى قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ{٣٨} [التوبة:٣٨]

ولعل من حكمته أيضا أن وجود ذلك اليوم كان وما يزال يثير استغراب الكافرين وتعجبهم لما يرونه ببصيرتهم القاصرة من مخالفة البعث لما يرونه من تحول إلى رفات وعظام بعد الموت فقال: تعالى عن أمثال هؤلاء { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ{١} بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ: الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ{٢} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ{٣} (ق - الآيات ١-٣) فبين لهم الله سبحانه في كثير من الآيات التي سنذكر بعضها فيما بعد أن هذا الحس الذي يواجهون به هذه الحقيقة حس عاجز وقاصر لأن أمثال البعث في حياة الإنسان كثيرة ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له :

ولقد دل على الإيمان باليوم الآخر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة فأكثر سبحانه من ذكره في كتابه وأقام عليه الأدلة ورد شبه المنكرين للبعث في كثير من المواضع كما فصل في القرآن أمور ذلك اليوم وحوادثه تفصيلا لم يسبق لها مثيل في الكتب السابقة مع أن كل رسول أرسله الله بشر قومه وأنذرهم بهذا اليوم العظيم وكفر كل من ينكره أو يشك فيه

قال: تعالى { اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء – الآية ٨٧) وقال: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة – الآية ١٧٧) وقال: أيضا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } (النساء - الآية ١٣٦)

ويخبرنا القرآن عن نوح عليه السلام أنه قال: لقومه {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً{١٧} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً{١٨} (نوح - الآيتان ١٧-١٨) وعن إبراهيم عليه السلام أنه قال: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} (الشعراء – الآية ٨٢) وقال: سبحانه لموسى عليه السلام {إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى{١٦} (طه – الآيتان ١٥-١٦) وقد أمر الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ أن يقسم به على البعث في أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ{٧} (التغابن - الآية ٧) والذين ينكرون البعث إنما يكذبون رسل الله جميعا أولئك الذين قامت الأدلة العقلية والحسية القاطعة على صدقهم في كل ما اخبروا به وتكذيبهم في خبر حجر على العقل الذي حكم بصدقهم وتكذيب له وعناد لا معنى له

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم ذلك أنه أمر من أمور الغيب الذي لا يعلمه إلا الله والضابط في هذه الأمور أنه لا سبيل لأحد في إيبائها أو إنكارها إلا سبيل واحد هو إعلام الله عز وجل فمن قامت الحجج القاطعة على تلقيه من عند الله تعالى فهو الصادق فيما يخبر به عن شيء من هذه الأمور وهذا أمر لم يثبت إلا للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام فهم الذين أيدهم الله بالمعجزات وأطلعهم على بعض الغيب وقد تقدم اتفاقهم على الإخبار باليوم الآخر

وإنما أثار المنكرون للبعث بعض الشبهات والشكوك حول وجود ذلك اليوم كاستبعادهم العودة إلى الحياة بعد الموت بعد تحولهم إلى رفات وعظام وتراب فقالوا كما أخبر الله عنهم {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ{٣} (ق - الآية ٣) وقال: تعالى {وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً{٤٩} قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً{٥٠} أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً{٥١} يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً{٥٢} (الإسراء: الآيات ٤٩-٥٢)

وشبههم جميعا لا تعدوا الاستعباد والاستعظام والتعجب

وقد رد الله سبحانه على هذه الشبه وبين تفاهتها في أكثر من موضع من كتابه العزيز وبين لهم أن الإيمان بالمعاد لا ينكره العقل بل يؤيده ولا يخالف المعهود بل له أمثلة في حياة الناس وشواهد من صنع الخالق من ذلك :

١- قال: تعالى :

{ وَقَالوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً{٤٩} قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً{٥٠} أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً{٥١} يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً{٥٢} (الإسراء: الآيات ٤٩-٥٢) (الإسراء - الآيات ٤٩-٥٢)

فانظر إلى هذه الشبهات التي أثاروها وما يثيره المنكرون في كل عصر لا يتعداها : أنهم يستعظمون على الله تحويل ما تؤول إليه الأجساد من الرفات والعظام إلى خلق جديد يحس ويشعر ويستكثرون عليه قدرته على ذلك ويستبعدون هذا الأمر لأنهم لا يعلمون متى هو وهي شبهات - كما ترى - مبعثها الجهل بطبيعة الحياة والموت والغفلة عن قدرة الله عز وجل والتعامي عن آثار هذه القدرة المطلقة في الإنشاء من العدم وكان يكفيهم - لو كانوا يعقلون - أن يتذكروا قدرة الله عندما خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا ليوقنوا بصدق الباري فيما أخبرهم عن المعاد والحساب والثواب والعقاب فالقضية بسيطة والجواب مفحم مع بساطته وبداهته : فأن الإنسان قد وجد نفسه مخلوقا بعد أن لم يكن فلا بد له من خالق أوجده من العدم ثم تحول من حال إلى حال بمفارقة الحياة فلا بد من فاعل لهذا التحول وليس هو إلا الله الذي خلق أول مرة ولو كان غيره لاستطاع أن يدفع عن نفسه الموت فإذا أخبر بعد ذلك هذا الخالق المحيي المميت بأنه سيحيي الإنسان مرة أخرى ويعيد خلقه كانت مناقشته في ذلك عنادا واستكبارا قال: تعالى { قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكَثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الجاثية - الآية ٢٦)

١- وقال: تعالى :

{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ{٧٧} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ{٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ{٧٩} الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ{٨٠} أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ{٨١} إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{٨٢} فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{٨٣} (يس - الآيات ٧٨-٨٣)

يقول شارح العقيدة الطحاوية في شرح هذه الآيات الكريمة (فلو رآه أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشبه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا فكان في قوله تعالى (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) ما وفى الجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) فاحتج بالبدء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على البدء والخلق في أول مرة قادر على الإعادة بل هي أهون عليه وإنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ؟ أم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام إذا صارت رميما عادت بطبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة فقال: سبحانه (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة الذي يخرج من الشيء ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر. فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر. فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد إقتدارا فقال: سبحانه (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم) فالذي لأبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى.

٣- وقال: عز وجل { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ

مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ{٥} ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٦} وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ{٧} [الحج:٥-٧]

فتدبر هذه الآيات الكريمات من سورة الحج فإن فيها من الأدلة على البعث والآيات البينات على قدرة الله في إحياء الموتى ما يمحو كل شك من القلوب حول هذه الحقيقة ويزيل كل استغراب ويفند شبهات المعاندين.

١- ففيها أولا دليل إنشاء الخلق وبدأهم من تراب ليس فيه مظهر من مظاهر الحياة وقد تقدم الكلام عن هذا الدليل.

٢- وفيها إبراز لمظهر من مظاهر قدرة الله في خلق الإنسان ونقله من طور إلى طور وحال إلى حال أخرى تختلف عن الأولى كل الاختلاف فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم شق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والأعصاب وغيرها ثم أحكم خلقه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هى أتم وأحسن الأشكال، كما قال: تعالى { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } {التين:٤} كيف يعجز عن بعثه وإعادة الحياة إليه؟ فليس هذا إلا عمليه نقل من حال إلى حال أخرى والمعاند يرى أمثاله في نفسه وفي كل إنسان على وجه الأرض.

ولقد نبه الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى بعد تفسيره للآيات السابقة إلى معنى لطيف تضمنته الآيات فقال:

(وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض فهو يقف ثم يتراجع (لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) فلا بد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان.

فدلالة هذه الأطوار على البعث مزدوجة.. فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر علي الإنشاء قادر على الإعادة وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة ونواميس الحياة والبعث ونواميس الحساب والجزاء، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر الذي ليس في وجوده جدال)

هذا وفي ذكر أطوار الإنسان وتكونه من النطفة والعلقة لفتة أخرى : ففيه توجيه أنظار المعاندين المنكرين للبعث وإحياء الموتى إلى أن هذا الفعل الرباني ماثل في كل واحد منهم وفي كل إنسان فإنه قبل أن يكون خلقا سويا كان نطفة من ماء مهين لا قيمة لها وعلقه ومضغه أي قطع من لحم لا شكل لها ولا تخطيط وجميعها مراحل حقيرة أشبه ما يكون الإنسان بالميت ومع ذلك فإن الله سبحانه يخلق فيها الحياة، ويشكلها ويودع فيها أسباب الحياة إلى أن تغدو في نهاية الأمر بشرا سويا يفكر ويشعر ويخاصم ويجادل فما أشبه هذا الصنع الرباني بإحياء الموتى الذي يستنكره المنكرون للبعث ولذلك قال: عز وجل: { أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى{٣٧} ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى{٣٨} فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى{٣٩} أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى{٤٠} [القيامة:٣٧-٤٠]

وفي الآيات السابقة دليل آخر على البعث وآية أخرى على قدرة الله في إحياء الموتى : هذه الأرض القاحلة لا ترى فيها أثر الحياة ولا ينبت فيها شيء فإذا أنزل الله عليها المطر ظهرت فيها الحياة وأنبتت من الزروع، وأشتات النبات في أختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها، وكما قال: تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصلت:٣٩] وقال: تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } { المؤمنون: ١١٥ } وقال: أيضا { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى }{ القيامة:٣٦ }

فهاتان الآيتان وأمثالهما تقرران أن الإيمان بالمعاد والحساب والجزاء هو من مقتضيات توحيد الله في صفاته الكاملة وأسمائه الحسنى فهذا الركن من لوازم الركن الأول من أركان الإيمان ومن كفر به لم يكن مؤمنا بالله عز وجل لأن ذلك يستلزم كفره بحكمة ربه وعدله في خلقه وتعطيل صفاته سبحانه وتعالى.

ومن لوازم هذا الكفر أحتقار الإنسان لنفسه باعتقاده أنه خلق عبثا لا لحكمة بالغة وأن وجوده في الأرض موقوت محدد بهذا العمر القصير المليئ بالنكد والهموم والمصائب والظلم والبغي والآثام وأنه يترك سدى فلا يجزى الظالم بظلمه والعادل بعدله والمصلح بإصلاحه والمفسد بإفساده والمسيئ بإساءته فالإيمان بالبعث واليوم الآخر هو الذي يليق بجلال الله وعدله وحكمته ويحكم به العقل وتطمئن إليه الفطرة السليمة.

تفصيل الإيمان باليوم الآخر

وإذا كان الإيمان باليوم الآخر من أهم الأركان التي يقوم عليها الإيمان فإنه لا يتحقق ولا يكون تاما إلا بأمرين

الأول: أن يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الإيمان.

الثاني: أن يؤمن بكل ما أخبره به رسول الله ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت ونذكر فيما يلي أهم ما وردت به الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة في هذه الأمور.

١- أن يؤمن المسلم بأن بعد الحياة موت وفناء قال: تعالى { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ } {الرحمن: ٢٦} وقال: أيضا { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ } {الزمر:٣٠} وقال: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } {الزمر:٤٢}

٢- فتنة القبر وسؤال الملكين

فيجب أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ من فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان عن ربه ودينه ونبيه فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الناس يفتنون في قبورهم فيقال: للعبد من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول المؤمن ربي الله والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي وأما المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيعذب ويضرب

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح قال:

حَدَّثَنَا يَزِيدُ قال: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قال: سَأَلَتْهَا امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ فَأَعْطَتْهَا فَقالت لَهَا أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ فَلَمَّا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ قالت لَهُ فَقال: لَا قالت عَائِشَةُ ثُمَّ قال: لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ * [رواه أحمد]

وروى البخاري رحمه الله فقال:

حَدَّثَنَا عَيَّاشٌ حَدَّثَنَا عَبْدُالْأَعْلَى حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قال: وَقال: لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَال: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قال: النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَال: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ * [رواه البخاري]

وروى أبو داود في سننه فقال:

٤١٢٧ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح و حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَهَذَا لَفْظُ هَنَّادٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ الْمِنْهَالِ عَنْ زَاذَانَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَال: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا وَقَال: وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَال: لَهُ يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ قال: هَنَّادٌ قال: وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ قال: فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) الْآيَةُ ثُمَّ اتَّفَقَا قال: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا قال: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ قال: وَإِنَّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ قال: وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا قال: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قال: ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا

جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا قال: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قال: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا الْمِنْهَالُ عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ قال: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: فَذَكَرَ نَحْوَهُ * (رواه أبو داود)
وجملة من الأحاديث الصحيحة وهي كثيرة وردت بإثبات فتنة القبر وسؤال الملكين
١ - عذاب القبر ونعيمه.
وبعد عذاب القبر يجب أن نؤمن بما أخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام من عذاب القبر ونعيمه وقد تظاهرت على هذا الأمر دلائل من الكتاب والسنة قال: تعالى { فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ{٤٥} النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ{٤٦} (غافر: ٤٥،٤٦)
فقد توعد الله سبحانه آل فرعون بنوعين من العذاب :
الأول : أشار إليه بقوله تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً)
والثاني : أشار إليه بقوله تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) وقد عطف الثاني على الأول والعطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه فلابد أن يكون المشار إليه أولا غير الثاني فإذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة فلابد أن يكون الأول واقعا بهم ما بين الموت والنشور وهو عذاب القبر وقد أشار الله عز وجل إلى عذاب يكون بعد الموت في قوله تعالى
﴿وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيْهِم أَخْرِجُوا أَنْفَسَكُمْ الْيَومَ تُجْزَونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام ٩٣]. فقد قال: ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية. هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم قال: ابن حجر ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ { محمد:٢٧} ثم قال: هذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه
وأما الأحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر فكثيرة جدا تبلغ حد التواتر يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم : (اعلم ان مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه ادلة الكتاب

والسنة قال: تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً) وتظاهرت به أدلة السنة فيما صح عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده.

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر وسماع النبي ﷺ من يعذب فيه وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم عند انصرافهم عنهم بعد دفنهم وكلامه ﷺ لأهل القليب وقوله ما أنتم بأسمع منهم، والفسح للميت في قبره إن كان من الناجين وعرض مقعده من الجنة أو النار عليه وغير ذلك

ومن الأحاديث الواردة في ذلك

٤١٢٦ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ أَبُو نَصْرٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قال: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ فَقَال: مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقال: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ قالوا وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ مَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَإِنِ اللَّهُ هَدَاهُ قال: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ فَيُقال: لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقال: لَهُ هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي فَيُقال: لَهُ اسْكُنْ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ مَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي فَيُقال: لَهُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ فَيُقال: لَهُ فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بِمِثْلِ هَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ قال: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ فَذَكَرَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ الْأَوَّلِ قال: فِيهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولَانِ لَهُ زَادَ الْمُنَافِقَ وَقال: يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ * [رواه أبو داود]

٥١١٥ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قال: قال: نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ

لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ قال: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ قال: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ قال: فَيُقال: لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قال: نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قال: قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * [رواه مسلم]

٥٨٨٩ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قالت دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقالتا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقال: صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ * [رواه البخاري]

وأما كيفية عذاب القبر ونعيمه وكيفية عودة الروح إلى الميت فلا يجوز فيه الزيادة على ما صح عن رسول الله ﷺ قال: شارح العقيدة الطحاوية : وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل سبيل للوقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكن يأتي بما تحار فيه العقول فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قبر أو لم يقبر سواء أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا وذر في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وأكلته الحيتان وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ودليل ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِالْغَافِرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقال: لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قالوا خَيْرَ أَبٍ قال: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقال: مَا حَمَلَكَ قال: مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ وَقال: مُعَاذٌ حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِالْغَافِرِ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ * (رواه البخاري)

وروى البخاري أيضا فقال:

حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِالْغَافِرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا يَعْنِي أَعْطَاهُ قال: فَلَمَّا حُضِرَ قال: لِبَنِيهِ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قالوا خَيْرَ أَبٍ قال: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي أَوْ قال: فَاسْهَكُونِي ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا فَقَال: اللَّهُ كُنْ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ ثُمَّ قال: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قال: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ فَقَال: سَمِعْتُ سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ وَقال: مُعَاذٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ * (رواه البخاري)

وما ورد من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان وذلك بمعرفة دلالات اللغة ودلالات الألفاظ تبعا لقواعد اللغة العربية التي نزل القرآن بها وبين لنا بها رسول الله ﷺ مراده منها يقول ابن القيم رحمه الله : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح ترقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وإنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العباد.

قال: الله تعالى:{ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ{٥} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{٦} [المطففين: ٦،٥]

وإذا كان الحديث عن اليوم الآخر فلابد من الحديث عن الروح وما يتعلق بها.

- **الروح**:حقيقتها والأقوال فيها

<u>القول الأول</u>:أنها عرض من أعراض البدن به تكون الحياة وبزوالها تحصل الوفاة.

القول الثاني: أنها اعتدال الطبائع الأربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهذه كلها أباطيل لأنها قائمة على إنكار المعاد بهذه الصورة لا يمكن أن ترجح وأنها معان تذهب وتنعدم

القول الثالث: أنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون. وهذا هو القول الصواب.

- الدليل على أن الروح جسم

قوله تعالى ﴿ وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِم أَخْرِجُوا أَنفسَكُمْ الْيَومَ تُجْزَونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام ٩٣].

- وجه الدلالة

١ – الملائكة باسطوا أيديهم فبسط اليد يصلح للجسم

٢ – أخرجوا أنفسكم تدل على أن الروح جسم يقبل الخروج والدخول.

٣ – اليوم تجزون عذاب الهون مخاطبة الروح وتوبيخها دليل على أنها جسم يقبل الخطاب

٤ – الحديث الذى رواه أحمد في مسنده فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زَاذَانَ عَنِ الْبَرَاءِ ابْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ

الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قال: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قال: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ قال: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قالوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ

أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع : ١٦٧٢].

فخروج الروح من البدن وأخذ ملك الموت لها وأخذ الملائكة إياها من ملك الموت ووضعها في الكفن كل ذلك يدل على أن الروح جسم

النصوص الدالة على عذاب الروح ونعيمها في البرزخ

راجع كتاب الروح لابن القيم ففيه مائة دليل على أن الروح جسم

- حدوث الروح والأقوال فيه

١ – الفلاسفة يقولون إنها قديمة أزلية وإنها هبطت من العالم العلوي على الإنسان رغما عنه واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] واستدلالهم في الآية بأن الآية قوله وقوله من صفاته وصفاته قديمة إذا فالروح قديمة

- الرد عليهم.

الأمر يطلق ويراد به أمران

١ – الأمر الذي هو الطلب أو القول

٢ – وقد يراد به الشأن المأمور به والأمر هنا يراد به المأمور والشأن فالمقصود هنا الروح من شأن ربي ويتبين الفرق في الجمع فالأول وهو القول جمعه أوامر والثاني جمعه أمور وهو الشأن

٢ – أهل السنة يقولون إن الروح محدثة مخلوقة مربوبة كغيرها من سائر المخلوقات

- <u>**أدلة أهل السنة على ذلك**</u>

١ – قوله تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] والروح شيء وعلى ذلك تكون مخلوقة

٢ – قوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٩] فذكر الله تعالى أن الإنسان لم يكن شيئا قبل خلقه والإنسان عبارة عن بدن وروح والخطاب لزكريا ببدنه وروحه.

- سبق الروح للبدن في الحدوث أو تأخرها على قولين

القول الأول : الأرواح سابقة للأبدان في الحدث وهو قول ابن حزم قال: خلق الله الأرواح يوم أخذ الميثاق على آدم ثم أودعها في مكامن خاصة بها ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة بواسطة الملك واستدل بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى ﴾ [الأعراف :١٧٢]

الرد على هذا الدليل هذه الآية ليست فيها دليل ولا دلالة لأنها تدل على خروج الذرية من بعضهم البعض وقد يكون فيها دليل لو أن لفظ الآية وإذ أخذ ربك من آدم من ظهره ذريته ولكنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ﴾.

القول الثاني في حدوث الروح

أن الأبدان متقدمة على حدوث الروح والدليل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء : ١] فالآية صرحت في أن خلق جملة النوع الإنساني حدث بعد خلق أصله بدلالة قوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قال: عَبْدُاللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قال: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقال: لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ [متفق عليه] وهذا لفظ البخاري]

فلو كانت الروح موجودة قبل ذلك لقال: ثم يرسل إليه الروح ولكنه قال: فينفخ فيه الروح

- الفرق بين الروح والنفس

خلاصة الأمر : أن لفظة النفس والروح مترادفتان يدلان على مسمى واحد من حيث الوضع اللغوي وهو الروح التي تكون في بدن الإنسان في الحياة وتفارقه عند الموت وإذا ما أطلق لفظ النفس على ما ليس بروح فهو من باب المجاز.

هل تموت الروح أم الموت خاص بالبدن؟ وفيها قولان

القول الأول : أن الروح قابلة للفناء والموت بأدلة منها قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ ﴾ [آل عمران ١٨٥].

وأيضا قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ ﴾ [القصص :٨٨] ووجه الاستدلال أن النفس تطلق على الروح وهي تموت والنفس شيء وهي هالكة

- مناقشة هذا الرأي وأدلته.

١ – الأدلة اعتمدت على مقدمتين ونتيجة وهي

المقدمة الأولى: النفس تموت

المقدمة الثانية : الروح نفس

النتيجة :الروح تذوق الموت

الرد : أن النفس قد ترد ويراد بها الذات كقوله تعالى ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٩] وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ﴾ [النور : ٦١] وبذلك تسقط المقدمة الأولى فتكذب النتيجة.

وفي الدليل الثاني توهم العموم في المقدمة الكبرى في كلمة شيء.

المقدمة الأولى : كل شيء هالك إلا وجهه

المقدمة الثانية : الروح شيء

النتيجة : الروح تهلك

- الرد :

هذا غير صحيح بل المقصود كل شيء كتب عليه الهلاك فهو هالك فينتفي دخول النفس في العموم فتبطل المقدمة وتكذب النتيجة حيث يقال: بأن الروح كتب عليها البقاء فلا تموت

اعتقاد بقاء الروح بعد مفارقتها للأبدان بالموت في عالم الأرواح إما في العذاب وإما في النعيم ويرجعها الله إلى الأجسام عند البعث وهذا هو الراجح للأدلة التالية.

١ – من القرآن

قوله تعالى ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًا وَعَشِيًا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] حيث لو كانت الروح تموت لما عرضت على النار غدوا وعشيا إلى قيام الساعة

٢ - من السنة :

حديث النبي ﷺ الذي رواه ابن ماجة قال:

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ أَنْبَأَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ *

وفي هذا المعنى أيضا قوله تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بِلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩].

الخلاصة : من أراد أن الأرواح تموت بمعنى أنها تفارق الجسد فلا شيء عليه ومن أراد أنها تفنى فلا يجوز.

واعلم رحمني الله وإياك أن كل شيء يفنى إلا

الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والروح وعجب الذنب

****

• القضاء والقدر ومتعلقاتهما :

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية وهو الركن السادس للإيمان فمن كفر بالقدر خرج من دين الله عز وجل

وقد تقدم حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ المشهور بحديث جبريل والشاهد منه قول جبريل للنبي ﷺ { فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال: صَدَقْتَ }.

تعريف القضاء والقدر :

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر فمنهم من جعلهما شيئا واحدا ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر فقال:

القدر : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

والقضاء : إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

وقد عكس بعضهم فجعل تعريف القضاء السابق للقدر وتعريف القدر للقضاء والأمر محتمل ومن عرفهما تعريفا واحدا قال: (هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها) وهذا المعنى هو ما وردت به آيات القرآن التي ذكرت القدر مثل قوله تعالى { اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ{٨} (الرعد - الآية ٨) وقوله تعالى { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ{٢١} (الحجر - الآية ٢١) وقوله تعالى { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ{٤٩} (القمر – الآية ٤٩)

وما أجمل جواب الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال: القدر قدرة الرحمن يقول ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية :

فحقيقة القدر الذي حار الورى   في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد   لما حكاه عن الرضى الرباني

والحق أن تعريف أحمد رحمه الله تعالى قد كفى وشفى فالقدر يعني ما قرره الله سبحانه في قوله تعالى { ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّه يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }{١٥٤} (آل عمران – الآية ١٥٤) وفي قوله {وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }{١٢٣} (هود – الآية ١٢٣) وفي قوله { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }{٨٣} (يس – الآية ٨٣) وقوله { إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِه ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }{٣} (يونس - الآية٣) وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإرادة الله ومشيئته

وعقيدة القدر مبنية في حقيقتها على الإيمان بصفات الله العلى وأسمائه الحسنى ومنها : العلم والقدرة والإرادة قال: تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }{٢٩} (البقرة – الآية ٢٩) وقال: { لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٢} هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{٣} (الحديد- الآية ٣.٢) وقال: { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } {١٦} (البروج – الآية ١٦)

قال: الطحاوي : (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لقضائه)

معنى الإيمان بالقدر :

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره ويقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله الأزلي والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.

فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال: له : اكتب قال: ما اكتب ؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطئ لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال: تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {٧٠} (الحج – الآية ٧٠) وقال: أيضا { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {٢٢} (الحديد – الآية ٢٢)

وأما الدرجة الثانية :

وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ولا يكون في ملكه ما لا يريد وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته هو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد والعباد فاعلون حقيقة والله خالق

أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم

فيتحصل من كلام ابن تيمية رحمه الله أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي :

الأولى : الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الرابعة : إيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق.

هذا وأن تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر إنما هو بإضافته إلى الناس والمخلوقات أما بالنسبة لله عز وجل فالقدر خير كله والشر لا ينسب إلى الله فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث هذا كله حكمة وعدل ورحمة وخير فإن الشر لا يدخل في شيء من صفات الله تعالى ولا أفعاله ولا يلحق ذاته سبحانه نقص ولا شر فله الكمال المطلق والجلال التام ولذلك لا يجوز إضافة الشر إلى الله مفردا وإنما يجوز أن يدخل الشر في العموم كقوله تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }{٦٢} (الزمر – الآية ٦٢) ويجوز أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ{١} مِن شَرِّ مَا خَلَقَ }{٢} (الفلق – الآية ١-٢)

ويجوز أن يذكر بحذف فاعله كقوله تعالى فيما حكاه عن الجن { وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً }{١٠} (الجن – الآية ١٠)

والحق أن الله تعالى لم يخلق شرا محضا من جميع الوجوه فإن حكمته سبحانه تأبى ذلك فلا يمكن في جانبه سبحانه أن يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه ولا مصلحة في خلقه بوجه ما فإنه تعالى بيده الخير كله والشر ليس إليه بل كل ما إليه الخير والشر إنما حصل لعدم النسبة إليه فلو نسب إليه لم يكن شرا وهو من حيث نسبته إلى الله تعالى خلقا ومشيئة وليس بشر

والمثال على ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى في سورة الزمر (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم)

فالله أراد الكفر ولكنه لم يرضاه للناس فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء والمرض مثلا شر ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلا ولكنه خير في الآجل وخير بالنسبة لله عز وجل لما يعلم من عاقبة

ذلك من مغفرة الذنوب وتطهير النفوس وقد ظهر ذلك جليا في في قول الله تعالى { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ{٧٨} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ{٧٩} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ{٨٠} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ }{الشعراء:٧٨:٨١} قال: الله وإذا مرضت ولم يقل والذي هو يمرضني. وكذلك سجن أعداء الله للمؤمنين شر في ظاهره لما فيه من الآلام والمحن ولكنه تمحيص للنفوس وتطهير للصفوف وتربية للأرواح فضلا عن الثواب الجزيل والخير العميم وخلق إبليس فيه حكم كثيرة ظاهرة كتوبة البشر بعد الزلل واستخراج عبودية المؤمنين لله تعالى بجهاد إبليس وحزبه والصبر على إغرائه وإغوائه والالتجاء إلى حمى الله واللياذ بركنه الركين وهكذا فإن كل ما كان شرا إنما هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه وشر بالنسبة إلى من هو شر في حقه فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكوينا ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر الله بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين حكما كثيرة مترتبة على خلق إبليس منها :

١- أن تظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر في مقابلة ذات جبريل عليه السلام التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها وهي سبب كل خير وظهرت قدرته سبحانه أيضا في خلق الليل والنهار والداء والدواء والحياة والموت والحسن والقبيح وغير ذلك مما يدل أعظم الدلالة على كمال قدرته سبحانه.

٢- ظهور آثار أسماء الله القهرية مثل القهار والمنتقم والشديد العقاب والسريع الحساب ذي البطش الشديد والمعز والمذل فهذه الأسماء والأفعال لابد من وجود ما تتعلق به ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة كانت هذه الأسماء حقا لإخبار الله بها ولكن لن يظهر أثر هذه الأسماء على الخلق.

٣- ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده فلولا خلق الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

٤- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو أعلم حيث يجعل رسالته وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكر له جميل صنعه.

٥ - إظهار واستخراج العبوديات المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما ظهرت كالجهاد والموالاة والمحبة في الله والبغض في الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة إلى الله والرجوع إليه ومخالفة أعداء الله والاستعاذة بالله منه والحذر من الغرور وغير ذلك.

احتجاج الكفار بالقدر :

هذا وقد أراد المشركون أن يحتجوا بقدر الله ومشيئته على شركهم وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله سبحانه { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ }{١٤٨} قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } {١٤٩} (الأنعام - ١٤٨)

فهذا هو جواب رب العزة لمن احتج بقدره سبحانه على معصيته ولله الحجة البالغة وجوابه سبحانه للمحتجين بالقدر واضح كل الوضوح لقيامه على أمرين بدهيين مسلمين لا يماري فيهما إلا من استحب العمى على الهدى فاستحق الهلاك وهما :

الأول : أن الله عز وجل أذاق الكافرين الأول بأسه وأنزل بهم عقابه فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والآثام والكفر والشرك لما عذبهم الله لأنه عادل لا يظلم أحدا والذي يحتج بقدر الله على الكفر والمعصية لا يعدو أن يكون أحد اثنين :

فإما أن يكون مؤمنا بوجود الله وإما أن يكون منكرا فإذا كان الأول لزمه الاعتقاد بعدل الله وتنزهه عن الظلم لأن الظلم نقص لا يليق بالخالق لأنه تجاوز الحد والله سبحانه لا يعتريه نقص بحال من الأحوال ولا شك في أن عقاب المكره على الفعل ظلم والاحتجاج بقدر الله على معصيته مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة فيه نسبة الظلم إليه وهو أمر يتنافى مع الإيمان بالله عز وجل وإن كان المحتج بالقدر منكرا لله فإن احتجاجه بالقدر تناقض ومماحكة لا يستحق الجواب :

الثاني : أن المحتج بالقدر على كفره ومعصيته متقول على الله بغير علم إذ كيف يصح للكافر أو العاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه وقدر الله قبل وقوعه غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل مع أنه مخاطب قبل إقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره ؟ وبعبارة أقرب :

كيف يصح لرجل أن يقول كتب علي ربي أن أسرق فأنا ذاهب لتنفيذ قدرته ؟ فهل اطلع على اللوح المحفوظ فقرأ ما فيه حتى يعلم ما كتب الله عليه في وقت كان مخاطبا بالامتناع عن معصية الله التي منها السرقة وغيرها.

وبمثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه على هؤلاء المتذرعين بقدر الله في مواطن أخرى من القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قالوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }{٢٨} [الأعراف:٢٨]

والواقع أن هذا الأسلوب القرآني في الرد على هؤلاء وأمثالهم جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر ويبين لهم أن المطلوب منهم هو تنفيذ أوامره سبحانه واجتناب نواهيه وليس المطلوب أن يبحثوا عن غيبه المستور ليكيفوا أنفسهم على حسبه

فيا أخي المسلم أنت مطالب قبل الفعل بطاعة الله وعدم معصيته وبعد الفعل فإن أطعت الله فعليك شكره إذ هداك وإن عصيته فأنت مخاطب بوجوب التوبة والرجوع إليه ثم تكل الأمر إليه وتستيقن بعدله وحكمته وأن تكره المعصية قبل وقوعك فيها ليصدك ذلك عنها وبعد وقوعها ليدفعك ذلك إلى التوبة إلى الله تعالى ولتعلم أنه ليس في كراهيتك للمعصية كراهة قدر الله وإنما أنت مطالب بكره ما يكره الله وحب ما يحب وأن توافق ربك في رضاه وسخطه فترضى بما رضي به وتسخط مما سخط الله منه ولتعلم أيضا أن الله لا يحب الكفر ولا الكافرين ولا يرضاه لعباده ولا يحب أن يعصى ولا يرضى ذلك لعبادة فقد قال: سبحانه {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }{الزمر:٧}

خفاء القدر وكراهة الخوض فيه

ذلك ما يحتاج إليه المؤمن في القضاء والقدر فيكفيه أن يعلم معناه ودرجاته وأن يؤمن به وأن الله عليم بكل شيء وأن الله خالق كل شيء وما لم يشأ لم يكن وأنه عادل لا يظلم أحدا وأنه حكيم منزه عن العبث ولا يحتاج هذا الموضع إلى أكثر من ذلك وما علم الله حاجتنا إليه بينه لنا وما طواه عنا وأخفاه لا يجوز لنا أن نتكلف البحث عنه فنختلف ونهلك فإن عقولنا قاصرة ومحدودة خلقها الله للإسهام في عمارة الدنيا وليست وظيفتها اكتشاف الغيب الذي استأثر به الله

خالقها وليس أمامنا إلا التسليم والإيمان بما يعرفنا الله عليه من أمور الغيب وقضاياه ومن هذه القضايا : الصلة بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وفعله لهذه الأفعال.

قال: البربهاري رحمه الله:

والكلام والجدل والخصومة في القدر (خاصة) منهي عنه عند جميع الفرق لأن القدر سر الله ، ونهي الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهي النبي ﷺ عن الخصومة في القدر (وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون) وكرهه العلماء وأهل الورع ، ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال: رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، واسكت عما سوى ذلك.

وليست هذه هي القضية الوحيدة التي لا يدرك العقل كنهها فصفات الله عز وجل ندرك آثارها ولا ندرك كيفياتها شأنها شأن الذات الألهية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن الخوض في القدر والعمق فيه فقد أخرج الإمام أحمد فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ قال: وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ قال: فَقَالَ: لَهُمْ مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قال: فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَشْهَدْهُ بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ * قال: ذلك عندما رأى أناسا يتكلمون في القدر.

وما أحسن ما قال:هـ الإمام الطحاوي رحمه الله (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن الأنام ونهاهم عن مرامه كما قال: الله تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء:٢٣] فمن سأل : لم فعل ؟ فقد هلك

أي يومي من الموت أفر	يوم لا قدر أو يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه	ومن القدور لا ينجو الحذر

إن النفس المؤمنة بقدر الله سبحانه لتنعم بنعمة أخرى لا تعدلها نعم الدنيا كلها أنها نعمة الرضا في كل حال ذلك أن هذه النفس ترى أن المقادير تجري بأمر الله عز وجل ومشيئته وتدبيره وأن الأحداث تنبثق بحكمة الله وإرادته وهو يعلم والناس لا يعلمون كما قال: تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } [البقرة:٢١٦]

فتعلم هذه النفس المؤمنة أن الله الذي قدر لها الخير أو الشر حكيم رحيم فلا تبطر نعمه ولا تجزع من مصيبة فهي شاكر في السراء صابرة في الضراء أمرها كله خير كما قال: النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه قال:

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَاللَّفْظُ لِشَيْبَانَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ * (رواه مسلم)

فالمؤمن من ينظر إلى المصيبة فيعلم أنها قدر الله فيطمئن ويرضى فيكون أكثر أدبا من أن يعترض على خالقه ومولاه وينظر إلى عاقبة المصيبة ومآلها من الثواب فيرضى ويصبر وفي جامع الترمذي أن النبي ﷺ قال: كما قال: الترمذي

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ". قَالَ: أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وفي الباب عن أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأُخْتِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ

وقد عبر عن ذلك ابن القيم رحمه الله في تعبير جميل فقال:

وما اعترتك بلية فاصبر لها	صبر الكريم فإنه بك أكرم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما	تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وهذا علقمة رحمه الله تعالى يفسر قوله تعالى { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {الحديد:٢٢}

وقوله تعالى { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [التغابن:١١] فيقول هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. ويقول ابن عباس رضي الله عنه يهدي قلبه يعني اليقين فيعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه.

ولقد ارتفعت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم في ظلال هذا التصور الإيماني وسمت أرواحهم وأرهفت ضمائرهم حتى استوت في نظرهم السراء والضراء وتماثل لديهم الشكر والصبر كما قال: عمر رضي الله عنه (لو كان الصبر والشكر ما باليت أيهما أركب) ويقول أبو محمد الحريري (الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما)

وقد سئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه مائة ألف دينار هل يكون زاهدا؟ قال: نعم بشرط أن لا يفرح إذ زادت ولا يحزن إذ نقصت وقال: بعض السلف الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما (أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر) وقال: بن عطاء : (الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل).

هذا والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله وقيل عن الرضا إنه واجب، وقيل هو مستحب، وقد اجمع العلماء على أن حكمه لا يقل عن الإستحباب.

وأساس الرضا الإيمان بقدر الله عز وجل، كما تقدم واستشعار لطف الله بعباده قال: عبد الواحد بن زيد : (الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا ، يلاحظون ثواب المبتلي، وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير مهتم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي بجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى أنهم لا يشعرون بالألم، بل ربما يتلذذون بما أصابهم لملاحظة صدوره من حبيبهم)

ولتعلم أيها الأخ القارئ أن الرضا والصبر اللذين يثمرهما الإيمان بالقدر إنما هما الرضا بالمقدور من المصائب والنوائب، والصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معصيته، وعلى أنواع المكاره وليس المقصود الرضا بالكفر والعصيان والفسوق عن أمر الله، ولا الصبر على الذل والضيم، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية والهوان فليكن رضاك تبعا لرضا ربك، وصبرك في طاعة الله وفي سبيله.

إن الرضا بالقدر والصبر على البلاء، والطمأنينة إلى حكم الله عز وجل، فهي أهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله. فلا التفاوت للوراء ولا محطات للتحسر والندم، ولا لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قدر الله وما شاء فعل.

ففي هذه العقيده هدوء القلب وراحة البدن والنفس والأعصاب ومفارقة الهم، والحزن، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ، ولا انفصام، وإنما رضا وسكينه وسعادة وراحة وطمأنينة، وبرد اليقين، وقرة العين، وهناءة الضمير، وانشراح الصدر، والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وعلمه وحكمته، فهو الملاذ والمعاذ من الوسواس والهواجس.

إن الاعتقاد بعقيدة القدر يحدث في واقع الناس وفوق هذه الأرض نتائج إيمانية هائلة

وأما المجتمعات التي تركت هذه العقيدة وفرغت من الإيمان بالله وتدبيره لشيءون الحياة والأحياء فنصيبها في الآخرة خلود في العذاب المهين وفي هذه الدنيا ضياع السعادة وتمزق الأعصاب وضنك العيش وتوتر الحياة مصداقا لقوله تعالى {قَالَ: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } [طه: ١٢٣.١٢٤]

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله عز وجل والإيمان بأن بيده ملكوت كل شيء والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ لذلك سببا وهو الزواج الشرعي ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار وهي النسل وقد لا يعطي حسب إرادة

العزيز الحكيم ومشيئة اللطيف الخبير قال: تعالى {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ } [الشورى:٤٩]

ولذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثما مع أن الرزق بيد الله تعالى وقد بين رسول الله ﷺ أن الأسباب المشروعة هي من القدر فقد روى ابن ماجة قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا وَرُقًى نَسْتَرْقِي بِهَا وَتُقًى نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا قال: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ * (رواه ابن ماجه)

فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك وقدح في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع [فتاوى ابن تيمية]

لذا فقد أمر النبي ﷺ بالتداوي فقد روى أصحاب السنن وهذا لفظ الترمذي قال:

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَقَدِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قال: قالت الْأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى قال: نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قال: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قال: الْهَرَمُ قال: أبو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي خُزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * (رواه الترمذي)

وفي البخاري في كتاب الطب قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ قال: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً * (رواه البخاري)

وبناء على هذ الأمر بالتداوي قال: الفقهاء باستحبابه وبعضهم قال: بوجوبه.

قال: شارح العقيدة الطحاوية (وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب. وهذا فاسد فإن الاكتساب منه ما هو فرض

ومنه ما هو مستحب ومنه ما هو مباح ومنه ما هو مكروه ومنه ما هو حرام وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين يلبس لامة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب.

وهكذا كان فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم للعلاقة المتلازمة بين الإيمان بالقدر ووجوب الأخذ بالأسباب وأن الأخذ بالأسباب داخل في معنى الإيمان بالقدر ولا ينافيه وإنما هو مقتضى من مقتضياته وقد روى البخاري في هذا المعنى فقال:

حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِالْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ قال: ابْنُ عَبَّاسٍ فَقال: عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا فَقال: بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقال: بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قال: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ فَقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قال: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقالوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قال: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقال: عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قال:هَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قال: فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقال: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قال: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ * (رواه البخاري)

ولذا بكت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد فذمهم.

قال: معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال: من أنتم قالوا نحن المتوكلون قال: بل أنتم المتآكلون إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ثم يتوكل على الله.

يقول ابن القيم (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى وأن تعطيلها يقدح في نفس المتوكل وأن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا.

وقال: سهل بن عبدالله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يرتكن سنته.[مدارج السالكين]

أنواع المخلوقات في الهداية والإرادة

النوع الأول: مسخر بطبعه هداه الله لما سخره له طبعه كالشمس والقمر

النوع الثاني : متحرك بإرادته وقد ركب الله فيه هداية إرادية شعورية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره وله أقسام : قسم لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سوء كالملائكة وقسم لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه خير كالشياطين وقسم يتأتى منه إرادة القسمين معا كالإنسان وهو أيضا أصناف وهي

١ - صنف يغلب إيمانه وعقله على هواه وشهوته وهذا فيه شبه من الملائكة.

٢ - صنف عكس الأول تغلب شهواته وهواه إيمانه وعقله وهذا فيه شبه بالشياطين.

٣ – صنف متردد لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهم من قال: الله فيهم ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٢]

ملاحظة إن الله لا يمنع الثواب إلا إذا مُنِعَ سببه وهو العمل الصالح قال: تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] وكذلك لا يعاقب أحدا إلا بعد حصول سبب العقاب فإن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠]

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

١ - العلم : الإيمان بعلم الله سبحانه بالأشياء قبل كونها لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِثْقَال: ذَرَّةٍ ﴾ [يونس : ٦١].

٢ - الكتابة وهو أنه سبحانه لما علم الأشياء بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلا وأبدا كتب ذلك في اللوح المحفوظ لقوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٦٢]

٣ - المشيئة : وهو أنه سبحانه وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فمشيئته شاملة لكل شيء فما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته سبحانه لقوله تعالى ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠].

٤ - الخلق والإيجاد:

وهو أن الله خالق لكل شيء فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا والله خالقه لقوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] وقوله تعالى ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦].

إضافة الشر إلى الله وفيها آراء.

١ - لا يضاف الشر المطلق إلى الله وذلك لأسباب هي

(أ) وجوب التأدب مع الله

(ب) لأن الله لا يخلق شرا محضا ولذلك كانت إضافة الشر إلى الله في القرآن مسببة

١ - إضافة عموم لقوله تعالى ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فالشر دخل ضمن العموم

٢- إضافة إلى السبب لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠].

٣ - حذف الفاعل : لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌ أُرِيْدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠].

أنواع الهداية

١ - هداية للإسلام　　　　٢ - هداية للعلم

٣ - هداية للعمل بالعلم　　　　٤ - هداية للقدرة على العمل

وبعد ذلك هداية ثبات وهداية إلى الجنة

أنواع العلوم

١ - علم في الخلق موجود وهو علم الشريعة وأصولها وإنكار ذلك كفر

٢ - علم في الخلق مفقود وهو علم الغيب ومن ادعاه فقد كفر.

****

إثبات رؤية الله يوم القيامة

- الرؤية والاستواء رؤية الله سبحانه وتعالى
- مكانة هذه القضية هي من أشرف مسائل أصول الدين وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون
- الأدلة على رؤية الله سبحانه وتعالى
- أولا الأدلة من القرآن
- قوله تعالى ﴿ لَهُم مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[ق : ٣٥] وفي شرحها قال: علي ابن أبي طالب ﷺ (الزيادة هي النظر إلى وجهه سبحانه)

وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣]

- وجوه القوة في الأدلة

١ – إضافة النظر إلى وجهه الكريم الذي هو محله

٢ – إخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف الحقيقة

٣ – التعدية بالأداة [إلى] الصريحة في نظر العين وهذا يتضح عندما تعلم استعمالات كلمة النظر بحسب تعديتها

٤ - قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس : ٢٦] فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه سبحانه

٥ - قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[المطففين:١٥] حيث إنه لما حجب الله عن الكافرين في معرض السخط كان هذا دليلا على أن أولياءه يرونه في الرضا

- استعمالات كلمة النظر

١ – التوقف والانتظار

وذلك إذا عدى بنفسه نحو ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُم ﴾ [الحديد: ١٣].

التفكر والاعتبار

وذلك إذا عدى بـ [في] نحو ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف ١٨٥].

٢- المعاينة بالإبصار

وذلك إذا عدى بـ [إلى] نحو ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام ٩٦]

رأي المعتزلة والرد عليهم

قالت المعتزلة بعدم الرؤية

مستدلين بقوله تعالى ﴿ قال: لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

- الرد عليهم :

إنه لا يظن بكليم الله أن يسأل ما لا يجوز عليه حيث إنه في أول الآية نرى موسى عليه السلام يقول ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال: لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

٢ –إن الله لم ينكر عليه سؤاله ولكن قال: له ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ أي الآن ولم يقل له لا أُرى

٣ – إن الله كلم موسى وناداه وناجاه ومن جاز عليه التكلم والتكليم فرؤيته أولى بالجواز.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

- الرد عليهم

١ – أن الله ذكر الآية في سياق المدح والمدح يكون بالصفات الثبوتية وإنما يمدح الرب بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفي السِنة والنوم.

٢ – الآية فيها دليل على كمال عظمته حيث نفت الإدراك وهو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية وهذا واضح بين في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانُ قال: أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قال: كَلَّا ﴾ [الشعراء: ٦١،٦٢] فالرؤية متحققة والنفي كان للإدراك

رؤية أهل المحشر لله

هذه المسألة فيها أقوال

القول الأول: يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار.

القول الثاني: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار.

القول الثالث: لا يراه إلا المؤمنون وهو الراجح الصحيح.

- <u>رؤيته سبحانه في الدنيا</u>

الرؤيا في الدنيا ممكنة عقلا لسؤال موسى لها ولكن أبصارنا بهذه الكيفية لا تستطيع رؤيته ولأنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: كما في مسند الإمام أحمد قال: رحمه الله

حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ قال:ا حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ حَدَّثَنِي بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ فَإِنْ أَلْبَسَ عَلَيْكُمْ قال: يَزِيدُ رَبَّكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَمُوتُوا قال: يَزِيدُ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا * [صحيح الجامع: ٢٣١٢].

اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه

تنازع العلماء في رؤيته ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج والراجح عدم الرؤية لحديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم قال: رحمه الله

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قال: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ. وهذا متعلق برؤية العين.

<u>الاستواء</u>:

الفصل في هذه المسألة قول الإمام مالك وبه أفتى ابن تيمية في الفتوى الحموية الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب وقد زاد ربيعة { ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق }.

- الأدلة على علو الله سبحانه واستوائه على عرشه

١ - قوله سبحانه ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

٢ - ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِم ﴾ [النحل : ٥٠].

٣ - ﴿ أَأَمِنتُم مَن فِي السَّمَاء أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦].

٤ - ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥].

٥- حديث المعراج وتعاقب ملائكة الله بالليل والنهار وإشارته ﷺ بإصبعيه إلى السماء في خطبة عرفات وقوله ﷺ كما روى البخاري فقال: رحمه الله

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَاحِدِ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ شُبْرُمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي نُعْمٍ قال: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا قال: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَقال: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ قال: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقال: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قال: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ قال: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ قال: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ قال: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ قال: لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي فَقال: خَالِدٌ وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ قال: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقال: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ وَأَظُنُّهُ قال: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ * [البخاري مع الفتح]

٦ – قول أبي حنيفة من قال: { لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] وعرشه فوق سبع سماوات

٧ – ثبوته بالفطرة حيث إن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع.

واعترض على هذا بما يلي

- الاعتراض الأول

إن اتجاه القلب بالدعاء جهة العلو لكون السماء قبلة الدعاء

ويمكن الرد على هذا الاعتراض بما يلي

١ – إن ذلك لم يقله أحد من سلف الأمة

٢ - قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة

٣- إن القبلة ما يستقبله العابد بوجهه ولو كانت السماء كذلك لتوجه الوجه إليها

- **الاعتراض الثاني**

إن الإنسان يضع جبينه على الأرض مع أن الله ليس في جهة الأرض

- **الرد عليه : إن وضع الجبهة إنما قصد به الخضوع لمن فوقه بالذل له**

• الأدلة على وجود العرش

قوله سبحانه ﴿ ذُو العَرْشِ المَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٥، ١٦].

من صفات العرش وحملته

١- له قوائم تحمله الملائكة لقوله ﷺ كما روى البخاري فقال: رحمه الله

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ * [البخاري مع الفتح]

٢ – من صفات الملائكة الحاملين للعرش ما ورد بالحديث الذي رواه أبو داود في كتاب السنة قال:

- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ * [رواه أبو داود : ٤٧٢٧، وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير: ٨٦٧].

٣ – تحمله الملائكة لقوله تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُم يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧]

• الكرسي والعرش

قال: ابن عباس إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه وورد كذلك { ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض } [أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣ /١٠، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة : ١٠٩].

• أنواع العلو

١ – علو الذات وهو أنه تعالى فوق سماواته بذاته ومع خلقه بعلمه وسمعه قال: تعالى ﴿لاتَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه :٤٦].

٢ – علو القدر والشرف وهو أنه تعالى منزه عن النقائص متصف بصفات الكمال.

٣ - علو القهر والغلبة وهو أنه تعالى محيط بخلقه متصرف فيهم بما يشاء وليس المراد من الإحاطة أن المخلوقات داخل ذاته المقدسة بل إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته.

• النزول متى شاء

• أهل السنة مجمعون على ذاك الحديث المتفق عليه وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِاللَّهِ الْأَغَرِّعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ *

وهو نزول ليس كنزولنا وإنما هو نزول يليق بذات الله تعالى وجلاله.

واعلم أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولذلك كان الواجب عليك إذا سمعت من الآثار شيئا (مما) لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل وقوله إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وينزل يوم القيامة وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه وقول الله تعالى للعبد إن مشيت إلي هرولت إليك وقوله خلق الله آدم على صورته وقول رسول الله ﷺ رأيت ربي في أحسن صورة وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالسليم والتصديق والتفويض والرضا ولا تفسر شيئا من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب فمن فسر شيئا من هذا بهواه ورده فهو جهمي

****

الإيمان بالصراط

والإيمان بالصراط على جهنم يأخذ الصراط من شاء الله ويجوز من شاء الله ويسقط في جهنم من شاء الله ولهم أنوار على قدر إيمانهم

ونؤمن أنه يكون بعد الحساب والميزان انصراف الناس من الموقف ليمروا فوق الجسر المنصوب على جهنم وهو الصراط

والمرور على الصراط عام لجميع الناس الأنبياء والصديقين والمؤمنين والكفار ومن يحاسب ومن لا يحاسب ومن استقام على صراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة وقد ورد في بعض الأحاديث أن الناس يمرون عليه وتكون سهولة ذلك عليهم بقدر أعمالهم في الحياة الدنيا فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر يرمل رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر المقل في العمل الصالح تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه ألما فيخلصون فإذا خلصوا قالوا الحمد لله الذي نجانا منك بعد ما أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد.

هذا وقد ورد في ذكر الصراط جملة أحاديث صحيحة نذكر لك منها ما أخرجه الترمذي بإسناد صحيح فقال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ قالوا وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قالوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي

رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ ثُمَّ يُقَالُ: هَلِ امْتَلَأْتِ فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ فَيُقَالُ: هَلِ امْتَلَأْتِ فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: قَطْ قَالَتْ قَطْ قَطْ فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ قَالَ: أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ فَيُقَالُ: لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ قَالَ: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هَذَا مَا يُذْكَرُ فِيهِ أَمْرُ الرُّؤْيَةِ أَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ وَذِكْرُ الْقَدَمِ وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَالْمَذْهَبُ فِي هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِثْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَابْنِ عُيَيْنَةَ وَوَكِيعٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ رَوَوْا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ثُمَّ قَالُوا تُرْوَى هَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَنُؤْمِنُ بِهَا وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنْ تُرْوَى هَذِهِ الْأَشْيَاءُ كَمَا جَاءَتْ وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا تُفَسَّرُ وَلَا تُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ وَهَذَا أَمْرُ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَارُوهُ وَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ يَعْنِي يَتَجَلَّى لَهُمْ * (رواه الترمذي)

هذا والمرور على الصراط هو الورود المذكور في قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) فإنه لا ينجو منه أحد وقد روى الإمام مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ: ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا قَالَتْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) * (رواه مسلم)

فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها فالجميع يمرون من فوق الصراط والصراط منصوب على جهنم ولكن الله عز وجل ينجي المؤمنين ويذر الظالمين فيها جثيا ثم إذا عبر

المؤمنون الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض فإذا تم القصاص وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة وفي هذا المعني يروي البخاري رحمه الله فقال:
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا وَقَال: يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَبُو الْمُتَوَكِّلِ * (رواه البخاري)

****

إثبات الميزان يوم القيامة

والإيمان بالميزان يوم القيامة يوزن فيه الخير والشر له كفتان
ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر الله به عز وجل ورسوله من أن أعمال العباد خيرها وشرها توزن يوم القيامة بميزان إظهارا لعدل الله فقد قال: سبحانه وتعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَال: حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء:٤٧] وقال: تعالى {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ } [الأعراف:٩،٨] وقال: أيضا { فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ{٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ{٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ{١١} [القارعة: ١١،٦]
وتدل الأخبار على أنه ميزان حقيقي له كفتان وأن الله يحول أعمال العباد إلى أجسام لها ثقل فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة وفي بيان الميزان ومعناه روى البخاري فقال:
حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ * (رواه البخاري)

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّبَّاحِ الْهَاشِمِيُّ حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ مَيْمُونٍ الْأَنْصَارِيُّ أَبُو الْخَطَّابِ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقال: أَنَا فَاعِلٌ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قال: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ قال: قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قال: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قال: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ قال: أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ * (رواه الترمذي)

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَنَّ إِسْمَعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُمْ قال: أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ فَقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُبْكِيكِ قالت ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَال: (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ قال: يَعْقُوبُ عَنْ يُونُسَ وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ * (رواه أبو داود)

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ قال: سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ حَدَّثَنِي النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلَابِيُّ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ قال: وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ * (رواه ابن ماجه)

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ نَوْفًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ الْعَاصِي اجْتَمَعَا فَقَال: نَوْفٌ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَتْ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ كُنَّ طَبَقًا مِنْ حَدِيدٍ فَقَال: رَجُلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَخَرَقَتْهُنَّ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَال: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ فَجَاءَ ﷺ وَقَدْ كَادَ يَحْسِرُ ثِيَابَهُ عَنْ رُكْبَتَيْهِ فَقَال: أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ هَؤُلَاءِ عِبَادِي قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى * (رواه أحمد)

وقال: ابن القيم في قصيدته المشهورة

أفما تصدق أن أعمال العباد تحط يوم العرض في الميزان

وكلك تثقل تارة وتخف أخرى ذاك في القرآن ذو تبيان

وله لسان كفتان تقيمه والكفتان إليه ناظرتان

ما ذاك أمرا معنويا بل هو المحسوس حقا عند ذي الإيمان

وقد قال: القرطبي رحمه الله

هذا ويكون وزن الأعمال بعد إتمام الحساب لأن الوزن للجزاء فيكون بعد المحاسبة التي هي لتقرير الأعمال الحادثة فيكون الوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

وهذا كله بيان للعباد بمقادير أعمالهم أما الله فإنه بكل شيء عليم.

مع التنبيه على القول بأن الميزان له لسان ليس عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة

****

إثبات الحوض

يجب أن نؤمن بما أخبر به المصطفى ﷺ عن الحوض الذي تفضل الله به عليه وعلى أمته فإن الأحاديث التي وردت في ذلك تبلغ حد التواتر رواها من الصحبة أكثر من ثلاثين صحابيا ويكون أول من يرده نبينا ﷺ ثم ترده بعده أمته ويطرد عنه الكفار وطائفة من العصاة وخاصة المبتدعة الذين بدلوا وغيروا واحدثوا بعد رسول الله ﷺ وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف وغيرها ومن الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ما رواه ابن ماجة بسند صحيح قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَسَلَّمَ عَلَى الْمَقْبَرَةِ فَقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ لَاحِقُونَ ثُمَّ قال: لَوَدِدْنَا أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ قال: أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ أُمَّتِكَ قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ

ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قالوا بَلَى قال: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ قال: أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ثُمَّ قال: لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمُّوا فَيُقال: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ وَلَمْ يَزَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأَقُولُ أَلَا سُحْقًا سُحْقًا * [رواه ابن ماجة]

وما رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقال: إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا * [رواه البخاري]

هذا ونؤمن بما ورد في صفته على لسان رسول الله ﷺ ونحمله على ظاهره لانزيد عليه ولا ننقص منه قال: شارح العقيدة الطحاوية (والذي يتبين من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ومورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر وفي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء)

ومن الأحاديث الواردة في صفة الحوض ما أخرجه البخاري حيث قال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قال: قال: عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قال: النَّبِيُّ ﷺ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا * (رواه البخاري)

والأحاديث الصحيحة الواردة في ذكر حوض نبينا ﷺ كثيرة بلغت حد التواتر وتصديقها من الإيمان قال: القاضي عياض رحمه الله تعالى : (أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص وعائشة وأم

سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد بن شداد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبدالله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبلة وعبدالله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر وخولة بنت قيس وغيرهم....... وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا)

هذا وقد ورد في بعض الأحاديث أن لكل نبي حوضا وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نِيزَكَ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً قَالَ: أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رَوَى الْأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ وَهُوَ أَصَحُّ * (رواه الترمذي وانفرد به ولم يروه غيره)

لا يصح إسناده لأن سعيد بن بشير ضعيف الحديث وأحمد بن محمد بن نيزك البغدادي سيء الحفظ

****

الإيمان التام واليقيني بالشفاعة

- الشفاعة

تعريفها لغة : هي الوسيلة

عرفا سؤال الخير للغير

- من يشفع ؟

جاء في حديث الشفاعة عند مسلم قال:

وحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَعَمْ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ

وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قالوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ: لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قالوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ قالوا عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ: لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قالوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ: لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيُقَالُ: لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا قال: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قال: فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قالوا يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قال: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ: لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ: لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ

رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا قَالَ مُسْلِم قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ وَقُلْتُ لَهُ أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ نَعَمْ قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَرَى رَبَّنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ قُلْنَا لَا وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وَمَا بَعْدَهُ فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ

سَعْدٍ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِإِسْنَادِهِمَا نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ إِلَى آخِرِهِ وَقَدْ زَادَ وَنَقَصَ شَيْئًا [مسلم : ١٨٣].

- تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

القسم الأول

الشفاعة التي ثبتت بالكتاب والسنة.

أدلتها : حديث أبي هريرة الطويل الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ قَالَ:ا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ ائْتُوا آدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا

فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقال: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهِ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقال: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقال: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقال: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قال: أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ قالوا كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقال: وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ (هَذَا رَبِّي) وقَوْله لِآلِهَتِهِمْ (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) و قَوْله (إِنِّي سَقِيمٌ) قال: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَي الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ قال: لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قال:* [مسلم : ٣٢٧]

- **أنواع الشفاعة :**

منها ما يختص بالنبي ﷺ ومنها ما يشاركه فيها غيره.

ما يختص بالنبي ﷺ.

الشفاعة العظمى قبل الحساب بعد استغاثة الناس وتخلي الأنبياء.

شفاعته ﷺ في أقوام تساوت سيئاتهم وحسناتهم.

شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم

الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب. [البخاري مع الفتح :٦٥٤٢].

شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه مثال عم النبي ﷺ أبو طالب. [مسلم ٢١٢]

- الشفاعة في أهل الكبائر.

يشارك النبي ﷺ فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون.

- أقسام الناس في الشفاعة.

١ – المشركون والنصارى والغلاة.

يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

٢ – المعتزلة والخوارج.

أنكروا شفاعته ﷺ في أهل الكبائر.

٣ – أهل السنة والجماعة.

يقرون بشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره ولكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حدا.

- الفرق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر:

١- الشفيع عند البشر يشفع عند المشفوع إليه فيكون قد شفعه أما الشفيع عند الله فلا لأن الله وتر سبحانه لا يشترك معه أحد في الإذن بالشفاعة فلا تكون شفاعته مثل شفاعة البشر.

٢ –الشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه وبعد تحديده سبحانه بخلاف شفاعة البشر.

٣ – الشفيع عند البشر يؤثر في المشفوع إليه بخلاف الشفيع عند الله.

- القسم الثاني من الشفاعة وفيه تفصيل

وهو الاستشفاع بالنبي ﷺ في الدنيا وغيره إلى الله تعالى بالدعاء

١ - المنهي عنه

إذا قال: الداعي بحق نبيك أو جاه نبيك وبحق فلان أو جاه فلان

وأوجه النهي فيه للأدلة التالية

أنه قسم بغير الله في حين قال: النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد ومالك وهذا لفظ الترمذي

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: ابْنُ عُمَرَ لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ قَالَ: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَفُسِّرَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ قَوْلَهُ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ عَلَى التَّغْلِيظِ وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ وَأَبِي وَأَبِي فَقَالَ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ: فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: أَبُو عِيسَى هَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) الْآيَةَ قَالَ: لَا يُرَائِي * [وصححه الألباني في صحيح الجامع]

أنه ليس لأحد حق على الله يسأل به إلا حق جعله الله على نفسه تفضلا وتكرما

- الاستشفاع الجائز

١ – دعاء الرجل الصالح الحي والتأمين على دعائه كما قال: عمر ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ * [البخاري مع الفتح :٣٧١٠]

أي بدعاء عم نبينا وليس المراد أننا نقسم عليك به أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مراد لكان النبي ﷺ أعظم من جاه العباس

٢ - التوسل إلى الله بذكر الأعمال الصالحة كما كان الثلاثة الذين أووا إلى الغار وذكر قصتهم البخاري رحمه الله فقال:

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قال: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قال: فَقَال: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَال: أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قال: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قال: فَفُرِجَ عَنْهُمْ وَقال: الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقالت لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قالت اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً قال: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ وَقال: الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقال: يَا عَبْدَاللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقال: أَتَسْتَهْزِئُ بِي قال: فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ * [متفق عليه].

٣ – التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته العليا.

ويتبين ذلك من قول الله تعالى {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [الأعراف١٨٠]

****

الإيمان بأن الجنة حق وأن النار حق

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِاللَّهِ قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ عَنْ طَاوُسٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قال: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ

أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ قال: سُفْيَانُ وَزَادَ عَبْدُالْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قال: سُفْيَانُ قال: سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ سَمِعَهُ مِنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ* [رواه البخاري]

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قال: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ قال: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ قال: الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ *(رواه البخاري)

الجنة والنار

أولا: التعريفات

تعريف الجنة

لغة: البستان الذي تكثر أشجاره فتكسوا أرضه

شرعا تلك الدار التي أعدها الله مستقرا لعباده المؤمنين بعد أن يبعثهم وقد أعد لهم نعيما فيها كما أخبر سبحانه في قوله تعالى ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧].

تعريف النار لغة : هي العنصر الشفاف المحترق

شرعا : دار أعدها الله للكافرين عقابا لهم على كفرهم وقد أعد لهم فيها من أصناف العذاب والنكال ما لا تقوى على تحمله الجبال الراسيات

وجود الجنة والنار الآن

وبعد ذلك كله نؤمن بوجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان من مخلوقات الله عز وجل أعدهما للثواب والعقاب وأنه سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق وأنهما موجودتان الآن وأنهما موجودتان إلى الأبد لا تفنيان ولا تبيدان حيث قال: الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } { التحريم:٦ } وقال: تعالى { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ } { ق:٣٠ } وقال: عز وجل مخبرا عن بعض ما فيها { أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ{٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ{٦٣} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ{٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ{٦٥} فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٦٦} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ{٦٧} [الصافات:٦٢:٦٧] وقد قال: رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري قال:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قال: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا * (رواه البخاري)

وروى البخاري أيضا في وصف أخف العذاب وأهونه في النار للكفار

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قال: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ * (رواه البخاري)

وأما الجنة فقد أكثر الله سبحانه من ذكر نعيمها في كتابه الكريم فمن ذلك قول الله تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ{٥١} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ{٥٢} يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ{٥٣} كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ{٥٤} يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ{٥٥} لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ{٥٦} فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٥٧} [الدخان:٥١:٥٧] وقوله تعالى { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ{٣١} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ{٣٢} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ{٣٣} ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ{٣٤} لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ{٣٥} [ق: ٣١:٣٥]

وقال: تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ{١٧} فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ{١٨} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{١٩} مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ{٢٠} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ{٢١} وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ{٢٢} يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ{٢٣} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ{٢٤} [الطور: ١٧:٢٤] وقد قال: رسول الله في وصف نعيم الجنة فيما رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: اللَّهُ : " أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ "

كذلك نؤمن بما يكون من تحاور وتخاطب بين أهل الجنة وأهل النار فانظر إلى هذا المشهد من سورة الأعراف { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ{٤٤} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ{٤٥} وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ{٤٦} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٤٧} وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ{٤٨} أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ{٤٩} وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُوا إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ{٥٠} [الأعراف: ٤٤:٥٠]

وأما خلود الجنة والنار وخلود المؤمنين في الجنة وخلود الكافرين في النار فقد تكرر ذكره والتأكيد عليه في معظم المواضع التي ذكرت فيها الجنة والنار في كتاب الله وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري قال:

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُاللَّهِ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ

بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ * (رواه البخاري)

فأهل السنة والجماعة يقولون موجودتان

الدليل

من القرآن قوله سبحانه ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَقِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٣] وقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم : ١٣، ١٤، ١٥].

من السنة قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه وهذ لفظ مسلم قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَ: ابْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا وَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ [مسلم : ٤٢٦]

لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة وذلك كما في الحديث الصحيح عند الترمذي فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ: ارْجِعْ

إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ * [رواه الترمذي : ٢٥٦.، وأبو داود والنسائي وابن ماجة]

الإجماع

فقد أجمع أهل العلم ممن يعتد بخلافهم من أهل السنة على أنهما موجودتان

المعتزلة يقولون غير مخلوقتين الآن

شبهتهم في ذلك

لو كانتا موجودتين للزم أن تفنيا يوم القيامة لقوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهَ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص :٨٨]

الرد على هذه الشبهة

إن المراد من كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء والنار والجنة خلقتا للبقاء

ثم يقولون لو كانتا موجودتين للزم من ذلك كونهما معطلتين عن العمل وهذا عبث والله منزه عن ذلك.

الرد

لا تقاس أفعال الله على أفعال العباد لأن الله لا يُسأل عما يفعل

ثم إننا لا نسلم بكونهما معطلتين لأنه يحصل لهما أثر من حيث عذاب الروح أو نعيمها ثم إن الإنسان قد يبني بيتا لا يسكنه ليجعله جاهزا لضيف يقدم عليه ولا يعد هذا عند البشر عبثا

وقد قال: ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي فقال:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قالوا حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ قال: أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ [الترمذي برقم : ٢٤٦..وابن حبان بسند صحيح : ٢٣٣٥].

وجه الدلالة أن الجنة كونها قيعانا والتسبيح غرسها لزم أنها معدومة

الرد

إن ما ذكر لا يدل على أكثر من أن الجنة لم تستكمل بعد وأن الله لا زال يحدث فيها وليس هذا محل نزاع

بقاء الجنة والنار وبدايتهما

رأي الجمهور

بقائهما وعدم فنائهما

من القرآن قوله تعالى ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[الرعد : ٣٥] وقوله تعالى ﴿لا يَمَسُّهُم فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر : ٤٨]

أما الاستثناء في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود : ١٠٨] المراد إلا مدة مكثهم في النار وهذا لمن دخلها أو إلا مدة بقائهم في الموقف أو إلا مدة بقائهم في قبورهم أو إعلامهم أنهم مع خلودهم فهم تحت المشيئة يكون الاستثناء من المتشابه وغير مجذوذ محكم فنرجع للمحكم عند الاختلاف في المتشابه.

من السنة قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ * [مسلم : ٢٨٣٦، الترمذي : ٢٦٤٦ بألفاظ مختلفة].

أما النار فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[البقرة : ١٦٧] وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾[الأعراف].

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه وهذا لفظ البخاري

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) * [فتح الباري : ٤٧٣.، مسلم : ٢٨٤٩].

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار

بعض السلف توقف فيها على أحد أقواله كما ورد في حادي الأرواح بقاء الجنة وفناء النار ولو بعد حين.

من القرآن قوله تعالى ﴿ لَابِثِينَ فِيْهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: ٢٣] وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧] وليس بعد هذا الاستثناء عطاء غير مجذوذ كما في آية الجنة أن الله سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عظيم وأليم ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم وقال: إن ما ورد من نصوص الخلود في النار وعدم الخروج منها كلها حق لا نزاع فيه ولكن ذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية وإنما يخرج منها حال بقائها أهل التوحيد

من أقوال السلف

وهو منقول عن أبي هريرة وعمر { لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون فيه } ذكروا ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ لاَبِثِينَ فِيْهَا أَحْقَابًا ﴾ النبأ

الرد لإبطال هذا الرأي وبيان ما فيه من مخالفات ارجع إلى رسالة رفع الأستار للصنعاني بتحقيق الشيخ الألباني ففيها فوائد عظيمة.

رأي الجهم بن صفوان

إن الجنة والنار تفنيان للأدلة الآتية

١ – إن الجنة والنار حادثتان وكل حادث يفنى

الرد : إن بقائهما ليس لذاتهما ولكنه لإبقاء الله تعالى لهما.

- قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨].

الرد: أي أن كل شيء كتب الله عليه الهلاك فهو هالك

- هذا مبني على أصلهم الفاسد وهو امتناع وجود حال يتناهى من الحوادث.

أهل النار ودوامهم فيها :

الخوارج والمعتزلة يقولون إن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد

الاتحادية من المتصوفة كابن عربي وغيره يقولون

إن أهل النار يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم إلى طبيعة نارية يتلذذ بها لموافقتها لطبعهم

اليهود : إن أهلها يعذبون لوقت محدود ثم يخرجون منها

جمهور أهل السنة : إن الله يخرج منها من يشاء من عباده الموحدين ولا يبقى فيها إلا الكفار بقاء لا انقضاء له

أطفال المشركين والآراء فيهم

١ – إنهم يعذبون تبعا لآبائهم

٢ - إنهم يدخلون الجنة لأنهم على فطرتهم.

٣ – إنهم لا يعذبون جميعهم ولا ينعمون جميعهم فقد ثبت أنه ﷺ رأى حول إبراهيم عند الجنة أطفال المشركين والمسلمين. [البخاري والترمذي] وقد رجح ذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

أطفال المسلمين في الآخرة

١ – إن أطفال المسلمين في الجنة.

وحكى النووي الإجماع على ذلك عند تعليقه على حديث عائشة وأجاب عن الحديث المخالف بأنه نهى عن المسارعة أو أنه قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة.

٢ – أنه يتوقف فيهم لقول عائشة في جنازة الصبي في الحديث الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَمَّتِهِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قالت دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قال: أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ * [مسلم : ٢٦٦٢].

٣ – قال: ابن تيمية لا يشهد لأحد بعينه من أطفال المؤمنين أنه في الجنة ولكن يطلق القول أن أطفال المسلمين في الجنة.

الشهادة بالجنة أو النار على معين

للسلف فيها ثلاثة أقوال

١ – وهو قول الأوزاعي { لا يشهد لأحد إلا للأنبياء }

٢ – يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص وكذلك لمن شهد له المؤمنون لحديث أنس ﷺ الذي رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقال: النَّبِيُّ ﷺ وَجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقال: وَجَبَتْ فَقال: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا وَجَبَتْ قال: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ * [متفق عليه].

٣- أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص فقط وهذا هو الراجح

وذلك لقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه في مواضع متعددة فقال:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قال: أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ " اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقال: النَّبِيُّ ﷺ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟، فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟، فَقال: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي، قالت : فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا " [البخاري:١٢٤٣]

وقد قال: الإمام أحمد رحمه الله تعالى

. ولا نشهد عَلَى أحد من أهل القبلة : أنه فِي النار لذنب عمله، ولا لكبيرة أتاها، إلا أن يكون فِي ذلك حديث، كما جاء عَلَى ما روي فنصدقه، ونعلم أنه كما جاء، ولا ننص الشهادة، ولا نشهد عَلَى أحد أنه فِي الجنة بصالح علمه، ولا بخير أتاه، إلا أن يكون فِي ذلك حديث، كما جاء عَلَى ما روي، ولا ننص الشهادة. [طبقات الحنابلة]

****

منزلة السنة في الإسلام

إن السنة دخل بها ناس في دين الله أفواجا وأيضا خرج ناس بسببها من دين الله أفواجا

ومنهج أهل السنة والجماعة أن الإسلام قرآن وسنة ولا فصل بينهما لأن الفصل بين القرآن والسنة هو فصل بين متلازمين ونحن نعلم أن النبي ﷺ في الحديث الصحيح

الذي رواه أبو داود قال:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ *

وحديث

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ جَابِرٍ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ * (رواه ابن ماجه)

والإمام أحمد رحمه الله تعالى سمع رجلا يقول الحمد لله على الإسلام فقال: له الإمام أحمد قل وعلى السنة وذلك لأن الفرق الضالة بعضها صرح بإنكار السنة وقالوا القرآن يكفينا وهذا المنهج الباطل ضيع معالم الإسلام لأن هذا المنهج يفضي إلى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله وذلك لأن السنة مفصلة للقرآن وذلك كما قال: ربنا عز وجل ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] فإذا غاب هذا البيان والتفصيل إذاً ليس وراء ذلك إلا الضلال المبين والذين انتحوا هذا المنحى يسمون أنفسهم بالقرآنيين وهؤلاء القرآن منهم براء لأن القرآن يدعوا إلى السنة بمنطوق ومفهوم هذه الآية الكريمة السابقة الذكر لأن البيان كيف يكون ونحن بيننا وبين عهد النبي ﷺ قرونا فلزم أن يكون البيان بكلام مفصل لأنه بيان ولا يعقل أن يكون البيان بالإشارة

فالإشارة تكون للحاضر أما الغائب فلا تنفعه الإشارة فلزم أن يكون البيان بكلام وهو ما يسمى بالحديث النبوي ولكي نزيل الشبهة التي يتمسك بها أصحاب العقول الضعيفة والإيمان المزعزع والأفكار المشوشة نقول :

إن السنة إذا كان دخل فيها ما ليس منها وأصبح فيها الصحيح والضعيف فلنعلم يقينا أن القرآن لم يسلم من ادعاء أقوام بالتحريف والتبديل والحذف والزيادة والنقصان ولكن الله حفظه من هذا التحريف والتبديل والتغيير فإن الشيعة اتهموا الصحابة بحذف آيات من القرآن منها قولهم في سورة الشرح وجعلنا عليا صهرك بعد قوله تعالى { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } {الشرح:٤} فإنهم اتهموا أبا بكر وعمر بحذف هذه الآية من هذه السورة ومنها قول من قال: بأنه لابد من حذف كلمة قل من القرآن لأن كلمة قل كانت تقال: للنبي ﷺ والنبي قد مات إذاً لابد من حذفها ومنها تحريفهم لقول الله تعالى في سورة النحل ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ {النحل:٩٢} فبدلوا كلمة أمة وقالوا أئمة فتكون (أن تكون أئمة هي أربى من أئمة) ليستدلوا بها على اعتقادهم الباطل في أئمتهم المزعومين.

فهذه صورة من صور التحريف تعرض لها القرآن الكريم ولكن الله حفظه بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] والذي نريد الوصول إلى فهمه أن الذكر ليس القرآن فقط وإنما هو القرآن والسنة معاً وذلك له أدلة من القرآن ففي سورة الطلاق يقول الله تبارك وتعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً{١٠} رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً{١١} [الطلاق:١٠،١١] فانظر إلى كلمتي ذكراً ورسولاً فالكلمة الثانية مفسرة للأولى فالرسول من الذكر وما يقوله الرسول من الذكر المحفوظ وإن دخل فيه ما ليس منه فإن الله قد خلق رجالاً يقومون على حفظ هذا الذكر من التحريف والتبديل والتغيير ومن أولهم دخولاً في هذا الأمر رجال الحديث الذين حملوا على عاتقهم أمانة تنقية السنة مما شابها ودخل فيها وهو ليس منها وأيضاً يقول الله

تعالى موجهاً ومرشداً أمهات المؤمنين إلى أهمية حفظ الدين فقال: تعالى { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً } {الأحزاب: ٣٤}

وحديث النبي ﷺ. يعلمنا أن السنة وحي من الله تعالى وقال: ربنا { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} [النجم: ٣،٤] فالسنة من الذكر لازمة له ومن فرق بينهما فقد فرق بين الله ورسوله وإليك هذه الآيات القاطعة من سورة الزخرف { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{٤٣} وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ{٤٤} [الزخرف: ٤٣،٤٤] (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) أي شرف لك ولقومك وسوف تسئلون عن هذا الوحي وتحاسبون يوم القيامة على هذا الذكر فمن جاء به على مراد الله نال ما وعد الله به المؤمنين ومن جاء على غير ذلك وجد الوعيد الذي توعد الله به من خالف منهجه ولم يتبع رسوله ﷺ.

فإن الله أرسل رسوله ﷺ إلى الناس ليبين لهم ما نزل إليهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم وأوجب على الناس طاعته ومحبته قال: الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } {محمد:٣٣}

وقال: النبي ﷺ فيما رواه الشيخان

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وحَدَّثَنَا آدَمُ، قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " [أخرجه البخاري :١٥ ومسلم : ٤٦]

وقد أخذ بهذا الصحابة رضي الله عنهم وساروا عليه فكانوا لرسول الله ﷺ طائعين وله محبين وكانت سنته وقوله وهديه مقدمة عندهم على كل شيء فكلام النبي ﷺ هو الأول لا يقدم عليه كلام أحد من البشر كائنا من كان.

كانوا عن السنة منافحين ولها حامين فإذا رأوا أحدا يعارضها أو يستهزئ بشيء منها – قصدا أو بغير قصد – قرعوه ووبخوه وزجروه ثم هجروه لا يكلمونه وقد لا يساكنونه وقد يضربونه أو يقتلونه حدا أو ردة.

وبذلك حموا السنة من كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

وكانوا بواجب النصيحة لرسول الله ﷺ قائمين.

ثم جاء من بعدهم التابعون فساروا على طريقهم وحذو حذوهم.
حتى إذا بعد الزمان وطال بالناس العهد وضعف الإيمان وكثر الخبث والنفاق وقل الورع وتجرأ كثير من الناس على القول والكلام فقال: كل بهواه وتكلم بما لا يرضاه الله ورسوله ﷺ.
جئنا في هذا الزمان زمان الفتن التي يرقق بعضها بعضا فرأينا العجائب والعظائم.
رأينا أمورا لا يسع أحدا السكوت عنها بحال.
فمن ذلك السخرية والاستهزاء بالسنة النبوية ومعارضتها بالعقول والآراء. حتى سمعنا من يهينها – وهو المهين – على رؤوس الناس.
ولو أنا سمعنا هذا من سفهاء القوم وجهلتهم لقلنا : ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.
ولكن المصيبة كل المصيبة أن يصدر هذا من المنتسبين للدعوة المحسوبين من الدعاة المعدودين في العلماء عند العامة وطبقة المثقفين والمؤسسات الرسمية في بعض الأحيان.
فهذا والله هو الخطب الجلل. لئن كان هذا حال الدعاة فما حال المدعوين !!!
وأعجب من هذا أن يأتي بعض المنتسبين لأهل السنة والجماعة فيصف هؤلاء بالدعاة والمجددين.
سبحان الله !!
أيعد من يسخر بالسنة مجددا وداعية ؟!!.
لو كان في قلب هؤلاء وقار للسنة وتعظيم لها لما جامل أحد منهم الساخرين بها.
وأنت ترى هؤلاء إذا طعن أحد في مناهجهم أو تكلم في رجل من رجالهم أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم وجاءته التهم تترى. أما إذا طعن طاعن في السنة أو تكلم في سلف الأمة فإما أنك لا تسمع لهم همسا أو يدافعون وينافحون بما يميع القضايا.
فهنا تسمع قولهم :
لا تنس حسنات الرجل !! هو على كل حال مجتهد !!. إلى غير ذلك من العبارات...
فتميع القضية... وتذهب الغيرة...
وفي مثل هؤلاء يقول ابن القيم :
والله ما غضبوا إذا انتهكت محا ... رم ربهم في السر والإعلان

حتى إذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتع زيز ومن سب ومن تسجان
والله لو عطلت كل صفاته ما قابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصا صريحا واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان

[الكافية الشافية ص ١٥٨]

ثم على ماذا استند هذا الذي يصف من يستهزئ بالسنة أنه مجدد وداعية ؟!.

هل عنده أثارة من علم أو هل له سلف في ذلك ؟!!! أم أنه قاس الأمر بعقله وحكم برأيه وهواه.

هنا أذكره بقوله تعالى { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [الجاثية ٢٣].

وبما روي في الحديث:

أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ بِنَيْسَابُورَ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ صَالِحُ السَّهْمِيُّ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: " تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، أَعْظَمُهَا فِتْنَةٌ عَلَى أُمَّتِي، قَوْمٌ يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُحِلُّونَ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُونَ الْحَلالَ " [مستدرك الحاكم]

[أخرجه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٧٤) والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٣٠)وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٢٣) وقال: الهيثمي : رجاله رجال الصحيح]

وبما روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: فيما رواه الدارقطني

نَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، نَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ، نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيكٍ، نَا أَبِي، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قال: " إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءَ السُّنَنِ، أَعْيَتْهُمُ الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا، فَقالوا بِالرَّأْيِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا "

[ورواه اللالكائي (١/١٢٣) الفقيه والمتفقه للبغدادي (١/ ١٨٠) وابن عبدالبر الجامع (ص ٤٧٦)]

وبما قال:ه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – فيما رواه أبو داود قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: " لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ ". حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِإِسْنَادِهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، قال: مَا كُنْتُ أَرَى بَاطِنَ الْقَدَمَيْنِ إِلَّا أَحَقَّ بِالْغَسْلِ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِ خُفَّيْهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْحَدِيثِ، قال: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ بَاطِنُ الْقَدَمَيْنِ أَحَقَّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا، وَقَدْ مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى ظَهْرِ خُفَّيْهِ، وَرَوَاهُ وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِإِسْنَادِهِ، قال: كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَاطِنَ الْقَدَمَيْنِ أَحَقُّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِهِمَا، قال: وَكِيعٌ : يَعْنِي الْخُفَّيْنِ، وَرَوَاهُ عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، كَمَا رَوَاهُ وَكِيعٌ، وَرَوَاهُ أَبُو السَّوْدَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قال: رَأَيْتُ عَلِيًّا تَوَضَّأَ فَغَسَلَ ظَاهِرَ قَدَمَيْهِ، وَقال: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ [أخرجه أبو داود ١٦٢) وقال: ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٦٩) : إسناده صحيح]

وبما قال:ه عبدالله بن مسعود فيما رواه الدارمي حيث قال:

حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قال: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قال: " سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ [أخرجه الدارمي (١٤٣) واللالكائي (١/ ٨٧)]

وإذا كان بعض المنتسبين لأهل السنة والجماعة لا يتورع عن وصف من سخر بالسنة أنه داعية ومجددا !!. فإن بعض المنتسبين كذلك تورط في شيء من السخرية والاستهزاء بالسنة بعلم أو بغير علم بقصد أو بغير قصد فيصدق في مثله قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري حيث قال:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ

لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ " [أخرجه البخاري (٦٤٧٨)]

لهذا قمت بهذا البحث راجيا أن ينفع الله به.

وتوضيحا للمراد من السنة أقول : ليس المراد بالسنة هنا المرادف للمندوب والمستحب المقابل للمكروه لا. وليس المراد كذلك المقابل للقرآن كما يقولون الدليل من الكتاب وكذا من السنة كذا لا.

ولكن المراد بالسنة هنا الطريقة والهدي أي هدي النبي ﷺ وطريقته فهو عام يشمل الواجب والمستحب ويشمل العقائد والعبادات والمعاملات والسلوك.

قال: علماء السلف السنة العمل بالكتاب والسنة والاقتداء بصالح السلف واتباع الأثر.

وقال: أبو القاسم الأصبهاني قال: أهل اللغة : السنة السيرة والطريقة فقولهم فلان على السنة ومن أهل السنة أي هو موافق للتنزيل والأثر في القول والفعل ولأن السنة لا تكون مع مخالفة الله ومخالفة رسوله.

وقال: ابن رجب الحنبلي :

(والسنة هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقاد والأعمال والأقوال وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض) [جامع العلوم والحكم ح (٢٨)]

وسأذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار في أهمية السنة وتعظيمها وتعجيل عقوبة من عارضها أو استهزأ بشيء منها وموقف سلف الأمة منه.

قال: الله تعالى :

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } { الأحزاب:٣٦}

وقوله تعالى :

{ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {النور:٦٣}

وقوله تعالى :

{ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً } [النساء:٨٠].

وقوله تعالى :

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } {الأحزاب: ٢١}.

قال: تعالى :

{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النور٥٤].

وقال: تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } { الحجرات:٢ }.

قال: ابن القيم – رحمه الله – تعليقا على هذه الآية :

(فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض وليس هذا بردة بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها)

وقال: ابن القيم :

فإن قيل كيف تحبط الأعمال بغير ردة قيل قد دل القرآن والسنة والمنقول عن الصحابة أن السيئات تحبط الحسنات كما أن الحسنات يذهبن السيئات فقد قال: تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [البقرة:٢٦٤]

وقال: تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } { الحجرات:٢ }.

وقد روى عبدالرزاق في مصنفه فقال:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَالثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ امْرَأَتِهِ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فِي نِسْوَةٍ، فَسَأَلَتْهَا امْرَأَةٌ، فَقالت : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ، فَبِعْتُهَا مِنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ بِثَمَانِ مِائَةٍ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ اشْتَرَيْتُهَا مِنْهُ بِسِتِّ مِائَةٍ، فَنَقَدْتُهُ السِتَّمِائَةِ، وَكَتَبْتُ عَلَيْهِ ثَمَانِ مِائَةٍ، فَقالت عَائِشَةُ : " بِئْسَ وَاللَّهِ مَا اشْتَرَيْتِ ! وَبِئْسَ وَاللَّهِ مَا اشْتَرَيْ ! أَخْبِرِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ : أَنَّهُ قَدْ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلا أَنْ يَتُوبَ ". فَقالت الْمَرْأَةُ لِعَائِشَةَ : أَرَأَيْتِ إِنْ أَخَذْتُ رَأْسَ مَالِي وَرَدَدْتُ عَلَيْهِ الْفَضْلَ؟، قالت: { فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى } الآيَةُ، أَوْ قالت: { وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ }

فقول عائشة – رضي الله عنها – لأم زيد بن أرقم أخبري زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب لما باع بالعينة

وقد نص الإمام أحمد على هذا فقال: (ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج لئلا ينظر إلى ما لا يحل فيحبط عمله وآيات الموازنة في القرآن تدل على هذا فكما أن السيئة تذهب بحسنة أكبر منها فالحسنة يحبط أجرها بسيئة أكبر منها) [كتاب الصلاة لابن القيم ص ٦٥]

فما الظن بمن قدم على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر !! [الوابل الصيب ص (٢٤) ط دار ابن الجوزي]

أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟!! [الوابل الصيب (ص ٢٤) ط دار ابن الجوزي]

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، قال: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قالا : " أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ :ف وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ق، فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقال: الْعِرْبَاضُ " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقال: قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) الترمذي (٢٦٧٦) ابن ماجة (٤٤)]

قال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه :فيما نقله ابن بطة حيث قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّجَّادُ، قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ، قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قال: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قالت : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: " لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إلا عَمِلْتُ بِهِ، وَإِنِّي لأَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ.

علق ابن بطة على هذا بقوله :

(هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبيه ﷺ. فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته. نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل) [الإبانة (٦٢)]

قال: عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - :

(لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ) [إعلام الموقعين (٢/٢٨٢)]

عن أبي قلابة قال:

(إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات من كتاب الله فأعلم أنه ضال)

[طبقات بن سعد (٧/ ١٨٤)]

علق الذهبي على هذا بقوله : - (وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول : دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات العقل فأعلم أنه أبو جهل. وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول : دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد فأعلم أن إبليس قد ظهر بصورة بشر أو قد حل فيه فإن جبنت منه فاهرب وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه) [سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٢)]

قال: الشافعي : (أخبرني أبو حنيفة بن سماك بن الفضل الشهابي قال: حدثني ابن أبي ذئب عن المقري عن أبي شريح الكعبي أن النبي ﷺ قال: عام الفتح : من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إن أحب أخذ العقل وإن أحب فله قود).

قال: أبو حنيفة : فقلت لابن أبي ذئب أتأخذ بهذا يا أبا الحارث ؟ فضرب صدري وصاح علي صياحا كثيرا ونال مني.

وقال: أحدثك عن رسول الله وتقول : تأخذ به ؟!!

نعم آخذ به. وذلك الفرض علي وعلى من سمعه.

إن الله اختار محمدا من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك.

قال: وما سكت حتى تمنيت أن يسكت) [الرسالة للشافعي (ص ٤٥٠) رقم (١٢٣٤)

قال: الشافعي : (أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول ﷺ لم يحل أن يدعها لقول أحد) [إعلام الموقعين (٢/٢٨٢)]

قال: الحميدي :

(روى الشافعي يوما حديثا. فقلت : أتأخذ به ؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة أو على زنار إذا سمعت عن رسول الله حديثا لا أقول به) [حلية الأولياء (٩/١٠٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/٣٤)]

سئل الشافعي عن مسألة فقال: (روى فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ فقال: السائل : ياأبا عبدالله تقول به ؟ فارتعد الشافعي وانتفض وقال: يا هذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا فلم أقل به ؟ نعم علي السمع والبصر) [صفة الصفوة (٢/٢٥٦)]

قال: أحمد بن حنبل :

(من رد حديث النبي ﷺ فهو على شفا هلكة) [طبقات الحنابلة (٢/١٥) الإبانة (١/٢٦٠)

قال: البربهاري :

(وإذا سمعت الرجل يطعن في الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع) [شرح السنة ص ٥١]

وقال: أيضا:

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار (ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار الرسول ﷺ) فاتهمه على الإسلام ، فإنه رجل ردئ المذهب والقول (ولا) يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه ، لأنا

إنما عرفنا الله و عرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن

قال: أبو القاسم الأصبهاني :

(قال: أهل السنة من السلف : إذا طعن الرجل على الآثار ينبغي أن يتهم على الإسلام) [الحجة في بيان المحجة (٢/٤٢٨)]

قال: البربهاري رحمه الله:

واعلم أن رسول الله ﷺ قال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة و هي الجماعة قيل من هم يا رسول الله قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب الجماعة كلها وهكذا في زمن عثمان فلما قتل عثمان رضي الله عنه جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فرقا فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير وقال: به وعمل به ودعا إليه وكان الأمر مستقيما حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة فلان انقلب الزمان وتغير الناس جدا وفشت البدع وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ودعوا إلى الفرقة وقد نهى الله عز وجل عن الفرقة وكفر بعضهم بعضا وكل دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه فضل الجهال والرعاع ومن لا علم له وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا فاتبعهم الخلق على خوف في (دينهم) ورغبة في دنياهم فصارت السنة وأهل السنة مكتومين وظهرت البدعة وفشت وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى ووضعوا القياس وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف عقولهم ردوه فصار الإسلام غريبا والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم.

تعجيل عقوبة من لم يعظم السنة

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، عَنْ زَمْعَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرَامٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا "، قال: وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا، فَانْسَلَّ رَجُلَانِ إِلَى أَهْلَيْهِمَا، فَكِلَاهُمَا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا.[سنن الدارمي (ح ٤٤٤)]

وهذا الحديث فيه أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ.قال: فيه ابن حبان ذكره في الثقات، وقال: كان يخطئ ويخالف.وقال: أبو حاتم الرازي ضعيف يتكلمون فيه.

وفيه أيضا زمعة بن صالح حيث قال: فيه أحمد بن حنبل ضعيف كما قال: فيه يحي بن معين ضعيف وقال: عمرو بن الفلاس جائز الحديث مع الضعف وقال: البخاري يخالف في حديثه

وقد ورد مرسلا عن سعيد بن المسيب عند الدارمي أيضا (والجملة الأولى منه وردت بأحاديث صحيحة) وقد ذكرت هذا من باب أن بعض أهل العلم يستدلون به على تعجيل العقوبة وأرى أنه ضعيف بهذا اللفظ بتمامه.

وما رواه مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: " كُلْ بِيَمِينِكَ "، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: " لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ "، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. [أخرجه مسلم: ٢٠٢٣]

وما رواه مسلم أيضا فقال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "..

وقد وردت زيادة لهذا الحديث في كتاب [ذم الكلام وأهله لعبدالله الأنصاري] فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ، خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "، قَالَ: فَتًى قَدْ سَمَّاهُ، فِي حُلَّةٍ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَهَكَذَا كَانَ يَمْشِي ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي خُسِفَ بِهِ؟ !، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ، فَعَثَرَ عَثْرَةً كَادَ يَنْكَسِرُ مِنْهَا !، فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ : لِلْمِنْخَرَيْنِ وَالْفَمِ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [ذم الكلام وأهله لعبدالله الأنصاري]

وروى الدارمي في سننه بسند مرسل صحيح إلى سعيد بن المسيب فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ يُوَدِّعُهُ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَقَالَ: لَهُ : لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُصَلِّيَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا يَخْرُجُ بَعْدَ النِّدَاءِ مِنْ الْمَسْجِدِ إِلَّا مُنَافِقٌ، إِلَّا رَجُلٌ أَخْرَجَتْهُ حَاجَةٌ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ "، فَقَالَ: إِنَّ

أَصْحَابِي بِالْحَرَّةِ، قال: فَخَرَجَ قال: فَلَمْ يَزَلْ سَعِيدٌ يَوْلَعُ بِذِكْرِهِ حَتَّى أُخْبِرَ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَانْكَسَرَتْ فَخِذُهُ. [سنن الدارمي ح ٤٤٦]

وفي كتاب الرحلة في طلب الحديث وفي تاريخ الإسلام للذهبي ورد هذا الأثر عن زَكَرِيَّا بْنَ يَحْيَى السَّاجِيَّ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ الْوَاعِظُ بِأَصْبَهَانَ ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، قال: سَمِعْتُ أَبَا يَحْيَى زَكَرِيَّا بْنَ يَحْيَى السَّاجِيَّ، قال: "كُنَّا نَمْشِي فِي أَزِقَّةِ الْبَصْرَةِ إِلَى بَابِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ، فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ، وَكَانَ مَعَنَا رَجُلٌ مَاجِنٌ مُتَّهَمٌ فِي دِينِهِ، فَقَالَ: <u>ارْفَعُوا أَرْجُلَكُمْ عَنْ أَجْنِحَةِ الْمَلائِكَةِ لا تَكْسِرُوهَا كَالْمُسْتَهْزِئِ، فَمَا زَالَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى جَفَّتْ رِجْلاهُ، وَسَقَطَ "</u>

[وذكره النووي بستان العارفين ص ٩٢]

قال: التيمي : (فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إلى شؤم فعله) [بستان العارفين للنووي ص ٩٤]

وجاء في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبي وفي كتاب المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي قال: الحافظ أبو سعد السمعاني : سمعت أبا المعمر المبارك بن أحمد، سمعت أبا القاسم يوسف بن علي الزنجاني الفقيه، سمعت الفقيه أبا إسحاق الفيروزابادي، سمعت القاضي أبا الطيب، يقول : كنا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة، فطالب بالدليل، حتى استدل بحديث أبي هريرة الوارد فيها.فقال:، وكان حنفيا : أبو هريرة غير مقبول الحديث.فما استتم كلامه، حتى سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه.فقيل له : تب، تب.فقال: تبت، فغابت الحية فلم ير لها أثر.إسنادها أئمة.وأبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه، وقد أدى حديث المصراة بألفاظه، فوجب علينا العمل به.

[سير أعلام النبلاء (٦١٨/٢ وقال: الذهبي : إسنادها أئمة]

موقف سلف الأمة ممن عارض السنة

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما وهذا لفظ مسلم قال:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ إِسْحَاق وَهُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ، قال: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا، وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ "، قال: أَوَ قال: " الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ "، فَقال: بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوِ الْحِكْمَةِ، أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ، قال: فَغَضِبَ عِمْرَانُ، حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقال: أَلَا أُرَانِي أُحَدِّثُكَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ، قال: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ، قال: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قال: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ : إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

[أخرجه البخاري (ح ٦١١٧) واللفظ لمسلم وقد ذكر في فتح الباري (٥٢٢/١٠) عدة أقوال في سبب غضب عمران منها

١- قيل إنه غضب من قوله : (وفيه ضعف)

٢- قيل غضب من قوله : (منه) لأن التبعيض يفهم أن منه ما يضاد ذلك وهو قد روى أنه كله خير

٣- قيل إنما أنكره عليه من حيث أنه ساقه في معرض من يعارض كلام الرسول بكلام غيره واستحسن ابن حجر هذا التوجيه

٤- قيل إنما أنكره عليه لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها.]

وروى البخاري ومسلم أيضا وابن بطة وهذا لفظه قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ، وَاللَّفْظُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، قال:ا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قال: " نَهى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْخَذْفِ، وَقال: " إِنَّهَا لا تَصْطَادُ صَيْدًا، وَلا تَنْكَأُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَتَكْسِرُ السِّنَّ ".فَقال: رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ : وَمَا بَأْسُ هَذَا؟ فَقال: إِنِّي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ هَذَا، وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا. [أخرجه البخاري (ح ٥٤٧٩) ومسلم (ح ١٩٥٤) وهذا اللفظ لابن بطة في الإبانة (ح ٩٦)]

وروى ابن ماجة في سننه فقال:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي بُرْدُ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ إِسْحَاق بْنِ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيَّ النَّقِيبَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزَا مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ، فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يَتَبَايَعُونَ كِسَرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ، وَكِسَرَ الْفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ، فَقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ الرِّبَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةَ " فَقال: لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ لَا أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَظِرَةٍ، فَقال:

عُبَادَةُ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ، لَئِنْ أَخْرَجَنِي اللَّهُ لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ، فَلَمَّا قَفَلَ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، وَمَا قَالَ: مِنْ مُسَاكَنَتِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إِلَى أَرْضِكَ، فَقَبَحَ اللَّهُ أَرْضًا لَسْتَ فِيهَا، وَأَمْثَالُكَ وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ، وَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى مَا قَالَ: فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ

عن أبي المخارق قال: (ذكر عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم فقال: فلان : ماأرى بهذا بأسا يدا بيد فقال: عبادة : أقول قال: النبي ﷺ وتقول : لا أرى به بأسا ؟!! والله لا يظلني وإياك سقف أبدا) [أخرجه ابن ماجة:١٨]

وقد روى الدارمي فقال:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ،حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ مَعْرُوفٍ،عَنْ أَبِي الْمُخَارِقِ، قَالَ: ذَكَرَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ " نَهَى عَنْ دِرْهَمَيْنِ بِدِرْهَمٍ "، فَقَالَ: فُلَانٌ: مَا أَرَى بِهَذَا بَأْسًا، يَدًا بِيَدٍ، فَقَالَ: عُبَادَةُ: أَقُولُ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ وَتَقُولُ: لَا أَرَى بِهِ بَأْسًا، وَاللَّهِ لَا يُظِلُّنِي وَإِيَّاكَ سَقْفٌ أَبَدًا. الدارمي (٤٤٣) والحديث صححه الألباني]

ولكن الحديث ضعيف لضعف محمد بن حميد بن حيان الرازي وهو متروك الحديث وفيه أيضا معروف بن علي الأعور وهو مجهول وهو يروي عن أبي المخارق العبدي وهو مجهول أيضا

وروى مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا "، قَالَ: فَقَالَ: بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ : وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ [أخرجه مسلم:٤٤٢]

وقد روى البيهقي في السنن الكبرى وابن بطة في الإبانة وهذا سنده فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلا بَاعَ كِسْرَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ بِأَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهَا، فَقَالَ: لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ

"، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا أَرَى بِمِثْلِ هَذَا بَأْسًا، فَقَالَ: أَبُو الدَّرْدَاءِ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ فُلانٍ أُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُخْبِرُنِي عَنْ رَأْيِهِ، لا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ أَنْتَ بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الرَّجُلِ : " أَنْ لا تَبِيعَ ذَلِكَ إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ وَزْنًا بِوَزْنٍ " [انظر الإبانة لابن بطة ٧٠]

وروى ابن بطة أيضا فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو الأَصْبَغِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى بْنِ يُوسُفَ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنِ الأَعْرَجِ، قال: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ لِرَجُلٍ : أَتَسْمَعُنِي أُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: " لا تَبِيعُوا الدِّينَارَ بِالدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمِ إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ، وَلا تَبِيعُوا مِنْهَا عَاجِلا بِآجِلٍ "، ثُمَّ أَنْتَ تُفْتِي بِمَا تُفْتِي، وَاللَّهِ، لا يُؤْوِينِي وَإِيَّاكَ مَا عِشْتُ إِلا الْمَسْجِدُ [انظر الإبانة لابن بطة ٧١]

وروى الدارمي أيضا فقال:

أَخْبَرَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قال: حَدَّثَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا بِحَدِيثٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: رَجُلٌ : قال: فُلَانٌ : كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: ابْنُ سِيرِينَ : " أُحَدِّثُكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ : قال: فُلَانٌ وَفُلَانٌ : كَذَا وَكَذَا، لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا "

عن قتادة قال: (حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبي ﷺ فقال: رجل : قال: فلان كذا وكذا فقال: ابن سيرين : أحدثك عن النبي ﷺ وتقول قال: فلان وفلان كذا وكذا ؟!! والله لا أكلمك أبد)

[سنن الدارمي ٤٤٣]

والحديث فيه مقال: من أجل سعيد بن بشير فإنه ضعيف

الخلاصة

هذه نصوص الكتاب والسنة جلية في تعظيم السنة. وهذا موقف السلف (الصحابة والتابعين) ممن عارضها ترى فيه القوة والحزم والشدة على من بدر منه شيء فيه معارضة للسنة)

[قال: ابن القيم : (وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائنا من كان ويهجرون فاعل ذلك وينكرون على من يضرب له الأمثال ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله]

فقارن بين موقف السلف ممن عارض السنة وموقف أهل هذا العصر ممن استهزأ بالسنة.
وقبل ذلك انظر قول أولئك ثم انظر قول أهل هذا العصر. أما أولئك فقد رأيت وأما هؤلاء فخذ أمثلة على استهزائهم :

١- رد بعضهم حديثا فقيل له : إنه في صحيح مسلم فقال: ضعه تحت قدمك !!!

٢- يقول أحدهم وبكل وقاحة - تعليقا على حديث الذبابة - : أنا أخذ بقول الطبيب الكافر ولا أخذ بقول الرسول !!!

٣- قال: آخر : إذا عارض الحديث العقل فرده فقيل : وإن كان في صحيح البخاري ؟ قال: وإن كان في صحيح البخاري ولا كرامة !!!

هكذا يستهزيء هؤلاء بالسنة ويسخرون !!!

فما موقف أهل زماننا منهم ؟! وكيف يعاملونهم أبالهجر والزجر والمقاطعة ؟!!

لا. بل يعتبرونهم دعاة وعلماء ومجددين !!!

فياللعجب إذا كان هذا حال الدعاة !! فكيف يكون حال المدعوين ؟!!

قال: ابن بطة تعليقا على الحديث رقم ٧٢:

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ فَشَتَّانَ بَيْنَ هَؤُلاءِ الْعُقَلاءِ السَّادَةِ الأَبْرَارِ الأَخْيَارِ الَّذِينَ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْغَيْرَةِ عَلَى إِيمَانِهِمْ، وَالشُّحِّ عَلَى أَدْيَانِهِمْ، وَبَيْنَ زَمَانٍ أَصْبَحْنَا فِيهِ، وَنَاسٌ نَحْنُ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِهِمْ يَقْطَعُ رَحِمَهُ، وَيَهْجُرُ حَمِيمَهُ حِينَ عَارَضَهُ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَلَفَ أَيْضًا عَلَى قَطِيعَتِهِ، وَهُجْرَانِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي صِلَةِ الأَقْرَبِينَ، وَقَطِيعَةِ الأَهْلِينَ.وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَكِيمَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَظْعَنُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَيَنْتَقِلُونَ عَنْ بُلْدَانِهِمْ، وَيُظْهِرُونَ الْهِجْرَةَ لإِخْوَانِهِمْ ؛ لأَجْلِ مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَوَقَّفَ عَنِ اسْتِمَاعِ سُنَّتِهِ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُنَا عِنْدَ اللَّهِ عز وجل وَنَحْنُ نَلْقَى أَهْلَ الزَّيْغِ فِي صَبَاحِنَا وَالْمَسَاءِ، يَسْتَهْزِئُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيُعَانِدُونَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَائِدِينَ عَنْهَا، وَمُلْحِدِينَ فِيهَا، سَلَّمَنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ [الإبانة]

وإذا كـان بعـض المنتسـبين لأهـل السـنة والجماعـة لا يتـورع عـن تمجيـد السـاخرين بالسـنة وتعظيمهم.

فإن من المنتسبين كذلك من وقع في شيء من السخرية والاستهزاء بالسنة.

وذلك فيما يسمى بالسنن الجبلية كإطالة شعر الرأس.

فإذا رأى شابا يحرص على ذلك ويطبقه لمزه وغمزه وتهكم به ولا يدري المسكين أنه يسخر من شيء فعله النبي ﷺ.

وإذا كان هذا البائس لا يرى مشروعية الاقتداء بالسنن الجبلية – كما هو رأى بعض أئمة العلم – فليلعم أن هذا لا يبيح له الاستهزاء بمن يرى ذلك ويفعله وإن كان قصده التوجيه والإرشاد فباب النقاش العلمي مفتوح.

[في الاقتداء بأفعال الرسول ﷺ الجبلية والعادية خلاف شهير قديم بين أهل العلم.

قال: ابن تيمية : (للناس قولان فيما فعله من المباحات على غير وجه القصد هل متابعته فيه مباحة فقط أو مستحبة ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره). الفتاوى (١٠ / ٤١١)

قلت : وبسط المسألة ليس هذا محله ولكن الذي أريد تقريره هنا هو : أن من مال إلى أحد الأقوال لا ينبغي له التشنيع على من خالفه في ذلك ولا الاستهزاء والسخرية به وقد مال ابن تيمية إلى عدم الاقتداء بالأفعال الجبلية ومع ذلك يقول فيمن يقتدي بالأفعال الجبلية (لا ينكر على فاعله لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد) الفتاوى (١/ ٢٨٢) فنهى عن الإنكار فضلا عن الاستهزاء والسخرية.

ولا يفهم من هذا المنع من المناقشة العلمية في ذلك. بل بابها مفتوح لمن أراد إذا كان أهلا]

وأخطر من هـؤلاء مـن يسخر بالأفعـال التعبديـة التي جـاء الأمر فيهـا صـريحا كتقصير الثيـاب إلى نصف الساق وكالصلاة إلى السترة وغير ذلك.

وإني لأعجب من هؤلاء الذين تضيق صدورهم عندما يرون من يجتهد في تطبيق السنة. حتى وإن كانت جبلية فإن من يعمل بها مالم يرتكب محرما ولا مكروها فهو على أقل الأحوال لم يخرج عن المباح فلماذا تضيق صدورهم عند رؤية هؤلاء مالا تضيق عند رؤية أهل البدع والمعاصي ؟!!

أيريدون أن يكونوا كالذين يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان. فالله المستعان.

أيها الأخوة : إن الاستهزاء بالسنة والسخرية بها نذير شر وأي شر.

فقد روى الدارمي فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: " بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ ذَهَابِ الدِّينِ تَرْكُ السُّنَّةُ، يَذْهَبُ الدِّينُ سُنَّةً سُنَّةً، كَمَا يَذْهَبُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً. [سنن الدارمي (١/٥٨) واللالكائي (١/٩٣)]

فعودة أيها الدعاة إلى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

[هذا البيت من (متن الجوهرة) لإبراهيم البلقاني وهي منظومة في العقيدة على نهج الأشاعرة.

ومن المفارقات العجيبة أنه قال: فيها هذا البيت وقال: قبل ذلك

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

فليت شعري : هل التأويل والتفويض طريقة السلف ؟

فانظر كيف يأمر بالتأويل أو التفويض وفي آخر منظومته يقول :

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وعلى كل حال : إنما أشرت إلى هذا لبيان حال أهل البدع وكثرة اضطرابهم وأوردت البيت للاستشهاد به لأن معناه صحيح وإن كان قائله لم يلتزم به فرب حامل فقه غير فقيه]

قال: أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد: (من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال) [الرسالة القشيرية ص ١٧]

وقد قال: محمد بن عبدالوهاب في رسالته (نواقض الإسلام): (من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر [والدليل قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) محمد : ٩]

ومن استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر.

والدليل قوله تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ{٦٥} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ } [التوبة : ٦٥، ٦٦]

ويقول سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب :

(أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعا) [تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧)]

ومن هنا نفهم أن المسلمين جماعة واحدة

ومن السنة لزوم جماعة المسلمين وهذه الجماعة المسلمة الذي يحددها اسماً ومعلماً وسلوكاً ومنهجاً إنما هو الله رب العالمين وليس من حق أحد أن يتدخل في هذا الشأن لأنه لابد وأن يثبت بالوحي ولذلك الجماعة التي لم تثبت بالوحي اسماً ومعلماً وسلوكاً ومنهجاً فليست جماعة شرعية وتعال بنا نفصل هذه المسألة من خلال أدلة الكتاب والسنة يقول الله سبحانه { واعتصموا بحبل الله جميعاً { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ } ثم ذكر الحكمة من هذا الأمر والنهي فقال: { وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران١٠٣] فالحكمة من الاعتصام وعدم التفرق أن يكون الكل على كلمه واحدة ومنهج واحد ولابد من التركيز على عبارة منهج واحد فليس في الإسلام ما يسمى [كل شيخ له طريقه] وإنما المنهج واحد لابد من التزامه للوصول إلى حقيقة الدين الحنيف أيضاً يقول ربنا سبحانه

{ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } فيبين سبحانه بعدها مباشرةً وقال: { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ{٣٢} [الروم:٣١، ٣٢] وهذا المعنى للفقيه يبين أن التفرق يجعل كل حزب وكل فرقة وكل جماعة تتباهى بمنهجها التي تسير عليه وأنها على الحق المبين وأنها فرحة بهذا المنهج وليس لديها استعداد للتفريط في هذا المنهج الذي وضعه رجل من الرجال وجعله دستوراً لهذه الجماعة أو لهذا الحزب.

ثم يقول ربنا سبحانه { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } [الأنعام١٥٩] وهذا بيان من الله لرسوله ﷺ أن هؤلاء أنت برئ منهم

هذه بعض آيات القرآن

أما السنة المبينة للقرآن فقد قال: النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجة من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً "، وفي الباب عن سَعْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قال: أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (رواه الترمذي)

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ كُلُّهُمْ عَنْ حُسَيْنٍ قال: أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ يَحْيَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ

أَبِيهِ قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قال: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقال: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قال: أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ قال: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقال: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ * (رواه مسلم)

وقد روي الترمذي أيضا فقال:

حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ الْأَفْرِيقِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قالوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي قال: أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مُفَسَّرٌ لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ * (رواه الترمذي)

وعبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ضعيف قال: عنه يحيى بن سعيد القطان ترك الحديث عنه وقال: ابن مهدي ما ينبغي أن يروى حديث عنه وقال: أحمد بن حنبل ليس بشيء وقال: مرة لا أكتب حديثه

والشاهد من الأحاديث أن النبي ﷺ أخبر بأن الأمة ستفترق أكثر من تفرق اليهود والنصارى فإن كانوا قد تفرقوا إلى إحدى وسبعين واثنتين وسبعين فإن المسلمين سيتفرقون إلى ثلاث وسبعين ولكن الضابط لهذه الفرق في الرشد والضلال أن هذه الفرق كلها في النار إلا واحدة وقد ذكرها النبي ﷺ بهذه السمة [الجماعة] ولم يسم النبي ﷺ أي فرقة أخرى بمثل هذه الكلمة ثم جاء تفصيل منهج هذه الجماعة عندما سئل النبي ﷺ فقال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي

حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ،حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ،عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ،عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمُ الْأَفْرِيقِيِّ،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،قال:قال: رَسُولُ اللَّهِ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ

وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قالوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي، قال: أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مُفَسَّرٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

هذا الحديث بهذا اللفظ فيه ضعف وقد جمعت طرقة ورواياته ورأيت بعض أهل العلم قد حسنه قديما وحديثا وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى كما في المشكاة وشرح الطحاوية وصحيح الجامع وقد حسنه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب مفسر

وبعيدا عن الأحاديث الضعيفة أو المختلف في صحتها فإن القرآن الكريم قد حسم هذا الأمر في قوله تعالى {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء: ١١٥] وسبيل المؤمنين هو منهج صحابة النبي ﷺ

فما كان عليه النبي ﷺ هو المنهج الحق الذي لا يتطرق إليه أدنى احتمال للضلال أو الشك أو الريبة ومن هنا كان لزاما على كل مسلم موحد أن يتبع هذا المنهج وإلا كان منحرفا عن الجادة مجانبا للصواب كل على حسب قربه أوبعده عن هذا المنهج وإني أذكر كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله بهذا الحديث ليعلم فضل منهج صحابة رسول الله ﷺ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَرْزُوقٍ، ثنا أَبُو دَاوُدَ، ثنا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، سَمِعْتُ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قال: " أَنَا وَأَصْحَابِي حَيِّزٌ، وَالنَّاسُ حَيِّزٌ، لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ " (رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والطيالسي وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير ومشكل الآثار للطحاوي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في دلائل النبوة)

ولهذا كان لا بد من بيان بعض النقاط في هذا الموطن وهي:

١- هل الجماعات الموجودة تقع تحت الفرق أم لا.

٢- كيفية لزوم الإمام ومن هو الإمام ؟

٣- وصف دعاة على أبواب جهنم.

٤- وصف لجماعة المسلمين.

يجيب عن هذه التساؤلات جميعا حديث حذيفة بن اليمان المتفق عليه وحديث عوف بن مالك عند مسلم

إليك أولا حديث حذيفة

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ قال: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ قال: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِاللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ قال: حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قال: نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قال: نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قال: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قال: نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقال: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قال: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قال: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ * (رواه البخاري)

والشاهد من الحديث أن الدعاة الذين يدعون إلى النار هم من جلدتنا ويتكلمون باسم الإسلام وعند ذلك أمر النبي ﷺ فقال: الزم جماعة المسلمين فسمى النبي ﷺ جماعة [دلت هذه اللفظة على الإفراد فهي جماعة واحدة] وهذه لفظة شرعية وردت على لسان النبي ﷺ ولكنها مقيدة بقوله ﷺ { ما أنا عليه البوم وأصحابي }

ثم قال: النبي ﷺ وإمامهم وهنا تأتي الإجابة على السؤال الثاني من هو الإمام فيجيبنا ﷺ بهذا الحديث الذي رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ أَخْبَرَنِي مَوْلَى بَنِي فَزَارَةَ وَهُوَ رُزَيْقُ بْنُ حَيَّانَ أَنَّهُ سَمِعَ مُسْلِمَ بْنَ قَرَظَةَ ابْنَ عَمِّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ يقول سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ { خِيَارُ أَئِمَّتِكُمِ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمِ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ قالوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قال: لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ

الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ }

فقد بين النبي ﷺ في كلا الحالتين حب الأئمة أو بغضهم أنهم أئمة فإنه لما قال: خيار أئمتكم ثم بين صفة هذه الخيرية فإنهم يحبونكم وتحبونهم حب متبادل بين الإمام والرعية وتدعون لهم ويدعون لكم فهذا إمام يقيم الشرع ويعمل به فلذلك يحبه أهل الصلاح والورع ويدعون له أما المقابل فإن كان الإمام إمام فسق وشر فإن الرعية لا تحبه ولا هو يحبها بل الرعية تبغضه وهو يبغضها وأقصد بالبغض هنا لفئة معينة وهم أهل الصلاح والورع أي أن الإمام يبغض هذه الفئة ويضللها ويسفهها وهم كذلك لا يحبونه ولكنهم يدعون له وينصحونه بما استطاعوا من وسائل النصح الشرعية بضوابطها ولا يخرجون عليه بل لا يحبون ولا يعينون من يخرج عليه لما في ذلك من الفتنة والشر ولكنه من الناحية الشرعية إمام وهو ولي الأمر وليس لزاما أن يكون ولي الأمر هو ما يختاره الناس بإرادتهم وإنما ولي الأمر هو من ولي أمرهم من الناحية العملية وقبل أن نخرج من هذه الجزئية أريد أن أبين أمرا مهما وهو ماذا لولي الأمر على الرعية نقول وبالله التوفيق ونسأله السداد على هذا الفهم

إن أحكام الدين قائمة على هذه الخمس

١- الإيجاب ٢- التحريم ٣- الاستحباب ٤- المكروه ٥- المندوب

فيمنع ولي الأمر من مخالفة الأولى والثانية أي الإيجاب والتحريم فإن منع واجبا فلا سمع له ولا طاعة مع الحرص على عدم الفتنة وأن أمر بفعل محرم فلا سمع له ولا طاعة مع الحرص على عدم الفتنة وله السمع والطاعة في الثلاثة الباقية المستحب والمكروه والمباح فإن منع شيئا مستحبا منعا مؤقتا لعلة مقبولة فيطاع في ذلك والمكروه كراهة التنزيه كذلك والمباح كذلك هذا ما أردت التنبيه عليه في هذا المقام

وعليه لا بد من ذكر حديث عن النبي ﷺ يبين ويوضح ما قلناه وما قررناه بجلاء وهو حديث البخاري في الفتن

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ حَدَّثَنِي أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً * (رواه البخاري)

وهذا بناء على ما قررناه من أن الأمير هو ولي أمر المسلمين الذي تولى أمرهم بالفعل سواء اختاره الناس بمحض إرادتهم أم فرض عليهم عنوة شريطة ألا يجتمع عليهم أميران أو وليا أمر في وقت واحد لأن النبي ﷺ قال: فيما رواه مسلم فقال:

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ: زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ * (رواه مسلم)

ولنعلم يقينا أن الله عز وجل قسم الناس في القرآن إلى فريقين اثنين فقط لا ثالث لهما

١- حزب الله

٢- حزب الشيطان

ولقد قال: ربنا سبحانه في نهاية سورة المجادلة { اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المجادلة: ١٩]

وفي نهاية السورة قال الله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: ٢٢]

وبين هاتين الآيتين بين الله عز وجل المنهج الصحيح لحزب الله الذي ليس له ثان ومن جعل له ثان فقد ضل ضلالا مبينا فقال: ربنا { اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المجادلة: ١٩]

قال: الله سبحانه في الآية التي تليها مبينا الفرق بين الحزبين والمنهج الذي يجب أن يتبع { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ {٢٠} كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ {٢١} [المجادلة: ٢٠، ٢١] والمحادة لله ولرسوله ليس معناها الكفر البواح فقط وإنما المحاده لله ولرسوله لها أوجه كثيرة منها الكفر ومنها الابتداع ومنها التعصب والتحزب الديني وليس الدنيوي ومنها الكبر ومنها الشرك بأنواعه ولذلك قال: الله عز وجل { أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ } كل على حسب حجم المشاقة والمحادة لله ولرسوله ثم يبين الله عز وجل فقال: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } لأن الرسل مؤيدون من الله ومن لم يفعل ذلك من [الكفر أو الابتداع أوالتعصب أوالتحزب الديني وليس الدنيوي أو الكبر أو الشرك بأنواعه] فأولئك هم الذين كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: ٢٢] فلاحا في الدنيا والآخرة.

إذن ليس في الإسلام إلا حزب واحد ألا وهو حزب الله وكل الأحزاب المقابلة هي حزب الشيطان لأن كل ملل الكفر وإن كثرت إنما هي في نهاية الأمر حزب واحد ولذلك نجد أن الله عز وجل لما وصف المؤمنين مع رسول الله ﷺ في سورة الأحزاب قال: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً{٢٢} [الأحزاب: ٢١،٢٢] فجاء وصف المؤمنين بأنهم فريق واحد مع أنهم كان منهم المهاجري ومنهم الأنصاري ومنهم الأوسي ومنهم الخزرجي ومنهم غير ذلك فوصفوا بالفريق الواحد في مقابل الأحزاب لأن التحزب من صفات غير المسلمين نسأل الله السلامة من كل خزي ومن كل عار يؤدي إلى تفرق المسلمين ليصبح حالهم كما هو الواقع.

تنبيه مهم واجب.

هل الجماعات الموجودة على ساحة المسلمين اليوم تعد من الفرق أم أنها من أهل السنة والجماعة؟

والجواب أننا لابد وأن نفرق الاسم والمسمى.

فمن ناحية الاسم تدخل الجماعات الموجودة الآن تحت هذا الاسم وهو [أهل السنة والجماعة]

أما من ناحية الوصف فلا يوصف أحد بأنه من أهل السنة والجماعة إلا إذا كان متبعا لمنهج أهل السنة والجماعة الذي كان عليه صحابة النبي ﷺ وليس من منهجهم التسمية بمسميات للتمييز بينهم وبين غيرهم على غرار من يقول [كل شيخ وله طريقة] وهذا ليس منهج أهل السنة والجماعة.

ومن هنا كان الواجب علينا أن نبين الفرق بين ثلاثة مصطلحات وهي

١- العقيدة ٢- الشريعة ٣- المنهج

<u>أولا العقيدة:</u> فالعقيدة هي ما ينعقد عليه قلبك بتصديق الأخبار الواردة في القرآن أو في سنة النبي ﷺ تصديقا يقينيا لا شك فيه ولا ارتياب سواء كانت هذه الأخبار تخص الماضي مثل قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم أو ما أخبر الله به من خلق السماوات والأرض وقصة خلق آدم عليه السلام أو ما كان من أخبار المستقبل مثل علامات الساعة وأخبار الموت والبعث والنشور والحشر والحساب والجنة والنار وغير ذلك.

والواجب على المسلم تجاه هذه الأخبار التصديق والإقرار بها تصديقا يقينيا جازما لاشك فيه.

<u>ثانيا الشريعة:</u> فالشريعة هي الأمر والنهي إي إفعل ولا تفعل لأن أحكام الدين قائمة على هذه الأحكام الخمس

١- الإيحاب ٢- التحريم ٣- الاستحباب ٤- المكروه ٥- المندوب

والواجب علينا نحوها الاتباع والاستقامة على الأمر والنهي كما أمر الله عز وجل أونهى وكما أمر رسول الله ﷺ قال الله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئاً } [الجاثية:١٩] وقال تعالى {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران:٣١]

ثالثا المنهج: وهو الجمع بين العقيدة والشريعة في السلوك والمنهج ليكون العبد مستقيما على الصراط فتستقيم الجماعة المسلمة على المنهج الصحيح.

ومن هنا كان لابد من بيان البدعة وآثارها السيئة على العقيدة والشريعة والمنهج

ما هي البدعة؟ وما هو الابتداع؟ حتى نتجنب الوقوع فيها.

أولاً : تعريف البدعة

قال: الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في ص٥. ج١

البدعة عبارة عن : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية أ.هـ

وهذا التعريف لابد من فهمه فهما صحيحا لأن التعريفات تدل على تفصيل ما تحتويه فكلمة طريقة في الدين نخرج بها ما كان من أمر الأصل فيه الإباحة ما لم يثبت ضرره أو يأتي دليل بتحريمه كإحداث الصنائع والبلدان وتقسيم الأراضي للزراعة وبناء المصانع وما إلى ذلك وهذا يجب فهمه.

أما في الدين فإن الطرائق تنقسم إلى قسمين

أولاً : ماله أصل   ثانيا: ما ليس له أصل

فما له أصل كعلم النحو والصرف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنها وإن لم تكن موجودة في الزمن الأول ولكن أصولها موجودة في الشرع.

أما ما ليس له أصل فإن المقصود به في العدد أو الهيئة أو الزمان أو المكان ولنضرب على ذلك أمثلة حتى نقرب المقصود ولله المثل الأعلى

الصلاة على النبي ﷺ هي من الأمور التي حض عليها الشرع وجعل لها ثوابا جزيلا لمن فعله بل وجعل عليها عقابا ولكن الشرع جعل لها ضوابط وهيئة فمن الضوابط الصيغة حيث سأل

الصحابة رسول الله ﷺ علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال: قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد......إلخ

فهذه ألفاظ قد ورد النص عليها وجب الالتزام بها (عند الذكر المقيد) فهي أفضل الصيغ دون أن تدخل في الأمور الجماعية كالجلوس حلقة للصلاة على النبي ﷺ وبعدد معين كألف مره أو مائة أو أي عدد مع أن النبي ﷺ قال: { فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا } فهذا عدد محدد بالعشرة ولكن الهيئة يجب الاحتفاظ بمشروعيتها وأنها لا ترتبط بزمن معين ولا مكان محدد أما من يجتمع لها في مكان ما أو في زمان محدد ويجلس ويرددها بعدد محدد فهذا من البدع التي تضاهي طريقة شرعية وهي أن الصلاة على النبي ﷺ نحن مأمورون بها ولذلك تجد أن الأذان الشرعي الذي شرعه الله سبحانه وتعالى وعلمه لنا النبي ﷺ معروف لكل ذي لب ثم يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم حيث قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ حَيْوَةَ وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ وَغَيْرِهِمَا عَنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ * (رواه مسلم)

فلو وقف المؤذن بعد أن انتهى من الأذان يبدأ في الصلاة على النبي جهرا وبصفة لا تليق وهذا من البدع والضلالات وإن كانت تحتوي على الصلاة على رسول الله ﷺ ومن الجهل الكبير أنك تجد هؤلاء يقولون كلاما لا يليق برسولنا ﷺ فتجدهم يقولون الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله وهذا كلام لا يليق وهل كان العرش قبل وجود النبي ﷺ مظلما وتجدهم يقولون يا أول خلق الله وهذا كلام باطل لأن النبي ﷺ قال: في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زِيَادٍ حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي فَقَالَ: أَجْلِسُونِي قال: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال: قُلْتُ يَا أَبَتَاهُ فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ

الْقَدَرِ وَشَرُّهُ قال: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمُ ثُمَّ قال: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ*

الحديث رواه أحمد بهذا الإسناد وفيه معاوية بن صالح بن حدير وهو صدوق وله أوهام وعند أحمد أيضا بإسناد فيه ابن لهيعة وهو صدوق اختلط بعد احتراق كتبه وكثير من أهل العلم يضعفه ورواه الترمذي في موضعين الموضع الأول في كتاب القدر والثاني في كتاب التفسير وفي الموضعين فيه عبد الواحد بن سليم وهو ضعيف

ورواه أبو داود في كتاب السنة وفيه أبو حفصة واسمه حبيش بن شريح وهو مقبول ولكنه توبع فالحديث حسن بمجموع طرقه والله أعلم

فليس النبي ﷺ أول خلق الله كما هو شائع بل هو معنىً باطل وللأسف فإن الناس لا يفرقون بين ما صح وما لم يصح والنبي الكريم يقول فيما رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه فقال:

وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي.ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قالا : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عن أبى هريرة، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ".

ولذلك قال: الإمام الشاطبي رحمه الله: وقوله تضاهي الشرعية يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضاهاة من أوجه متعدده ثم قال: منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائماً لا يقعد ضاحياً لا يستظل والاختصاص في الانقطاع للعبادة والاقتصار في المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير عله ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً وما أشبه ذلك.

ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته أ.هـ

لذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تشابه التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه من أهل الخير.

وفي حديث أبي داود رقم (٤٦١١) وعبد الرزاق في مصنفه

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عَائِذَ اللَّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قال: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قال: اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ فَقال: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ

الدين أحكاما وليس آراءا

وهنا نبين أن الدين إنما هو نص من كتاب أو سنة فلا يدخل في الدين آراء الرجال وفلسفتهم ولكن كل دين نتقرب به إلى الله لابد له من دليل من القرآن أو من السنة أما عقول الرجال فهي متفاوتة وكلها قاصرة وأقول انتبه إلى هذا المعنى (متفاوتة كلها قاصرة) فالنص محكم ومعصوم أما عقول الرجال فهي معرضة للصواب والخطأ ولذلك ديننا دين الدليل وليس كدين النصارى أو اليهود ولقد علمنا ربنا سبحانه مسألة الدليل هذه فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ [الفرقان:٤٥] وقوله تعالى في قصة أهل الكهف {هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً } [الكهف١٥] وقوله تعالى { أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [النمل٦٤].

ومن السنة قصة عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري في أمر الاستئذان وأيضاً قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد عندما تفقد سليمان عليه السلام الطير فقال: تعالى { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقال: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ{٢٠} لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ{٢١} [النمل:٢٠،٢١] وقوله في نفس القصة { قال: سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ{ النمل:٢٧}

وهنا أود أن أبين أمراً مهماً للغاية وهو أن الله تعالى لم يجعل الكلام المجرد دليل على ما في القلب ولكن جعل القلب وما فيه هو الأساس ولذلك أقول لك صلاح الظاهر لا يلزم منه صلاح الباطن ولكن صلاح الباطن يلزم منه صلاح الظاهر وإليك الأدلة قال: تعالى قي سورة المنافقون { إِذَا جَاءكَ

الْمُنَافِقُونَ قالوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ{١} فهاهم قالوا باللسان وظاهرهم أنهم أسلموا أما الحقيقة فإنها بخلاف ذلك ولذلك بين الله عز وجل غرضهم من إظهارهم للإسلام فقال: { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{٢} ثم بين سبحانه صورة نفاقهم فقال: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ{٣} أي آمنوا بألسنتهم ولكن لم تؤمن قلوبهم ولقد بين الله عز وجل في آيات من سورة الحجرات فقال: { قالت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٤} فلو تدبرت ألفاظ الآية الكريمة ستجد أن الله تعالى يقول { قالت الْأَعْرَابُ آمَنَّا } أي هم الذين أخبروا عن أنفسهم بأنهم آمنوا ولكن الذي يعلم ما في قلوبهم هو الذي يكذبهم ويقول { قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا } وهنا يتبين لنا أن كلمتي الإسلام والإيمان تحتاجان إلى فهم هل هناك فرق بينهما أم أن الإسلام بمعنى الإيمان والإيمان بمعنى الإسلام وهنا نقول

كلمتا الإسلام والإيمان إن اجتمعتا لفظا افترقتا في المعنى وإن افترقتا لفظا اجتمعتا في المعنى وبيانا لذلك نضرب الأمثلة ولله المثل الأعلى

يقول الله تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران١٩] فكلمة الإسلام هنا تشمل كل الدين الإسلام والإيمان والإحسان وأيضا عندما يقول ربنا سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فالإيمان هنا يشمل الإسلام والإيمان والإحسان أما في هذه الآية التي معنا { قالت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا } فالإسلام بمعنى الأمر الظاهر والإيمان بمعنى ما وقر في القلب وصدقه العمل وهنا يلزم أن نبين خطأ كثير من الناس في رفع الأثر المشهور الذي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه فقال:

حَدَّثَنَا عَفَّانُ قال: نَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قال: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ : " إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ " [مصنف ابن أبي شيبة:٢٩٧٦٦]

يرفعونه إلى النبي ﷺ وهذا ليس عن النبي ﷺ ولكنه من كلام الحسن البصري ولذلك يبين ربنا سبحانه لهؤلاء الأعراب فقال: { وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } ثم يبين أن دلالة دخول الإيمان في القلب { وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً } ولذلك لو أردت العبرة والفائدة العظمى اقرأ الآية التي بعدها يقول ربنا سبحانه { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } {الحجرات: ١٥} فجاء الإيمان في الآية وهو صلاح الباطن لزم منه صلاح الظاهر وهو { وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } واعلم أن الله عاب على أقوام قالوا الكلام بألسنتهم ولكن لم تؤمن به قلوبهم فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{٢} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ{٣} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ{٤} [الصف: ٢،٣،٤] وأسوق إليك هذه الآيات لتبين لك أن هدم الإسلام يبدأ أولاً بالكلام والجدال والفلسفات لأن هذا هو التمهيد يقول ربنا سبحانه { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{٧} يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } { الصف: ٧،٨ } وكل رجائي أن نتدبر هذه الألفاظ { افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ } أي تبين له عقائد وشرائع الإسلام أو أنه ينتسب إلى الإسلام أي هو من المسلمين ظاهراً ثم وصف الله تعالى هذا الصف بالظالمين فقال: { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } واعجبا ممن يقرأ هذه الآية وتمر عليه مر الكرام وهو لا يربطها بما بعدها قال: تعالى بعدها { يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } فالهدف المنشود من وراء إظهار الإسلام دون أن يكون له ارتباط بالباطن إنما هو إطفاء نور الله عز وجل وهل هذا يمكن الله منه أحد؟ الجواب لا يتمكن منه أحد ودليل ذلك ما رواه مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قالوا : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ ". وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ وَهُمْ كَذَلِكَ.

وأيضاً أتم الله الآية بقوله { وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

فاتباع الهوى يجعل الإنسان شكلاً بلا مضمون وأحياناً يكون والعياذ بالله لا شكل ولا مضمون ولقد أقام الله الحجة على عباده بأن بعث إليهم رسولاً من أنفسهم يزكيهم ويتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة ثم أقام الحجة على كل البشر فقال: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } [النحل:٤٣] فإياك إياك من اتباع الهوى فإنه لا حجة لك واتباع الهوى يخرج الإنسان من دائرة الإيمان بل أحياناً من دائرة الإسلام فاحذر أن تفرط في إيمانك فإن الله تعالى يعيد بما شرع لا بالأهواء والبدع.

موقف السلف من الآراء و الآرائيين :

ولقد تنبه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إلى هذا الأمر الخطير فألزموا أنفسهم أمرين عظيمين :

الأول: الإمساك بما ورثوه من سلفهم ، والامتناع عن إحداث شيء في الدين بآرائهم.

ولولا خشية الإطالة لسردت من أقوالهم ما فيه عظة للعاقلين.

وحسبي أن أذكر قول الإمام أحمد المشهور :

(إياك أن تقول كلمة ليس لك فيها إمام) [رواه ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد) (٢٣١) و (تهذيب أجوبة الإمام أحمد)].

الثاني : مجانبة أهل البدع ، والتحذير منهم ، ومحاربة الآراء الدخلية على الإسلام ، والتبرؤ منها ومن أصحابها.

وليس الموضع موضع سرد فحسبنا رواية عن ابن عمر وأخرى عن أبيه رضي الله عنهما :

فقد ذكر عند ابن عمر قوم يتكلمون في القدر فقال: رضي الله عنه إني بريء منهم وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل وهذا موضع الشاهد

(إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، قال: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ، مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ) [مسلم:١١].

قال: العلامة أحمد شاكر رحمه الله :

{ قوله { اجعل أرأيت باليمين } يريد : الإنكار عليه أن يقابل خبره عن رسول الله ﷺ بالأعاذير والتمحلات وليس هذا من أدب المسلمين بل يجب على المسلم إذا سمع الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أن يقبله دون تردد أو تلكؤ وما ينبغي له إلا السمع والطاعة } [تحقيق أحمد شاكر للمسند (رقم ٦٣٩٦)].

سواء أدرك المقصود من الحديث أم لم يدركه وسواء قبله عقله أم لم يقبله لأن المتبع يخضع عقله لشرعه ولا يخضع شرعه لعقله.

وقصة صبيغ مع عمر رضي الله عنه من أوضح الأدلة على ضلال أصحاب { أرأيت } الذي لا يقيمون للاتباع وزنا :

قصة صبيغ العراقي :

قال: ابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها

حدثني إبراهيم بن محمد عن سحنون عن ابن وهب عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن نافع :

أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب. فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال: أين الرجل ؟ قال: في الرحل. قال: عمر : أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة. فأتاه به فقال: عمر : تسأل محدثة فأرسل عمر إلى أرطاب من الجريد فضربه به حتى ترك ظهره خبزة ثم تركه حتى برئ ثم عاد له ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود له فقال: له صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه.

[إسناده حسن إلى نافع مولى عبدالله بن عمر

إلا أن رواية نافع عن عمر - رضي الله عنه – مرسلة.

والخبر رواه الدارمي في المقدمة برقم ١٤٧، ١٤٨ – فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلًا يُقال: لَهُ : صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقال: " مَنْ أَنْتَ؟، قال: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ

صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي " [رواه الدارمي في المقدمة برقم ١٤٧]

وقال: أيضا

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، أَخْبَرَنِي ابْنُ عَجْلَانَ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ، جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ، فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟، قَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ: عُمَرُ: " أَبْصِرْ أَنْ يَكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ: عُمَرُ: تَسْأَلُ مُحْدَثَةً، فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ، فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ: صَبِيغٌ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي، فَقَدْ وَاللَّهِ بَرِئْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ : أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ : أَنْ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ " [رواه الدارمي في المقدمة برقم ١٤٨]

ولهذا الخبر طريقان آخران عند الآجري في { الشريعة } ص٧٣.

أما الأول : ففيه إسماعيل بن أبي المحارب ولم أقف له على ترجمة وباقي رجاله ثقات.

وأما الثاني : فرواية : سليمان بن يسار وروايته عن عمر – رضي الله عنه – مرسلة كما ذهب أبو زرعة انظر { المراسيل } لابن أبي حاتم (ص :٨٢)]

المستفاد من النص

أن إعمال الفكر دون الرجوع إلى نور الوحي من كتاب أوسنة فيه الضلال والزيغ إذ جاء صبيغ الصحابة رضي الله عنهم يسألهم عن متشابه القرآن وأراد أن يعمل فيها بفكره وأن يفهمها بعقله دونما الرجوع إلى الأثر والاتباع وألقى بشبهه على الصحابة فما كان من هؤلاء المتربين على يد سيد المربين وإمام المتبعين ﷺ إلا أن أمسكوا عن الجواب وعزفوا عن الرد ثم أخبروا عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين بما حدث. ولم لا يمسكون.. ولأمير المؤمنين لا يخبرون ؟؟ وهو أمر جلل فالرأي صار حكما والعقل أصبح مرجعا لفهم القرآن.. لا الأثر والاتباع !

فأخذه عمر وجلده ثم حبسه، ثم جلده وحبسه، ثم جلده وحبسه ثم قال: صبيغ : يا أمير المؤمنين ! إن كنت تريد قتلي فاقتلني ولكن قد ذهب الذي أشكوا !! فنفاه إلى العراق ومنعه من مجالسة الناس ثم صلح حاله فلما قامت فتنة الخوارج فتنة التكفير والتقول على الله تعالى بغير علم جاء الناس صبيغا فقالوا :

قم يا صبيغ فقد جاء دورك فقال: أدبني العبد الصالح... !! [الدارمي والآجري في (الشريعة وابن عساكر في (تاريخ دمشق) وابن وضاح (٥٦) وذكره الخلال (٢٢٨) والشاطبي في (الاعتصام) وابن حجر في (الإصابة) وغيرهم].

فتدبر هذا الجزاء القاسي والتأديب الشديد من أمير المؤمنين سيد المتبعين في زمانه... لمن أراد أن يعمل عقله ويحكمه على كتاب خالقه العليم الخبير.

وسئل عطاء عن شيء فقال: لا أدري فقيل له : ألا تقول فيها برأيك ؟ قال: { إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي } [الدارمي (المقدمة رقم ١٠٧)].

فهذا حال عطاء رحمه الله وما أدراك ما عطاء بن أبي رباح...

قال: الذهبي { سير أعلام النبلاء } (٧٨/٥) عن عطاء: { هذا شيخ الإسلام أدرك مئتين من أصحاب رسول الله ﷺ } وقال: ابن عباس : { تجتمعون علي وعندكم عطاء حج سبعين حجة }.

قال: أبو حازم : فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

وقال: محمد بن عبد الله الديباج : ما رأيت مفتيا خير من عطاء.

وسأل سليمان بن هشام قتادة المفسر المشهور : هل في البلد يعني مكة أحد يعني من العلماء ؟ فقال: { أقدم رجل في جزيرة العرب علما عطاء.. }.

وإذا كان هذا الإمام يقول كما روي الدارمي فقال:

حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ مَالِكٍ، حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ، عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قال: سُئِلَ عَطَاءٌ عَنْ شَيْءٍ، قال: لَا أَدْرِي، قال: قِيلَ لَهُ : أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟، قال: " إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ عز وجل أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي.

فكيف بمن لا يصلح أن يكون خادما له ولا يعرف من العلم الشرعي شيئا يشرع برأيه ويرسم سبيلا برأيه ويجعله دينا للعباد ويخالف سبيل المؤمنين سبيل السلف الصالح برأيه إن هذا لهو الفساد بعينه !؟ نعوذ بالله من الفساد.

وعن عروة بن الزبير قال: فيما رواه ابن ماجة فقال:

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الرِّجَالِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا، حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَقَالوا بِالرَّأْيِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " [ابن ماجة: ٥٦].

وعن الزبرقان قال: نهاني أبو وائل أن أجالس أصحاب { أرأيت }.

وأبو وائل هو شقيق بن سلمة أحد أئمة التابعين الأخيار قال: الذهبي : الإمام الكبير شيخ الكوفة مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه حدث عن أكابر الصحابة كعمر وعثمان وعلي وعائشة وأبي هريرة تعلم القرآن في شهرين قال: عنه إبراهيم : إني لأحسبه ممن يدفع عنا به وقال: ابن معين : لا يسأل عن مثله وقال: الذهبي : قد كان هذا السيد رأسا في العلم والعمل { سير الأعلام } (٤/ ١٦١) }

وقال: الشعبي : { ما حدثك هؤلاء عن رسول الله ﷺ فخذ به وما قالوه برأيهم فألقه في الحش } [والحش : المكان الذي تقضى فيه الحاجة ويلقى فيه القذر].

ولقد كان من الأخطاء الجسيمة التي نشأ عليها بعض شباب هذه الصحوة بخاصة العاطفة الشديدة غير المرشدة فاستغل أناس عاطفتهم في أهواء وآراء رأوها

وَإِنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي السُرُورِ وَالفَرَحِ أَنْ نَرَى شَبَابًا مُسْلِمًا ذَا نَضْرَةٍ فِي وَجْهِهِ مِنْ أَثَرِ الرضا والقناعة بطاعة الله عز وجل وطاعة النبي ﷺ وهذا يبشر بالخير والسرور ولكن هذا الشباب الذي رُسمت على وجهه النُّضرة يحتاج إلى توجيه صحيح وإرشاد بصير بتفاصيل دين الله عز وجل فإن هذا الشباب

- إما أن يرشد إلى الطريق الصحيح فيبدأ تعلمه وتدينه بالطريقة الشرعية الصحيحة فيكون ثابتا عند المحن والابتلاءات نتيجة أنه تربى على أن الأمر لله والحكم لله وكل شئ يحدث في هذه الدنيا إنما هو بقدر الله عز وجل الكوني

- وإما أن يصادف من يلهب عواطفه وحماسته ويزيدها اشتعالا فينجرف إلى أهواء النفس وتيارات الغلو فتصبح المبشرات والنضرة منقلبة رأسا على عقب فتسوء العاقبة ولا يجد المسلم طريقا أمامه أو سبيلا يسلكه إلا تذوق مرارة هذه الحماسة والعاطفة التي لم توجه إلى الطريق الصواب

وعواقبها

هي المغالاة في الأحكام والاتجاه إلى القوة بدلا من العلم والتعلم، وسلوك مسلك السرية بدلا من الجهر، والمداهنة بدلا من المواجهة بالأدلة، وقس على ذلك في كل المناحي ولذلك نجد ساحة المسلمين الآن تعج بالخلاف بين طوائف شتى والكل مسلم أو ينتسب إلى الإسلام

- وبالتالي فإن المحصلة هي ضياع الشباب الصاعد واستنزاف قواه العقلية والمادية في غير موضعها الصحيح واستغلال أهل القوة والسلطان لهذا الضياع بالقضاء على قوة الشباب بدلا من توجيههم واتهامهم بأشنع الاتهامات التي لا تصنع شيئا في نهاية الأمر إلا تشويه صورة الإسلام عند ضعفاء الإيمان من المسلمين أو عند غير المسلمين من أعدائه وإتاحة الفرصة لهم بإلصاق التهم للإسلام وتشويهه وذلك بسبب أهله.

- ولذلك كان حريا بنا أن نضع الأمور في نصابها ونزن الأمور بميزان الشرع حتى ننال حب الله ورضاه أولا ثم نصر الله وتمكينه للمسلمين في شتى بقاع الأرض يقول الله عز وجل﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [سورة النور]

وبعض الشباب خاصة والمسلمون عامة لم يدركوا هذه القضايا التأصيلية العظيمة فلا يفرقون بين أثر ورأي ولا بين اتباع وفكر فأتاهم من أتاهم فحرك حماسهم وهيج نفوسهم فهبوا مع الرياح... وطاروا مع كل جناح... فكانت الأجنحة من هواء.

فما أضعف عقول { الأرائيين } وما أضلهم !؟

وما أعقل المتبعين وما أهداهم ! جعلنا الله وإياكم منهم. فانتبه حفظك الله.

وإنه لمن الغش لهذه الأمة أن يجعل رأي ارتآه رجل مهما كانت مكانته أوعلمه أو جاهه أو سلطانه دينا لها يدعى إليه وينافح عنه فإن الأشخاص بأعيانهم ليسوا بمعصومين.

وإن من أبرز صفات العاقل :

أن يميز بين الأثر الذي هو من الرب الحكيم الجبار أو رسوله ﷺ والذي هو دين يجب أن تدين به الأمة وبين الرأي الذي هو رأي لضعيف مربوب وفكر لمخلوق وما لم يفرق الناس بين هذا وهذا فهم في هلكة إلا من رحم الله عز وجل فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

ومن الآراء المبتدعة المعاصرة :

١- جواز وجود المعارضة للحاكم المسلم. [الذي لم يظهر منه كفر بواح]

٢- جواز تعدد الأحزاب الدينية في الدولة المسلمة.

٣- الدعوة لتوحيد الجماعات الإسلامية على غير أسس شرعية إلا أساس { اسكتوا نسكت } !.

٤- جواز حكم المسلمين بحاكم غير مسلم يطبق الشريعة.

٥- إيجاد قواعد فقهية غير قواعد السلف الصالح.

٦- إعذار أهل البدع في بدعهم.

٧- التقريب بين الطوائف المختلفة العقائد (كالسنة والشيعة)
٨- التقريب بين الأديان [الدين واحد من حيث العقيدة متعدد من حيث الشرائع]
وغير ذلك مما لا يصدق لولا ثبوته.
والله المستعان وعليه الهداية إلى سواء الصراط.

ديننا دين اتباع لا دين فكر وابتداع :

الاتباع : هو أصل الأصول وأس الأسس في ديننا بل هو الدين كله قال: الله تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } [النساء : ١٢٥].
{ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام : ١٠٦].
وإذا كان رسول الله ﷺ لا يملك في هذا الدين شيئا فلا يعمل فيه فكرا ولا يحدث فيه حدثا { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } [النجم : ٤].
{ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [يونس : ١٥].
بل لا يجرؤ على شيء من هذا وما ينبغي له ﷺ قال: الله تعالى: { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{٤٨} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ{٤٩} [الحاقة :٤٤ : ٤٩].
بل إن النبي ﷺ لم يرض بتبديل كلمة مكان كلمة والكلمتان شرعيتان وتدلان على صفة شرعية بل الكلمة المبدلة [الرسول مكان النبي] وذلك فيما رواه البخاري فقال:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قال: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قال: قال: النَّبِيُّ ﷺ " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ "، قال: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ : وَرَسُولِكَ، قال: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. [البخاري:٢٤٧]

فكيف يجرؤ بعضهم على الابتداع بغية زيادة التعبد والاختراع باسم الفكر والإحداث بدعوى التجديد ؟!

فما أجرأهم على دين الله تعالى...!

معنى الاتباع :

قال: ابن منظور في (اللسان) :

اتبعت الشيء: سرت في إثره وتبعت القوم : مشيت خلفهم. والاتباع عكس الابتداع تماما.

فالاتباع يعني: السير في طريق مسلوك.

والابتداع: إحداث طريق جديد لم يسلك من قبل.

والاتباع الشرعي يعني : السير على طريق من رضي الله عن سيرهم. قال: تعالى { وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان : ١٥].

ومن هذا نعلم : أن للاتباع شرطين :

الأول: لغوي، وهو: أن يكون العمل أو القول مسبوقا به.

الثاني: شرعي

وهو: أن يكون العمل أو القول صادرا ممن أناب إلى الله تعالى والمنيبون لا يعرفون إلا بتزكية الله أو رسوله ﷺ لهم.

ويوضح الاتباع ويمثل قمته : قول عمر رضي الله عنه – في الحجر الأسود فيما رواه البخاري قال:عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، " أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ " [أخرجه البخاري ١٥٩٧].

أي : لولا أنا أمرنا باتباع الرسول ﷺ من غير تردد ولا سؤال : لم...؟ لما قبلت هذا الحجر..

وما لم نسلك هذا السلوك.. سلوك رسول الله ﷺ وأصحابه من غير نظر إلى مضرة أو منفعة سوى منفعة الطاعة، ونهجر كل طريق غير طريق رسول الله ﷺ ولو ظننا منفعتها. ما لم ننهج هذا المنهج فلن نمكن في الأرض حق التمكين.

ولذلك فإني أنصح نفسي وأنصح كل مسلم أن يسلم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ سواء علمنا الحكمة منه أو لم نعلم. فإن علمنا الحكمة فهذا من فضل الله علينا وعلى الناس وإن لم نعلم الحكمة فلا يسعنا إلا التسليم قال: تعالى { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } [النساء:٦٥]

أهمية الاتباع :

تتجلى أهمية الاتباع بأمرين :

الأول :

بكثرة النصوص الواردة بشأنه في الكتاب والسنة في كتاب الله من أمر الاتباع أو حث عليه أو مدح لأصحابه !!

والأمر بطاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ أو حث على ذلك أو مدح للمطيعين.

فهل في هذا عبرة للمعتبرين ؟!

وأما في السنة فأكثر من أن يحصى فهي بحر زاخر ومعين نضاخ.

{ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } [الأنبياء : ١٠٦].

الثاني :

الاتباع هو الحافظ الوحيد من الله للإنسان من الانحراف والضلال.

وما ضل من ضل ولا انحرف من انحرف إلا بخروجهم عن هذا الأصل العظيم.

{ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس : ٣٢].

أي : فكيف تصرفون عن الصراط.... ولا يعرف الصراط إلا بالاتباع وإلا كان كل طريق صراطا مستقيما.... فتدبر.

ثمار الاتباع :

١- الهداية : قال: تعالى { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت : ٦٩].

والمجاهدة إنما تكون في الاتباع.

وإن لم تكن المجاهدة في الاتباع فلا بارك الله فيها ويؤكد هذا قوله تعالى { يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [المائدة : ١٦].

٢- النصر في الدنيا، والنجاة في الآخرة : قال: تعالى { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى{١٢٣} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً [طه : ١٢٣، ١٢٤]. وقوله { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : ٣٨]

٣- رضى الله عز وجل وهو غاية الغايات، ومنتهى الطلبات: قال: تعالى { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١٠٠]

فلا يكون الرضا إلا باتباع من سلف ممن رضي الله عنهم.

شمولية الاتباع :

ما تقدم من الأدلة والبحوث يدل كل ذي عقل على :

أن الاتباع الذي أمرنا به أشمل من أن يحصر في صلاة أو صوم أو سواك أو ثوب بل هو عام واجب في العقائد والعبادات والطرق والمنهاج والتشريع والحكم والسلوك والأخلاق. قال: تعالى بعد أن ذكر عددا من الرسل { أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ } [الأنعام: ٩٠]. وقال: تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } [الأحزاب : ٢١]

وقال: ﷺ :

(عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)

[أبو داود (رقم ٤٦٠٧) وغيره وصححه شيخنا في (صحيح الجامع) (رقم ٢٥٤٩)].

وقال: ابن مسعود : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق)

[اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد) و (السنة) محمد بن نصر المروزي (٢٣) وابن وضاح في (البدع والنهي عنها) (١٠) والدارمي في (السنن) (٨٦) والطبراني قال: في (المجمع) : ورجاله رجال الصحيح باب الاقتداء بالسلف].

كفيتم في العقائد كفيتم في العبادات وكفيتم في المنهاج كلها أمور توقيفية لا يحل الزيادة عليها ولا النقصان منها.

قال: الشاطبي :

الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان. [الاعتصام (١/ ٤٩)].

معنى الابتداع :

أعلم رحمني الله وإياك أن الابتداع ضد الاتباع تماما لغة وشرعا كما سبق وأنهما لا يلتقيان أبدا. ومن هذا المفهوم نذكر أنفسنا مرة أخرى بما قال:ه الشاطبي رحمه الله فيما نقلناه آنفا بشيء من التفصيل

الابتداع لغة :

إحداث طريق جديد لم يسلك واختراع قول لم يسبق وابتداء فعل لم يفعل.

قال: في (اللسان) :

(بدع الشيء : أنشأه وبدأه).

قال: تعالى { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [البقرة : ١١٧].

قال: العلماء: أي: محدثهن ومبدعهن على غير مثال سابق.

الابتداع في الشرع

هو: إحداث طريقة في الدين من عبادة أو فكر أو طريق لم يحث عليها الله عز وجل ولم يفعلها رسوله ﷺ ولم يسلكها سلف هذه الأمة.

أو تخصيص عبادة مشروعة بزمن أو مكان أو هيئة لم يقم دليل على هذا التخصيص.

قال: الإمام الشاطبي في تعريفه الثاني للابتداع :

(البدعة : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) [الاعتصام (١/ ٤٢)].

وأعلم أنه ليس المقصود من هذا البحث التفصيل وإنما المقصود الإشارة والتنبيه وإلقاء نظرة على بعض المناهج المعاصرة ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتب هذا الموضوع منها : الاعتصام للشاطبي، وعلم أصول البدع للشيخ علي بن حسن الحلبي، والبدعة للشيخ سليم بن عيد الهلالي.

والبدعة وأثرها للدكتور محمد يسري وحقيقة البدعة وأحكامها للشيخ سعيد الغامدي، وهذا الأخير أوسعها وأشملها.

أي :كل طريقة محدثة قصد بها التقريب إلى الله توازي وتضاهي الطرق الشرعية ، سواء كان ذلك الابتداع في الأفكار أو العبادات أو الطرق أو العادات وبهذا تدخل الطرق السياسية المعاصرة المحدثة التي تسلكها بعض الجماعات الإسلامية في تعريف البدعة وفي مسمى الابتداع وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

والأصل في العادات والوسائل : الإباحة إلا ما ورد الدليل بمنعه.

فإن قصد الاستعانة بها على طاعة الله عز وجل كان صاحبها مأجورا في فعلها ونفقتها إن كانت ذات نفقة كركوب المواصلات للحج والاستعانة بمكبر الصوت في الأذان وفي الدعوة إلى الله وإن قصد العبد التعبد بالعادة نفسها وبالوسيلة ذاتها صارت بدعة ضلالة.

كما أوضح ذلك الشاطبي في تعريفه للبدعة :

(... يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية...) [الاعتصام (٤٢/١)].

أي : يتقربون إلى الله بالعادة والوسيلة نفسها ويتخذونها عبادة.

وبعبارة أخرى : أن يرى الفاعل وجوب عادة ما أو وسيلة ما ، في عمل ما ، من غير دليل شرعي ، أو مصلحة بينة ، كأن يرى وجوب الحج بالطائرة ، بدعوى أنها أسهل فيتخذها الناس سنة ، أو يرى وجوب الجهاد في هذا الزمان بالسيف تعبدا ، بدعوى أن الرسول ﷺ جاهد بالسيف.

وفي أثر ابن مسعود الذي رواه الدارمي موقوفا قال:

أَخْبَرَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، قال: قال: عَبْدُ اللَّهِ "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ، قالوا : غُيِّرَتْ السُّنَّةُ "، قالوا : وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟، قال: " إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ "

أو يرى لزوم الاجتماع للعزاء ، أو التزام عادة ما ، في وقت ما... يتقرب بها إلى الله تعالى كالاحتفال بليلة النصف من شعبان ، أو ما أحدث في ليلة عاشوراء... وغيرها من أيام السنة.

أو اعتياد لبس لون معين من الثياب عند المصيبة ، إلى غير ذلك من العادات التي صارت سننا متبعة عند كثير من الناس.

أما الذين لا يرون دخول العادات في البدع إذا اتخذت عبادة فيقال: لهم :

مما لا شك فيه أنه إذا قصد بعبادة مشروعة مكان مخصوص أو زمان معين أو اخترع لها هيئة ولم يرد على ذلك دليل أو صوم يوم معين أو صلاة في وقت مخصص.

إذن صارت هذه العبادات بدعا بالرغم من أن أصلها مشروع فكيف بعادة مباحة قصد بها تعبدا زمان أو مكان معين لا شك والحال هذه في دخولها في باب البدع من باب أولى.

ومن أدلة ذلك في هذه العجالة ما رواه البخاري وغيره وهذا لفظه:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقال:وهَا، فَقالوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال: أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقال: آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقال: آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " [البخاري: ٥٠٦٣].

فقول النبي ﷺ للنفر الذين جاءوا أزواجه فمنع أحدهم نفسه عن أكل اللحم تعبدا فغضب لذلك رسول الله ﷺ وقال: (من رغب عن سنتي فليس مني)

رغم أن أكل اللحم عادة وليس عبادة لكن لما ألزم نفسه بالامتناع منه وجعل ذلك عبادة صار بدعة محرمة.

الترهيب من الابتداع :

وردت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة في تحريم الابتداع والتحذير من عواقبه وجعلته سببا في الضلالة وبابا للكفر.

وما ورد عن السلف في هذا يروي الغليل ويشفي العليل وسيأتي تفصيل ذلك كل في بابه.

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الشورى : ٢١].

وفيه دليل جلي على أنه لا يجوز سلوك أي طريق في الدين إلا بإذن مسبق من الله تعالى وإلا كان صاحبه مبتدعا.

وقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما وهذا لفظ البخاري:

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت : قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ ".

وروى الإمام مسلم فقال:

وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حميد جميعا، عَنْ أَبِي عَامِرٍ، قال: عَبْدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، " قال: سَأَلْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ، فَأَوْصَى بِثُلُثِ كُلِّ مَسْكَنٍ مِنْهَا، قال: يُجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي مَسْكَنٍ وَاحِدٍ؟، ثُمَّ قال: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.

وهذا نص عام في كل إحداث وأنه مردود على صاحبه... ولهذا كان صاحب البدعة ضالا في الدنيا خاسرا في الآخرة نعوذ بالله من الخذلان.

خطورة الابتداع :

من المؤسف حقا أن يكون معظم المسلمين وكثير من الدعاة غير العاملين وبعض المشايخ المتعالمين لا يعلمون معنى الابتداع ولا يدركون خطورته.

ولذلك تراهم يبتدعون ويحثون على الابتداع وتجد أكثرهم يستهزئون بالمتبعين ويحاربونهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وترى كثيرا من الحزبيين والسياسيين والفكريين والواقعيين لا ينهون عنه ولا ينأون عنه وهم يظنون أنهم بهذا أقوم طريقا وأحسن سبيلا !

ولو أنهم علموا معنى الابتداع وأدركوا خطورته وأنه أحب شيء إلى الشيطان بعد الشرك لما له من أثر عظيم في هدم الدين كما هدمت به الأديان من قبل لما فعلوا الذي فعلوا وما قالوا الذي قالوا.

وتكمن خطورة الابتداع في :

أولا: أن المبتدع ينصب نفسه في منزلة المشرع ولا يشرع إلا الله قال: تعالى : { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } [الشورى : ٢١].

قال: ابن كثير رحمه الله (أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من الضلالات والجهالة الباطلة) [تفسير ابن كثير (١٢/٤.).].

وقال: ابن الجوزي رحمه الله : (والمعنى : ألهم آلهة (شرعوا) أي : ابتدعوا (لهم) دينا لم يأذن به الله) [زاد المسير (٢٨٢/٧)].

فحكم الله تعالى على الذين شرعوا لهم أي : ابتدعوا لهم، بأنهم اتخذوهم شركاء من دونه والعياذ بالله !

قال: سيد قطب رحمه الله تعالى :

(وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله وأذن به كائنا من كان).

والتشريع أعم من أن ينحصر في تشريع الحكام أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان بل هو يشمل هؤلاء ويشمل كذلك من شرع للناس عبادة من صلاة أو ذكر لم يأذن بها الله أو شرع لهم طريقا للوصول إلى الحكم غير طريق رسول الله ﷺ.

أو استحسن لهم طريقة في الدعوة أو في نظام الحكم غير طريقة السلف... كل ذلك يدخل في التشريع المبتدع وكل ذلك سواء.

ثانيا: أن الابتداع في الدين أخطر من ارتكاب الذنوب والمعاصي لأن صاحبه يشرع فيضاهي بابتداعه شرع الله وأحكامه وذاك يعصي ويخطئ.

قال: شيخ الإسلام رحمه الله :

(ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب) [مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٧٠)].

ثالثا: أن صاحب البدعة لا يفكر بالتوبة لأنه يظن أنها عبادة لذلك يستمر على بدعته التي هي أشد من المعصية بل يدعوا إليها ومن أجل ذلك رأى بعض أهل العلم أن لا توبة له لقوله ﷺ: فيما رواه الطبراني في الأوسط فقال:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرْغَانِيُّ، قال: نا هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرْوِيُّ، قال: نا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ. [الطبراني في الأوسط: ٤٢٠٢]

والعياذ بالله.

[أخرجه الطبراني في (الأوسط: ٤٢٠٢) كما في (المجمع) (١٠/١٩٢) والبيهقي في (شعب الإيمان) (رقم ٩٤٥٧) وغيرهم، وقال: الهيثمي (ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى وهو ثقة) وصححه شيخنا في (الجامع) (١٦٩٩) (والسلسلة) (١٦٢٠)].

ولهذا نقل عن أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره كما جاء في شعب الإيمان للبيهقي فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ، قال: أنا أَبُو عَمْرٍو ابْنُ السَّمَّاكِ، نا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو، سَمِعْتُ بَشَرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ يَمَانٍ، يَقُولُ: قال: سُفْيَانُ الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ

[أبو نعيم في (الحلية) (٩٥٦٢) واللالكائي في (أصول الاعتقاد) وأنظر (تلبيس إبليس)].

رابعا: أن البدع أضل للناس وأدعى لقبولها عندهم من المعصية.

ومعظم العصاة يعرفون أنهم عصاة وكثير منهم يستحيي من إظهار معصيته أمام الخلق ومعظم الخلق يدركون ذلك وأما المبتدع فهو يزعم أنه ببدعته يعبد ربه ولذلك يتبعه الناس فيضلون بضلاله.

قال: ﷺ فيما رواه مسلم وغيره وهذا لفظه

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ الْعَبْسِيِّ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قال: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قال: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا، بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً

سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا، بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ". [مسلم (٢٦٧٥)].

ولهذا قال: السلف كما سبق : إن البدعة شر من الذنوب. وقانا الله شر الجميع.

خامسا: أن أصل الشرك والضلال عن دين الله والكفر به كان سببه الابتداع.

قال: ابن الجوزي في تلبيس إبليس:

قال: هشام : وحدثني أبي وغيره، " أن إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ الصلاة والسلام لما سكن مكة، وولد لَهُ فيها أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة، ونفوا من كان بِهَا من العماليق ضاقت عليهم مكة، ووقست بينهم الحروب والعداوات، فأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فِي البلاد والتمسوا المعاش، فكان الذي حملهم عَلَى عبادة الأوثان والحجارة، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث مَا حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بِهَا، وصيانة للحرم وحبا لَهُ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون عَلَى أثر إِبْرَاهِيم وإسماعيل، ثم عبدوا مَا استحسنوا ونسوا مَا كانوا عَلَيْهِ، واستبدلوا بدين إِبْرَاهِيم وإسماعيل عليهما السلام غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إِلَى مَا كانت عَلَيْهِ الأمم من قبلهم، واستخرجوا مَا كان يعبد قوم نوح، وفيهم عَلَى ذلك بقايا من عهد إِبْرَاهِيم وإسماعيل يتمسكون بِهَا من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة، وكانت نزار تقول إذا مَا أهلت : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، وكان أول من غير دين إِسْمَاعِيل، ونصب الأوثان، وثيب السائبة، ووصل الوصيلة عمرو بْن ربيعة، وَهُوَ لحى بْن حارثة، وَهُوَ أَبُو خزاعة، وكانت أم عمرو بْن لحى فهيرة بنت عامر بْن الحارث، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغنا عمرو بْن لحى نازعه فِي الولاية، وقاتل جرهم بْن إِسْمَاعِيلَ فظفر بهم وأجلاهم عَن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت من بعدهم، ثم أنه مرض مرضا شديدا، فَقِيلَ لَهُ : أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بِهَا فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فَقَال: مَا هذه؟ فقالوا : نستسقي بِهَا المطر ونستنصر بِهَا عَلَى العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بِهَا مكة ونصبها حول الكعبة، واتخذت العرب الأصنام، وكان أقدمها مناة، وكان منصوبا عَلَى ساحل البحر

من ناحية المسلك بقديد بين مكة، والمدينة، وكانت العرب جميعا تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل أدينة ومكة وما والاها، ويذبحون لَهُ ويهدون لَهُ " [تلبيس إبليس لابن الجوزي]

قلت : وكذلك كان من أسباب الشرك البدع التي أحدثها قوم نوح في صالحيهم { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً{٢٣} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً{٢٤} مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً{٢٥} [نوح:٢٣،٢٤،٢٥]

[أنظر (السيرة لابن هشام) وابن كثير عند (تفسيره) لهذه الآية من سورة نوح].

وما انحرف من انحرف ولا ضل من ضل من الطوائف الإسلامية إلا بالابتداع.

سادسا: أن الابتداع معاندة للشارع وصد عن الاتباع فمن لم يكن متبعا كان مبتدعا ومن كان مبتدعا لم يكن متبعا.

فتأمل هذا فهو عزيز فإن الإنسان لا يمكن أن يسير على طريقين ولا يمكن أن يكون له قلبان. { مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } [الأحزاب : ٤].

قال: الإمام الشاطبي : (المبتدع معاند للشرع ومشاق له...) [الاعتصام (١/ ٤٩)].

وقد رأينا هؤلاء الذين يحدثون للمسلمين طرقا جديدة سواء في العبادة أو في السبل أو الفكر لا يتحدثون عن الاتباع ولا يحثون عليه بل لا يذكرونه. وإذا ذكروه أو سمعوا به فلا يعرفونه وإذا عرفوه لا يقيموا له وزنا ولا يدركون أن من لم يكن متبعا كان مبتدعا !!

قال: تعالى: { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص : ٥٠].

فإما أن يكون المرء متبعا وإما أن يكون مبتدعا ولا طريق ثالث.

وقال: شيخ الإسلام رحمه الله :

(شعار أهل البدع هو : ترك انتحال اتباع السلف) [الفتاوى (٩/ ١٠)].

وقال: ابن القيم رحمه الله :

قال: تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ..) الآية فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به وإما اتباع الهوى فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى). [إعلام الموقعين (٤٧/١)].

فإذا رأيت العالم أو الداعية لا يدندن على الاتباع ولا يحث عليه فاعلم أنه ليس من أهله ومن لم يكن من أهل الاتباع كان من أهل الهوى والابتداع.

ونحن نرى وقائع عجيبة تصدر من بعض المسلمين فيها من الاستخفاف والسخرية بسلفنا الصالح ما لا يكاد يصدق لولا ثبوتها ، منها :

أنك إذا احتججت بفهم ابن عباس في تفسير آية فيقول لك المحجوج : هذا كان في زمن الجمل والناقة ورعي الغنم ؟!؟ استنكارا واستهزاء وكأنه لا يقيم وزنا لفهم أصحاب النبي ﷺ ويظن أنه أعلم منهم بالدين والصواب واليقين أننا أعلم منهم بالدنيا أما الدين فهم أعلم به منا من حيث اليقين الذي حباهم الله به ورضي عنهم به.

وإذا احتججت على رجل بحديث فأنكره فقلت: رواه البخاري أومسلم أو أبو داود أو الترمذي أو غيرهم من أصحاب السنن فيقول مستهزئا : ومن فلان هذا وكأن أصحاب السنن وأئمة الحديث مجهولون أو أصحاب نظريات قديمة عفا عليها الزمن؟

كل ذلك بسبب سوء التربية التي عليها الكثير من أصحاب الفكر العفن الذي لا ينم إلا عن تحلل من الدين بأصوله وتقديس للعقل القاصر عموما والفاسد خصوصا.

وأيضا بعض الجماعات الإسلامية من إهمالهم للعلم وانشغالهم عنه بترتيبات لا أصل لها في الدين بهذه الطريقة التي يدعون لها وينشغلون بها عن أصل هذا الدين وهو العقيدة الشاملة بالعلم الصحيح لكل أركان الإيمان ويهتمون بالربوبية وذكر النعم دون بقية أنواع التوحيد ويعتبرون من يتكلم في بقية أنواع التوحيد كأن له فكر آخر ويجب البعد عنه بل يحاربونه عن طريق تحذير أتباعهم من الاستماع لفلان وفلان وفلان..... من أهل العلم ويقولون هؤلاء أصحاب كلام أما نحن فأصحاب عمل وجهد وبعض الجماعات أيضا يشتغل بالقيل والقال: والواقع والسياسات غير عابئ بما عليه من الواجب تجاه دينه وعقيدته فكل شيخ وله طريقة والغاية تبرر الوسيلة وبجرة قلم ينصلح كل شيء.

سابعا : إن لازم كل مبتدع : أن دين الله ناقص وأن الله عز وجل لم يكمل دينه وأن رسوله ﷺ لم يتعبد العبادة الكاملة.

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...) (فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا)

قال: الإمام الشاطبي رحمه الله :

(فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقال:ه: إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع...) [الاعتصام (٤٩/١)].

ثامنا: أن الابتداع يفتح باب التغيير والتبديل والفوضى في الدين والقول فيه بغير ضابط ولا علم ، بل إن من أكبر سبل هدم الدين من الداخل هو: الابتداع.

لأن مصدر الابتداع : الرأي والظن والهوى والاستحسان والمصلحة المخالفة للإتباع وهذا الذي سماه الله عز وجل افتراء عليه سبحانه وتعالى.

تاسعا : الابتداع افتراء على الله

قال: تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ{٥٩} وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ{٦٠} [يونس : ٥٩، ٦٠].

فالافتراء – إذن – قولنا : هذه طريقة جائزة وهذه طريقة غير جائزة دون أن يكون لنا في ذلك دليل صحيح وقول متبع.

قال: الشاطبي: (وهو: أي الابتداع بالرأي – اتباع الهوى في التشريع إذ حقيقته افتراء على الله) [الاعتصام (٥٢/١)].

فحذار أن تكون منهم وأنت تسمع قوله تعالى { تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ } [النحل: ٥٦].

عاقبة المبتدع :

وفضلا عما يحدثه الابتداع في الدين من التبديل والشر فإن المبتدع متوعد بأشد أنواع العقوبة ومنها :

اللعن: قال: ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما وهذ لفظ البخاري

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةُ، حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَقَالَ: " ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ "، قَالَ: أَبُو عَبْد اللَّهِ : عَدْلٌ فِدَاءٌ [البخاري:١٨٧٠ و مسلم ١٣٦٩].

وهذا في حق من آوى المبتدع ونصره ووقف بجواره ورضي بفعله وواراه عن السلطان وولي الأمر حتى لا يعاقبه على فعله فكيف بالمبتدع نفسه ؟

رد عمله وإبطال أجره:

قال: ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت : قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ ".

وما رواه مسلم أيضا

وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حميد جميعا، عَنْ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: عَبْدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، " قَالَ: سَأَلْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ، فَأَوْصَى بِثُلُثِ كُلِّ مَسْكَنٍ مِنْهَا، قَالَ: يُجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي مَسْكَنٍ وَاحِدٍ؟، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ "

جزاء المبتدع الضلال في الدنيا ، والعذاب في الآخرة.

اعلم – رحمك الله – أن المبتدع لا يوفق في الدنيا على ما يدخر الله له من العذاب يوم القيامة:

{ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ } [يونس:٦٩].

فكم ضل المعرضون عن الاتباع فسقطوا في حمأة الابتداع والافتراء على الله ، فحرفوا النصوص، وسفكوا الدماء، واتخذوا الباطل سبيلا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فولاهم الله ما تولوا من الضلال ؟!

قال: ابن كثير عن قوله تعالى :

{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً{١٠٣} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً{١٠٤} [الكهف ١٠٣ – ١٠٤].

(قال: سعد بن أبي وقاص : هم اليهود والنصارى)

وقال: علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد (هم الحرورية) – أي الخوارج -.

وهذا يعني : أن الآية تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى.

ثم قال: ابن كثير: هي أعم من هذا... وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود).

فاحذر يا عبد الله أن تكون منهم فوالله لهي أخوف آية في كتاب الله لمن خاف بطلان عمله وخاف عذاب الآخرة.

وأما عذاب الآخرة فقال: تعالى: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الشورى : ٢١].

وقال: ﷺ فيما رواه مسلم وغيره

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ : " صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ "، وَيَقُولُ : " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى "، وَيَقُولُ : " أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "، ثُمَّ يَقُولُ : " أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ ". [مسلم: ٨٧٠ دون زيادة (وكل ضلالة في النار) ، وأخرجه النسائي بهذه الزيادة]

كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).أي:صاحبها في النار.
وهناك كلام نفيس لابن القيم رحمه الله يلخص فيه خطورة الابتداع أنقله وإن طال بنا المقام وتكرر الكلام وذلك لأهميته وصدوره من قبل هذا الإمام الفذ.
قال: بعد أن ذكر أن أحب شيء للشيطان أن يظفر بالإنسان في عقبة الكفر والشرك فإن فاته الإنسان فيها ف(الظفر به في عقبة البدعة أحب إليه أي: من المعصية لمناقضتها للدين ودفعها لما بعث الله به رسوله وصاحبها لا يتوب منها ولا يرجع عنها بل يدعوا الخلق إليها ولتضمنها القول على الله بلا علم ومعاداة صريح السنة ومعاداة أهلها والاجتهاد على إطفاء نور السنة وتولية من عزله الله ورسوله وعزل من ولاه الله ورسوله واعتبار ما رده الله ورسوله ورد ما اعتبره وموالاة من عاداه ومعاداة من والاه وإثبات ما نفاه ونفي ما أثبته وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب ومعارضة الحق بالباطل وقلب الحقائق بجعل الحق باطلا والباطل حقا والإلحاد في دين الله وتعمية الحق على القلوب وطلب العوج لصراط الله المستقيم وفتح باب تبديل دين الله جملة فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ! حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر والعميان ضالون في ظلمة العمى {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ } [النور: ٤٠] [مدارج السالكين].
هذا هو كلام هذا الإمام في خطورة البدع فهل فيه موعظة لمن أراد الآخرة وأراد النجاة ؟!
فاحذر يا عبد الله من البدع وحذر منها أينما كنت وأيا كانت هذه البدعة وأيا كان محدثها فوالله ما أفسد الأديان ودين النصارى من قبل إلا البدع وما حصل الضلال في أمة محمد ﷺ إلا بالبدع وما تفرقت الأمة وتشتت شملها وصارت فرقا وأحزابا إلا بالبدع. {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً } [النساء : ٦٦].

فيم يكون الابتداع :

اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الابتداع أشمل من أن يكون منحصرا في العبادات بل هو عام يشمل : الابتداع في العبادات والطرق والآراء والأفكار وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة وذلك لعموم الأدلة الواردة في ذلك.

واختلف أهل العلم في دخول العادات في مجال الابتداع ورجح المحققون عدم دخول ذلك إلا (إذا قصد بالعادة ما يقصد بالعبادة) [راجع الشاطبي في (الاعتصام) (١/٤٢)].

وما يقال: في العادة يقال: في الوسائل :

وحديث النفر الثلاثة الذين منعوا أنفسهم من بعض العادات كالزواج وأكل اللحم من أظهر الأدلة على هذا وأقواها وقد سبق أن أشرنا إلى هذا.

وكثير من الناس يظنون : أن البدع المحرمة هي بدع العبادات دون بدع الأفكار والطرق ولذلك تجد أكثر أهل زماننا من المنتسبين إلى الزعامة والفكر من غير فقه ولا علم ! لا يحدثون بدعا في العبادات بل هم مقصرون فيها ولكنهم يحدثون بدعا في الآراء والطرق والأفكار، مما هو أخطر من بدع العبادات لأنها سبب انحراف الطوائف والأمم وضلالهم.

حكم الابتداع في الآراء :

واعلم – يا ساعيا إلى السنة – أن الرأي لم يسم رأيا إلا صورا عما رآه المرء بفكره من غير دليل شرعي ولا حجة بينة صحيحة.

وأما ما يصدر عن الشرع فيسمى تشريعا وحكما ، أو سنة وهدى.

والرأي المذموم :

ما كان مخالفا لشرع الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ وهدي صحبه وما كان محدثا في الدين ليس عليه دليل بين ولا مضت به سنة صحيحة وبدهي أن يكون له تزيين وتحسين وتكحيل !

وتعد الآراء المحدثة في الدين من أخطر أنواع البدع لما يترتب عليها من فساد في العقيدة وتعطيل للسنن واختلاف في الأمة.

ولو أن (الآرائيين) لم يعملوا فكرهم في نصوص الصفات لما كان هذا الاختلاف الذي طار شره إلى يومنا هذا.

ولو أنهم لم يعملوا عقولهم في العقيدة والغيب لما كان هذا الخلاف الذي نخر في جسد هذه الأمة.

فانتشر الفكر الجبري ، وتفشى الرأي الإرجائي ، وحكم العقل الاعتزالي ، وطغى العنف والتطرف الخارجي ، فأفسد على المسلمين دينهم ، وفرق عليهم شملهم.

ومن هنا يعلم العاقل أمرين :
- من الذي كان سببا في تفريق المسلمين...
- ومن الذي يسعى لوحدة المسلمين...
الذين يقولون : نحترم هذه الأفكار ونقدرها ! ونسويها بما كان عليه الصحابة.
أم الذين يقولون : نرجع إلى ما كان عليه الصحابة ونبطل كل ما حدث بعدهم مخالفا للنصوص الشرعية مما كان سببا في تفريق الأمة ؟!
وإذا زال سبب التفرق الذي هو الابتداع زال التفرق وتوحدت الأمة...
{ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ } [هود : ٧٨]

الابتداع مرض معدٍ :

وفضلا عن هذا الذي يحدثه الابتداع في الرأي من تفرق وإفساد وضلال واختلاف فهو مرض معدٍ خطير ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج وذلك كما روى البخاري فقال:
حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ أَوْ أَبِي نُعْمٍ شَكَّ قَبِيصَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قال: بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ، وحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قال: " بَعَثَ عَلِيٌّ وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، فَتَغَضَّبَتْ قُرَيْشٌ، وَالْأَنْصَارُ، فَقَالُوا : يُعْطِيهِ صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قال: إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اتَّقِ اللَّهَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ : فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي، فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ؟ قَتْلَهُ أُرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وَلَّى، قال: النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ.
أي الخوارج لأنهم أول من أحدث في الإسلام الآراء وابتدع الأفكار.

وأمر النبي ﷺ هذا ؛ حتى لا تنتقل عدواهم ولا يستطير شرهم ولكي ينقطع نسل فكرهم تماما كما يؤمر باجتثاث الأمراض المعدية من أصلها بل إن مرض الرأي أعظم من مرض البدن لأن معظم البدع إنما كانت من الآراء ومعظم الطوائف الضالة إنما وجدت بسبب بدعة الرأي.

فالخوارج إنما كان أول ابتداعهم في الآراء لا في العبادات ، والقدرية والمعتزلة إنما كان أول ابتداعهم في الأفكار لا في العبادات.

ولذلك قال: ﷺ فيهم فيما رواه الطبراني في الأوسط وهذا لفظه

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرْغَانِيُّ، قال: نا هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرْوِيُّ، قال: نا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ " [الطبراني في الأوسط ٤٢٠٥]

[القدرية هم الذين أحدثوا الآراء والبدع في مسألة القدر مخالفين بذلك أهل السنة والجماعة وهم شعب وطوائف من شرهم من قال: لا قدر أو أن العبد مجبر على كل عمل فهو في عبادته كمعصيته والعياذ بالله.

والحديث أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٩١) ومن طريقة الحاكم من طريق عبدالعزيز ابن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر به ، وفي سماع أبي حازم من ابن عمر خلاف لكن أخرجه الطبراني في (الأوسط) (رقم ٢٤٩٤) من طريق زكريا بن منظور حدثنا أبو حازم عن نافع عن ابن عمر فأدخل بين أبي حازم وابن عمر نافعا فزال بذلك إشكال الانقطاع غير أننا وقعنا في إشكال ضعف زكريا.

وأخرجه أحمد من طريقين عن عمر بن عبدالله عن عبدالله بن عمر به وعمر هذا مولى غفرة ضعيف.

وللحديث شاهد : أخرجه ابن ماجه (رقم ٩٢) والآجري في الشريعة (ص ١٩.) وابن أبي عاصم في (السنة) (رقم ٣٢٨) من طريق محمد بن المصفى ثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: رسول الله ﷺ : (إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم).

وهذا سند ضعيف فيه ثلاثة مدلسين : بقية وابن جريج وأبو الزبير وأولهم شرهم.

وله شاهد آخر من حديث أنس أخرجه الطبراني في (الأوسط) – كما في مجمع الزوائد (٢.٥/٧) – وقال: (رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى وهو ثقة).

وبهذا يكون الحديث حسنا لغيره في أقل أحواله وقد صححه غير واحد من الحفاظ].

وقد قال: النبي ﷺ فيهم ذلك لأنهم أصحاب أفكار وآراء لم يسبقوا إليها.

قال: ابن عباس فيما رواه الدارمي فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: مَنْ أَحْدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَدْرِ عَلَى مَا هُوَ مِنْهُ إِذَا لَقِيَ اللَّهَ عز وجل " [الدارمي ١٥٨].

ففي قوله : (من أحدث رأيا...) دلالة عظيمة على ما نحن بصدده من حرمة ابتداع الآراء.

وسيأتي بعض النصوص عن السلف في ذم البدع والابتداع وأهله والله الحافظ من كل بدعة ورأي مذموم.

حكم الابتداع في الطرق :

المقصود ب{ الطرق } : كل طريقة يسلكها العابد للوصول إلى غايته كطرق الدعوة وطرق الوصول للحكم وطرق التغيير وطرق الحكم نفسه ومنها :

الهجرة والبيعة والاختيار { والاختيار هو : الطريقة التي سلكها سلفنا الصالح في تعيين الخليفة وهي أن يختار أهل الحل والعقد رجلا للخلافة ثم يتتابع الناس على ذلك الاختيار ثم يتفقون عليه ويبايعونه وهي عكس طريقة الانتخاب التي أحدثها من نهينا عن اتباعهم وأمرنا بمخالفتهم } والجهاد والخلافة والشورى إنما هي من أسس المنهج الصحيح لتطبيق ديننا بفهم سلفنا الصالح.

واعلم رحمني الله وإياك أن كل طريقة في الدين من طرق غيرنا هي طريقة غير مشروعة فهي طريقة مبتدعة وهذا بين في قوله تعالى :

{ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف : ١٠٨].

ففيها دليل على وجوب التزام طريقة النبي ﷺ في كل شيء وما لم يكن من طريقته ﷺ فليس فيه بصيرة فهو عماية وضلالة.

وفي قوله تعالى: { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء : ١١٥].

تحذير شديد ووعيد أليم لمن اتبع غير طريق الرسول ﷺ والصحابة.

فالآية الأولى : إيجاب، والثانية : تحذير.

ويوضح هذا حديث الخط العظيم الذي رواه أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال:

الإمام أحمد:

حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قال: " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا "، قال: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ

قال: " هَـذِهِ السُّـبُلُ، وَلَـيْسَ مِنْهَـا سَـبِيلٌ إِلَّا عَلَيْـهِ شَـيْطَانٌ يَـدْعُو إِلَيْـهِ "، ثُـمَّ قَـرَأَ : وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ. [رواه أحمـد ٤٤٢٣ والنسـائي في الكبرى ١٠٦٦٥ وغيرهمـا والحـديث حسـن لذاتـه صحيح لغيره].

{ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ } ثم قال: { هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا } وخط عن يمينه وشماله ثم قـال: { وَلَـيْسَ مِنْهَـا سَـبِيلٌ إِلَّا عَلَيْـهِ شَـيْطَانٌ يَـدْعُو إِلَيْـهِ } ثـم قـرأ : { وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ }

قال: ابن عباس : { السُّبُلَ } : الضلالات.

وقال: في تفسير قوله تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ{١٠٦} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{١٠٧} تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ{١٠٨} [آل عمران : ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨]. { تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة }

وذلك كما نقل ابن أبي حاتم في تفسيره فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْمَرْوَزِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ قُدَامَةَ، عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ قال: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ " [تفسير ابن أبي حاتم ٤٠٠٤ معالم التنزيل تفسير البغوي ٢٥٩]

وسئل ابن مسعود عن { الصراط المستقيم } فقال: كما نقل ابن وضاح في البدع والنهي عنها فقال:

حدثنا أسد، قال: نا إسماعيل بن عياش، عن أبان بن أبي عياش، عن مسلم بن أبي عمران الأشعري : أن عبد الله بن مسعود وهو قائم يقص على أصحابه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وعليها رجال يدعون من مر بهم، هلم لك، هلم لك، فمن أخذ منهم في تلك الطرق انتهت به إلى النار، ومن استقام على الطريق الأعظم انتهى به إلي الجنة، ثم تلا ابن مسعود هذه الآية : وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. [البدع لابن وضاح: ٧٦].

ووضح مجاهد هذا أوضح توضيح فقال: { السبل : البدع والشبهات } [ابن جرير (٢/ ٢٢٩)].

وفسر بعض المفسرين : { السبل } بطرق اليهود والنصارى وغيرهم. [تفسير ابن جرير (١٢٢٢٨) وغيره)].

والصواب أن لفظة { السبل } أعم من حصرها في بدعة أو طريق بل هي عامة في كل سبيل غير سبيل الإسلام والسنة من سبل اليهود والنصارى والعلمانيين والشعبيين والآرائيين والمبتدعين وغير ذلك من طرق من فارق طريق الإسلام وطريق أصحاب رسول الأنام عليه وعليهم الصلاة والسلام وكذلك تعم كل من خالفهم وخالف من تبعهم سواء كانت تلك المخالفة برسم أو اسم أو برأي وحكم.

[والشعبيون هم : الذين ينادون بحكم الشعب للشعب وهو ما يسمى { بالديمقراطية } وليست هي من الإسلام في شيء رغم ما يحاوله { البعض } من إلباسها لبوس الإسلام].

ومما يؤكد عموم { السبل } وشمولها لكل طريق غير طريق رسول الله ﷺ وأصحابه قوله تعالى : { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران : ١٠٥].

وإذا لم تكن طرق الانتخابات والمجالس والأحزاب المعاصرة هي البدع في الطرق فلا وجود لبدعة في الطرق على وجه الأرض.

إما اتباع وإما ابتداع :

فكل من تفرق واختلف كان على غير طريق أصحاب النبي ﷺ.

يبين هذا بوضوح تام قوله ﷺ في المعجم الكبير للطبراني:

" قُصُّوا الشَّوَارِبَ، وَاعْفُوا اللِّحَى، وَلا تَمْشُوا فِي الأَسْوَاقِ إلا وَعَلَيْكُمُ الأُزُرُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَمِلَ بِسُنَّةِ غَيْرِنَا. [أخرجه الطبراني في (الكبير رقم ١١٣٣٥ والديلمي في (مسنده) (رقم ٥٣٠٩) وحسنه شيخنا في (صحيح الجامع)].

ولهذا نقول إن الله تعالى قال: مبينا هذا الأمر.

{ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ{١٠٦} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ{١٠٧} قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ{١٠٨} [الأنبياء : ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨].

فكل من عمل بسنة غير السلف في أمور الدين فليس على طريقهم بنص الحديث ومن لم يكن على طريقهم كان على (سبل الشيطان) أعاذنا الله منها.

قال: الإمام الشاطبي في تفسير قوله تعالى (ولا الضالين) :

(ولا يبعد أن يقال: إن (الضالين) يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم سواء كان من هذه الأمة أو لا فقوله تعالى: { وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام:١٥٣] عام في كل ضال كضلال الفرق المعدودة على الإسلام).

وقال: شيخ الإسلام في شرح حديث السبل :

(وإذا تأمل العاقل – الذي يرجو لقاء الله – هذا المثال الذي ضربه رسول الله ﷺ وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ثم الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم (من الطوائف المعاصرة) وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعي أن سبيله هو الصواب وجدت أنه المراد بهذا الحديث الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [مجموع الفتاوى (٥٧/٥ -٥٨)].

ثم سرد أمثلة عن العقلانيين الذين يقدمون عقولهم على النص أو الفلسفة وعلم الكلام ثم قال: ما خلاصته : إن الطوائف الإسلامية المنشقة عن الجماعة الأم هم المقصودون بالأحاديث وهم الموصوفون بالضلال وهم كلهم في النار.

ملاحظة وتنبيه:

قال: ابن تيمية: وهم كلهم في النار ولم يقل [وهم كلهم من أهل النار] حتى لا يتهم ابن تيمية بالتكفير ممن لهم أنصاف عقول.

خطورة الابتداع في الطرق :

ولا تقل خطورة البدع في الطرق عن خطورتها في الآراء والعبادات وذلك من جهة تبديل المشروع ومضاهاته.

قال: الشاطبي : { المبتدع معاند للشرع ومشاق له... فإنه يزعم أن ثم (هناك) طرقا أخر ليس ما حصره الشارع بمحصور... كأن الشارع يعلم ونحن نعلم } [الاعتصام (٤٩/١)].

قال: عمر بن عبد العزيز : { أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون... فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم } [المصدر السابق (٥٠/١)].

فهل رضي أهل زماننا بما رضي لهم الرسول ﷺ وبما رضي لهم سلفنا الصالح من سبل السلام ؟؟ حتى راحوا يحدون الآراء ويبتدعون الطرق !! مقلدين بذلك أعداء الله !!

وقول الشاطبي عن لسان حالهم : { كأن الشارع يعلم ونحن نعلم) إنما هو في زمانه وأما في زماننا فلسان حالهم يقول : (نحن أعلم من الشارع والصحابة والسلف وأفقه وأحكم وأصلح) ! وذلك بدعوى المصالح وتغير الوسائل والزمان.

وليعلم إخواننا – هدانا الله وإياهم – أن المسلم أو أي كائن كان لا يمكنه السير على طريقين ولا التحرك في اتجاهين ولا الأخذ من منهجين في آن واحد : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) [الأحزاب : ٤]

قال: سيد قطب رحمه الله (٨١٨/٥) في ظلال هذه الآية :

(إن الإنسان لا يمكن أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد وإلا نافق واضطربت خطاه فلا ينهج منهجين ولا يتجه اتجاهين ومن ثم فهو منهج واحد وطريق واحد واتجاه واحد...).

إذن من لم يكن على طريق الهدى كان على طريق الضلالة ولا ريب.

{ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس : ٣٢].

{ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص : ٥٠].

لا لكل ألوان الخلط في المفاهيم

قال: ابن القيم في تفسيره لهذه الآية : (فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما :

- إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به.
- وإما اتباع الهوى.

فكل ما لم يأت به الرسول ﷺ : (فهو من الهوى) [إعلام الموقعين (٤٧/١)].

ومن الاستجابة لله والرسول أن لا يخلط المسلم في الطرق فيأخذ العقيدة من الإسلام وطريقة الوصول إلى الحكم من أعدائهم ولو سماها وسائل فإنما هي : طرق !

وأما الوسائل : فهي التي تتعلق بالتراب والخشب والحديد والحيوان وهي التي تتبدل حسب الزمان والمكان كوسيلة المواصلات ومكبر الصوت وعمارة البيوت وغير ذلك.

والخلط بين الوسائل والطرق دفع كثيرا من الناس إلى هجر طرق النبي ﷺ كالبيعة والجهاد والهجرة وإحداث طرق أخرى ما أنزل الله بها من سلطان وهو القائل سبحانه : { وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام : ١٥٣].

أي : طريق واحد لا طريقان وصراط واحد متميز لا خلط فيه بسبل أخرى.

قال: سيد : { ولا يملك الإنسان أن يستمد آدابه من معين ويتخذ شرائعه وقوانينه من معين آخر ويستمد أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية من معين ثالث } [الظلال (٥/ ٢٨٢٣)].

ولا أن يستمد طرق الوصول إلى الحكم والتغيير من نظام رابع.. فالسبل إذن هي كل طريق ومنهاج غير طريقة رسول الله ﷺ وصحبه من سبل الفرق الضالة من هذه الأمة أو من غيرها من سبل الأمم الكافرة.

ومن نافلة القول أن يقال: إذا كان الصحابة والسلف هم { السبيل } فمن اختلف عنهم وتفرق كانوا هم { السبل } { سبل الشيطان } كما فسر ذلك رسول الله ﷺ كما سبق.

وإذا أدركت هذا كان لك مفيدا في أمور :

الأول :

أن السبيل القويم والصراط المستقيم هو : سبيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

ودليل ذلك قول الله تعالى { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة ١٠٠]

الثاني :

الحذر كل الحذر من سلوك غير سبيلهم... فتكون في { السبل } سبل الشيطان فتكون من الهالكين وأنت تظن أنك تحسن صنعا.

ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ ومَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء]

الثالث :

عند الدعوة إلى الوحدة الإسلامية... هل على أصحاب السبيل أن يتركوا سبيلهم إلى { السبل } ليتحدوا مع أصحابها أم على أصحاب السبل ترك سبلهم إلى السبيل ؟!

فتأمل...

والإجابة واضحة جلية تمام الوضوح والجلاء أن أصحاب السبل هم الذين يتركون سبلهم ويرجعون إلى السبيل الواحد بل الأوحد الذي سلكه محمد ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

ودليل ذلك قول الله تعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف : ١٠٨].

وقوله تعالى في وصية لقمان لابنه { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان: ١٥]

وقوله تعالى في حق من أسرفوا على أنفسهم { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ{٥٤} وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ{٥٥} [الزمر: ٥٤،٥٥]

الرابع :

ترتب على هذا : وجوب التفريق بين أصحاب السبيل وأصحاب السبل. وانتبه إلى هذه الأدلة وتدبرها جيدا حتى تعي حق الإسلام الذي تدين به لله.

ودليل ذلك قول الله تعالى

قوله {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الملك:٢٢]

وقوله {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الزمر:٢٢]

وقوله {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد:١٩]

وقوله { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ } [السجدة:١٨]

وقوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا } [فصلت:٤٦]

وقوله [وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } [غافر:٤٠]

بينات ربك سلاحك ضد كل عدو

قوله {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ }[محمد:١٤]

وقوله {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد:٢٥]

وقوله {فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } [غافر:٨٣]

وقوله {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحديد:٩]

تزيين الشيطان الأعمال لمخالفة منهج الله ورسوله

قوله {أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } [فاطر:٨]

وقوله {تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النحل:٦٣]

وقوله {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل:٢٤]

الاختبار دائما بالرسل وكلام الرسل

قوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [غافر:٢٢]

وقوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [التغابن: ٦]

وقوله {قَالوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالوا بَلَى قَالوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: ٥٠]

وقوله {وَقَال: لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [الزمر: ٧١]

أمتنا أمة واحدة والتفرق صفة من صفات المشركين

قوله {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: ١٢٨]

وقوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} [البقرة: ١٤٣]

وقوله {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين } [البقرة: ٢١٣]

وقوله {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[النحل: ٩٣]

وقوله {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [يونس: ١٩]

وقوله {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود: ١١٩]

وقوله {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٩٢]

وقوله {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [المؤمنون: ٥٢]

وقوله {وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [الشورى: ٨]

النهي الصريح عن التفرق إلى أحزاب وشيع وجماعات

قوله {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران:١٠٣]

وقوله {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران:١٠٥]

وقوله {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } [الأنعام:١٥٩]

وقوله { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم:٣٢]

لا هداية إلا بالوحي لأن الله كفانا به

قوله { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر:٣٦]

وقوله {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف:٤٤]

وقوله {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } [سبأ:٥٠]

وقوله {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [سبأ:٦]

مخالفة منهج رسول الله ﷺ في الأمر والنهي لا تجوز

قوله {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [النور:٥١]

وقوله {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [الشورى:١٠]

وقوله {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [الأحزاب:٣٦]

وقوله {لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور:٦٣]

وقوله {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئاً } [الجاثية: ١٩]

وقوله {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [الجاثية:٢٣]

من لم يستجب للمنهج فليراجع نفسه وليصلح عقيدته

قوله {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران:٣١]

وقوله {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء:١١٥]

وقوله {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[القصص:٥٠]

وقوله { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } [العنكبوت:٢]

وقوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت:١٠]

الخامس :

أن دعاة التحرر الإسلامي دعاة التغيير عن طريق مشابهة أعداء الإسلام في الحكم وطرق الحكم وسبيل الوصول إلى الحكم ليسوا من أهل سبيل الحق في هذا.

ولا تحملنك العاطفة وحال المسلمين وظلم الطواغيت وجهاد المجاهدين على عدم التمييز بين أصحاب السبيل وأصحاب { السبل } فتكون من الحيارى أو الزبد !! والله المستعان وإليه المعاد.

ودليل ذلك قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة:٨]

موقف الصحابة والسلف من الابتداع في الطرق :

ولقد بلغ حرص الصحابة رضوان الله علىهم على الاتباع وتحذيرهم من الابتداع وخوفهم منه مبلغا عظيما :

قال: الزهري فيما رواه البخاري قال:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ وَاصِلٍ أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّادُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ أَخِي عَبْدِ الْعَزِيزِ، قال: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ : " دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ؟، فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ " [رواه البخاري (٥٢٩)].

وإذا كان الصحابي يبكي وهو في زمن القرن الأول فكيف لو رأى أهل زماننا ؟؟ وهم يبدلون ويغيرون في دين الله وما يخترعون من طرق !! وما يبتدعون من أفكار...

ويرد علينا من يقول أنتم تهتمون بالقشور ولا تفقهون الواقع ويرد علينا غيرهم أنتم تهتمون بالعلم ونحن نعمل والعمل هو الذي منه الفائدة ويرد طرف ثالث ويقول ما سلب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

وهنا نقول ماذا تقولون عن أنس بن مالك وقد قال: ما قال:

(لا بد أنه يهتم بقشور... لأن في عهده كان عز الإسلام وفي عهده كان فتوح الإسلام ثم يبكي على القشور... لا مرية أن أنس متآمر...) !!! فهل من عاقل يعقل؟

وهاك صحابي آخر وآخر وآخرون مثل أخيهم أنس (يبحثون عن القشور...) !!!

[حسبنا الله على الذين يتهمون الصحابة بلسان حالهم. وحسبنا الله على الذين لا يفهمون أساليب اللغة العربية فيتهمون عباد الله بما ليس فيهم غباوة أو حقدا ناسين أو متناسين أسلوب القرآن الكريم بمثل هذا. (إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي هي في الصدور)].

وقد روى مسلم في صحيحه فقال:

وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ، قال: رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقَال: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ ﷺ اللَّهِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ ". [أخرجه مسلم (٥٩٥/٢)].

فانظر - هدانا الله وإياك سبيل هؤلاء - كيف أنكر هذا الصحابي - وهو من أصغر الصحابة سنا - على أمير أحدث طريقة جديدة في رفع اليدين على المنبر.

(لا شك أن هذا الصحابي (بدوي التفكير) (محدود العقل) حيث جعل من الحبة قبة... تحريك إصبع بسيط جعله يقول ما يقول... ويترك الروم والفرس والطواغيت وينشغل بهذه القشور... (لا ريب أنه عميل بحسب فكركم وآرائكم)... ؟!) !!!

وإن شئت فتدبر معي هذين الأثرين العظيمين عن ابن مسعود رضي الله عنه :

(عن عبدة بن أبي لبابة أن رجلا كان يجمع الناس فيقول :

رحم الله من قال: كذا وكذا مرة سبحان الله قال: فيقول القوم فيقول : رحم الله من قال:.... فمر بهم عبدالله بن مسعود فقال: لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم أو أنكم لمتمسكون بذنب ضلالة) [ابن وضاح (١٢)].

ثم أمر بالمسجد الذي كانوا فيه فهدم [ابن وضاح (٨)].

وفي رواية طويلة قالوا والله ما أردنا إلا الخير... فقال: رضي الله عنه :

(وكم من مريد للخير لن يصيبه) وذلك كما في رواية الدارمي

أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟، قُلْنَا : لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ: لَهُ أَبُو مُوسَى : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟، فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًا، فَيَقُولُ : كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ : هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ : سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟، قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟، قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: " فَعُدُّوا

سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ ". قالوا : وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قال: " وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ". ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقال: عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ

[الدارمي (٦٨/١) بسند صحيح وابن وضاح (ص ٨ وبعدها)].

و(مر ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه ثم مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله ثم قال:

(لقد سبقتم... ركبتم بدعة ظلما ولقد غلبتم أصحاب محمد ﷺ علما) [ابن وضاح في (البدع والنهي عنها) (ص ١٢)].

فهؤلاء الصحابة الذين تربوا على منهج واحد وتخرجوا من مدرسة واحدة (يهتمون بالقشور) ؟!؟ وما لنا بد من اتباعهم والتأسي بهم.

وهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ما يفعلون ويقولون ما يقولون في تحريك يد أو تسبيح بالحصى أو اجتماع على هيئة لم يروها من معلمهم ومربيهم ﷺ

فكيف لو رأوا أهل زماننا وهم يحدثون الطرق والسبل والمناهج كالانتخابات والمظاهرات والانقلابات والمداهنات والمشاركات والتصويتات على شريعة الجبار – جل شأنه – في المجالس !

حتى صارت عندهم الأناشيد والتمثيل طريقة تربوية والانتخابات والمشاركات في المجالس طريقة وصولية والانقلابات والاغتيالات طريقة تغييرية والتفجيرات والمظاهرات طريقة تعبيرية والكذب والافتراء على الأبرياء طريقة دفاعية عن أحزابهم وزعمائهم.

وسار التابعون ومن سلك سبيلهم على هذا المنهج القويم في محاربة الابتداع أيا كانت صورته وأيا كان مقصده :

وذكر مواقفهم يطول ويطول وحسب المتبع العاقل الراشد... الموقف والموقفان من إمام أو إمامين.

[مجرد الإنشاد الذي لا يتخذ دينا ولا ديدنا لا يحرم والتمثيل : نوعان ولكل نوع حكم وليس هاهنا محل تفصيل].

(ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك [التثويب : الدعوة للصلاة بغير الأذان] فقال: له : ما هذا الذي تفعل قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال: لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئا لم يكن فيه وقد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا فكف المؤذن.

ثم إنه تنحنح في المنارة.

فقال: له مالك : ما هذا الذي تفعل.

قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال: ألم أنهك ألا تحدث عندنا ما لم يكن.

فقال: إنما نهيتني عن التثويب.

ثم جعل يضرب الأبواب – ثم قال: له ما قال: في المرة الأولى... وأجاب بما أجاب في المرة الأولى).

فانظر يا أخا الاتباع يا من يريد الرشد إلى هذا الإمام العظيم وقد جعل النحنحة وهي صوت يخرجه الإنسان من حنجرته بلا حروف جعلها بدعة وزجر فاعلها.. أم يقال: إن الإمام مالك { متنطع } { سطحي التفكير } { بدوي الفكر } { متطرف }.

وإذا كان هذا قوله في { النحنحة }.

فكيف لو رأى أهل زماننا وبدعهم وكيف لو سمعهم وهم يتنحنحون استهزاءا بالسنن وأصحابها ويستهزءون بالاتباع ودعاته فما عساه يقول أو يفعل فإلى الله المشتكى وإليه عاقبة الأمور.

وأخيرا إليك هذه النصيحة من رجل تربى على يد إمام السبيل ﷺ واتبعه على بصيرة مصداقا لقوله تعالى :

{ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف :١٠٨].

وها هو الصحابي الجليل أبي بن كعب الذي لا ينتمي إلا إلى الجماعة الأم قال: رضي الله عنه فيما نقله أبو نعيم في حلية الأولياء قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عز وجل فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عز وجل فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ

الرَّحْمَنَ، فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عز وجل إلا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّتْ عَنْهَا وَرَقُهَا، وَإِلا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلافِ سَبِيلِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ، فَانْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، فَإِنْ كَانَتِ اجْتِهَادًا أَوِ اقْتِصَادًا أَنْ تَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ الأَنْبِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ " [حلية الأولياء: ٨٧٠]

[اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد، ابن الجوزي (تلبيس إبليس)، وذكره الشاطبي في (الاعتصام)، والبغوي في (شرح السنة)].

ولا شك أن هذا الصحابي الجليل ليس بينه وبين بعض الجماعات المعاصرة حساسية ! أو معاداة شخصية ! حملته على أن يقول هذا الذي كأنه صادر من مشكاة النبوة.. فلعل إخواننا إن كان عندهم شك في علم من ينصحونهم ونياتهم إلا يكون عندهم شك في علم هذا الصحابي ونيته وصدق نصيحته !

ومن عرف هذا عرف كيف تتفرق الجماعات عن الجماعة الأم بالآراء المحدثة وتختلف الطوائف بالطرق المبتدعة وتتبعثر الفرق بالأفكار المخترعة وتبقى الجماعة الأم سائرة على درب نبيها متبعة سبيل سلفها لا يضرها قلتها عددا ولا من خالفها عقيدة أو منهجا ولا عداء الناس لها وافتراؤهم عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك كما قال: النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه فقال: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قالوا : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قال: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "، قال: " فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ : لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ. [مسلم:١٥٩]

[وانظر (السلسلة الصحيحة) (٢٧٠ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٦٠)].

وهنا نبين أن القشور غالبا مانراها دليل على اللب وإن كان هذا لايصدق في كل الأحيان إلا أننا لو رأينا فاكهة أو شيئا مما تنبت الأرض ورأينا قشرته فيها أي ثقب غلب على ظننا أن اللب ليس سالما وكان دليل شكنا وظننا الثقب الذي في القشرة وربما يكون اللب فيه الخير ولكن يحتاج إلى من يحركه ويعلمه.

وفي المقابل ربما يكون الشكل سنيا إسلاميا ولكنه ليس على المنهج الحق والصواب ويحمل أفكارا هدامة كالمتشيعة والمتصوفة وأصحاب التقريب والتنوير........إلى آخره (فتنبه)

ما هي أسباب الابتداع، وما هو سره ؟

يكون الابتداع : بنية زيادة التقرب إلى الله بالاستحسان وتزيين الرأي أو بتأويل وفلسفة أو بدعوى المصلحة أو الظروف أو غير ذلك مما فيه تعطيل للنصوص ورد للأدلة.

ويتم هذا بغفلة عن العلم وإعراض عن الاتباع الشرعي واللجوء لاتباع للأهواء :

ويمكن أن تكون عناصر الابتداع ثلاثة :

١- رغبة في زيادة التعبد والتقرب إلى الله.

٢- بضاعة مزجاة في العلم جهلا بحقيقة الدين وبمعنى الاتباع الذي هو أسه وميزانه. أوغفلة عن معنى الابتداع وخطورته.

٣- فقدان للتأصيل في حقيقة الدليل... الأمر الذي يدفع إلى :

- عدم التفريق بين الدليل والتزيين.
- الاستحسان والتقبيح بالعقل والهوى والتأويل للبدعة.
- تعطيل الدليل ورد الأدلة.

وعوامله ثلاثة :

*حسن نية على غفلة *. (وهذا الصنف يحتاج إلى العلم والبيان وإقامة الحجة)

تزيين وتمويه. (وهذا الصنف صاحب أغراض خبيثة تقام عليه الحجة ويحذر منه)

*هوى متبع *. (وهذا الصنف صاحب بدعة تبين له السنة ويحذر منه لأنه يعادي السنة وأهلها ويتمنى لهم السوء)

وهكذا حال كل مبتدع إلا مبتدعا أراد هدم الإسلام وليس ها هنا محل بحث هذا الصنف

قال: الشاطبي : (إن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح فهو عمدتهم الأولى وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع... بحيث لا يتهمون العقل وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر حتى يردوا كثيرا من الأدلة الشرعية... فأنت ترى أنهم قدموا أهواءهم على الشرع).

ثم قال: (إن كل راسخ في العلم لا يبتدع أبدا وإنما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه حسبما دل عليه الحديث...

(فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء) [الاعتصام (١٤٤/١ – ١٤٥)].

وقال: رحمه الله :

(فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقال:ه : إن الشريعة لم تتم ! وإنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ! لأنه لو كان معتقدا كمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم). [الاعتصام (٤٩/١)].

فتأمل قوله من كل وجه.. من وجه العبادة ، من وجه الطرق.. من وجه الآراء... من وجه الأفكار...

وكل مبتدع في أي وجه من الوجوه يرى بدعته حسنة !

وهكذا يكون الابتداع بالاستحسان.

وإذا اجتمعت عناصر الابتداع – من جهل بالدين وغفلة عن معنى الاتباع وخطورة في الابتداع – مع عوامله – من حسن نية وتزيين – أصبح صاحبها في كل واد يهيم.. وفي كل اتجاه يتجه. كلما حلت له فكرة طار بها وكلما زين له رأي لهث وراءه دون بصيرة تنير ولا اتباع يضبط وهو يظن أنه يحسن صنعا.

قال: الشاطبي رحمه الله تعالى :

(فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة السنة توهم أن ما ظهر بعقله هو الطريق القويم دون غيره.. فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة). [الاعتصام (١٤٥/١)].

وإذا جهل المرء دينه وحسنت نيته أفسد دينه ببدع العبادات وإذا فسد قصده حاول هدم الدين بالأفكار والآراء.

والله الهادي إلى سواء الصراط.

كيف أتجنب البدع وأكون متبعا

إن من أراد أن يكون متبعا مجتنبا للبدع لابد أن يعلم أن لهذا الأمر أصلان إذا حفظهما وعمل بهما حفظه الله من شر الابتداع :

الأصل الأول :

قوله تعالى: {وَقالوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**} [البقرة : ١١١].

ولهذا : لما ثوب المؤذن في مسجد فيه ابن عمر... خرج ابن عمر من المسجد [التثويب : النداء للصلاة بغير الأذان مع القيام به].

أي : أتى بكلمة لم يسبق إليها فكان عاقبته الهجر.

ولهذا قال: الإمام أحمد - رحمه الله - :

(إياك أن تقول كلمة ليس لك فيها إمام) [رواه ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد) (٢٣١) و (تهذيب أجوبة الإمام أحمد)].

وقال: سيد قطب - رحمه الله - :

(لا يملك أي مسلم أن يقول كلمة أو يتحرك حركة أو ينوي نية أو يتصور تصورا غير محكوم في هذا كله بعقيدته) [الظلال (٥/ ٢٨٢٣)].

الأصل الثاني :

قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...) [المائدة : ٣].

وقد سبق قول الإمام مالك - رحمه الله - تفسيرا لهذه الآية :

(وما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا) [الاعتصام (٤٩/١)].

فالله: بين، والرسول: وضح وبلغ، والسلف: فصل في الحكم وسلك سلوكا عمليا وطبق عقيدة ومعاملة وأخلاقا واقتصادا وسياسة واجتماعا فأصبح عندنا مبادئ عامة ندور حولها ولا نخرج عنها وهي دائرة الحلال والحرام فلم يعد لأحد في أصول الدين رأي ولا كلمة إلا العمل والاتباع تختلف الوسائل ولكن الأحكام ثابتة مع اعتبار القرائن.

ملاحظة وتنبيه:

كل هذا فيما يخص أمور الدين أما أمور الدنيا التي لا تعارض نصا شرعيا ثابتا فللناس أن يعملوا فيها الفكر واتخاذ ما شاءوا من السبل لتحصيل أكبر المنافع بالشرط المذكور آنفا [لا تعارض نصا شرعيا ثابتا]

وعلى هذا فحذار أن تتكلم كلمة أو تعتقد عقيدة أو تتعبد عبادة أو تخترع طريقة أو تسلك سبيلا أو تتصرف تصرفا إلا وعليه نور وشاهد من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وفعل سلف هذه الأمة كي تحفظ لطريقك استقامته ولنفسك سلامتها وإن الله لن يسألك : لِمَ لَمْ تبتدع ؟ ولكنه سيسألك لِمَ لَمْ تتبع ؟

وهذا هو معنى قول السلف : (اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في بدعة).

وإياك والاستحسان والتزيين والمصلحة المخالفة للنص وتقليد الرجال وإن وثقت بهم فهذه من أوسع أبوب البدع وبها ضلت الطوائف والأمم.

ولقد مرض الإمام أحمد وبشر بن الحارث فجاء الطبيب فدخل على بشر فسأله عما يجد فقال: (أحمد الله إليك أجد كذا وكذا).

ودخل على أحمد فسأله عما يجد فقال: (بخير).

فقال: الطبيب للإمام : (إن أخاك بشر إذا سألته بدأ بالحمد وأنت لا تفعل).

فقال: أحمد للطبيب : (سله عمن أخذ هذا ؟) فأخبره بالسند عن ابن سيرين أنه قال: (إذا حمد العبد بعد الشكوى لم تكن شكوى) فكان أحمد بعد ذلك يحمد الله ثم يذكر ما يجد. [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي].

فانظر كيف كان هؤلاء الأخيار حريصين على الاتباع مشفقين من الابتداع وخذ منهم عبرة وقدوة وإياك وأصحاب المصالح الذين لا يعرفون اتباعا ولا يغادرون ابتداعا !

واعلم أن الأفعال والأعمال محاسب فيها على أمرين ؛ إن استقاما استقمت ونجوت وإن فاتك أحدهما هلكت.

١- إخلاصك لله وحده... قال: تعالى { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ } [الزمر:٢] وقال: تعالى { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ } [الزمر:١١] وقوله تعالى { وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى{١٩} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى{٢٠} [الليل: ١٩، ٢٠]

٢- واتباعك شرعه بفهم السلف في كل قول أو فعل قال: تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢] لا كما هويت واشتهيت وأردت.

وأحذر أمرين :

الأول: جدالك في غير بينة واضحة كالجدال في المصالح والاحتجاج بالنتائج وما شابه ذلك من المزينات.

قال: تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ{٨} ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ{٩} ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ{١٠}} [الحج: ٨،٩،١٠]

وقوله تعالى {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥]

وقال: عمر كما نقل ابن بطة في الإبانة فقال:

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ، قال: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ زُغْبَةُ، قال: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الأَشَجِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قال: " سَيَأْتِي أُنَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ " [ابن بطة في الإبانة: ٦٧ والدارمي ١١٩ واللالكائي].

الثاني :

استفتاؤك واتباعك من ليس عنده علم شرعي.

وذلك كما قال: ﷺ فيما رواه البخاري فقال:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " [البخاري ١٠٠ ومسلم ٢٦٧٤ وغيرهما].

وها هنا لفتتان مهمتان :

اللفتة الأولى :

إن كثيرا من الشباب رغم أن لديهم القناعة التامة أن بعض قادتهم ليس لديه علم شرعي بل ولم يطلبه تجدهم يتبعونه في أمور مهمة وقضايا عظيمة تخص الأمة ويترتب عليها دماء وأعراض وإذا ما احتاج إلى مسألة في الصلاة أو الحج... سارع إلى بعض العلماء ليسأله !! لماذا ؟؟ علما بأن تلك القضايا العظيمة بحاجة إلى سعة في العلم واطلاع على السيرة وفقه أكثر من مسائل الحج والصلاة.

اللفتة الثانية :

إن كثيرا من الشباب يفتون أنفسهم أو يستفتون أمثالهم من أحداث الأسنان وهم لا يشعرون ويستشهدون على فتواهم بقول عالم في عين رجل أو حادثة مفردة فيطلقونها في عباد الله ويعممونها على من يريدون غافلين عن عموم الكتاب والسنة وأن لا حجة إلا بهما وبما أجمع عليه أهل العلم.

ومن أمثلة ذلك :

مسألة التكفير والتبديع والهجر والمواجهة وما أحدثه بعضهم من بدعة منع الترحم على جميع أصحاب البدع وغيرهم من أهل القبلة على تنوع درجاتهم !! مخالفين بذلك صريح الكتاب وصحيح السنة بجواز الترحم على كل مسلم سواء كان مبتدعا أو فاسقا مخطئا أو ضالا.

مثل قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات : ١٠].

وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر : ١٠].

فهذا ثناء من الله لمن يترحم على جميع المؤمنين... ، ولا نشك أن في المؤمنين عصاة ومبتدعة وغير ذلك.

ولهؤلاء يقال: هل أولئك المبتدعة سبقونا بالإيمان أو بالكفر فإن قال: بالكفر... فقد كفر المبتدع وهذا لا يقوله إلا مبتدع ضال...

وإن قال: إنهم سبقونا بالإيمان لزمه ما مدح الله به عباده من الاستغفار لهم.

ومثل قوله ﷺ فيما رواه أحمد فقال:

حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا الْمَسْعُودِيُّ وهَاشِمٌ يعني ابن القاسم، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ أَبِي مُوسَى، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ، إِنَّمَا عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا : الْقَتْلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالزَّلَازِلُ ". قال: أَبُو النَّضْرِ: " بِالزَّلَازِلِ، وَالْقَتْلِ، وَالْفِتَنِ " [أحمد: ١٩١٧٨ حديث صحيح وأخرجه أبو داود (٤٢٧٨) والحاكم وغيرهم من طرق وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ وصححه شيخنا في (الصحيحة) رقم (٩٥٩)].

حصون النجاة من أهل البدع

واعلم – رحمني الله وإياك – أنك لا تنجو من أهل البدع إلا بالتحصن منهم

ومن الحصون :

الحصن الأول :

العلم النافع المأخوذ من الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة.

قال: تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٨]

وقال: سبحانه: { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص : ٥٠].

والهدى: هو العلم والاتباع.

وقال: تعالى: { وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [التوبة : ١١٥].

وبالعلم وحده نعلم ما بين الله لنا حتى نتقيه.

وقال: سبحانه : { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ } [الشورى : ١٤]

وقال: ابن مسعود فيما رواه الدارمي وغيره فقال:

أَخْبَرَنَا قَبِيصَةُ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: " اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ. [الدارمي ٢٥٠].

وقال: الإمام الشاطبي :

(إن كل راسخ في العلم لا يبتدع أبدا وإنما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم) [الاعتصام].

فهل هؤلاء الذين سبق ذكر صفاتهم متمكنون من العلم... ؟!؟

الحصن الثاني :

الابتعاد عنهم ومفارقتهم.

قال: تعالى: { فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }) [الأنعام : ٦٨].

وقال: الفضيل بن عياض : (من جلس إلى صاحب بدعة – وفي رواية : من أحب صاحب بدعة – أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه) [اللالكائي (١٣٨/١) و (تلبيس إبليس) (١٤)].

وقال: أيضا: (إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ طريقا آخر... ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) [تلبيس إبليس (١٤)].

وقال: الحسن البصري : (لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه فتهلك) [الاعتصام (٨٣/١)].

الحصن الثالث :

ملازمة أهل الكتاب والسنة أتباع السلف الصالح.

قال: تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة : ١١٩].

والصادقون هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم لا من خالفهم أو عابهم أو خذلهم.

وقال: ﷺ فيما روى البخاري فقال:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قال: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قال: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قالوا : يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قال: فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي؟ قال: فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قال: فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قال: يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قال: يَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قال: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قال: يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ : لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قال: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قال: يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ، قال: يَقُولُ : وَهَلْ

رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ : لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قال: فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قال: يَقُولُ : مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قال: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ. [البخاري (رقم ٦٤٠٨) ، ومسلم : ٢٦٩١].

قال: ابن أسباط :

(كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان) [رواه ابن الجعد في (مسنده) (١٨٧٩)]

وقال: أيوب: (إن من سعادة الحدث (أي الشاب والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة) [اللالكائي (٦٠/١) وابن الجوزي في (تلبيس إبليس) (١٤)].

وقال: غيره من السلف :

(إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها) [اللالكائي (٦٠/١) وابن الجوزي في (تلبيس إبليس) (١٤)].

قلت : (ومن نقمة الله على الحدث أن يبحث عن حدث مثله يستفتيه ويسأله وسر ذكر الحدث دون غيره هو عدم تمكنه من أبوب العلم وعدم قدرته على الإمساك بمفاتيحها فأي آت أتاه اتبعه فإن خيرا فخير وإن شرا فشر. نسأل الله السلامة والعافية.

وقد قال: عبدالله بن المبارك أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء فمن هذه الأربعة أهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى : القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا - أصحاب رسول الله ﷺ - ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب.

وقال: الفضيل بن عياض كما في طبقات الحنابلة

واعلم أن جور السلطان، لا ينقص فريضة من فرائض اللَّه الَّتِي افترضها عَلَى لسان نبيه ﷺ جوره عَلَى نفسه، وتطوعك، وبرك معه تام إن شاء اللَّه تعالى، يعني : الجماعة، والجمعة، والجهاد

معهم.وكل شيء من الطاعات، فشاركهم فِيهِ.وَإِذَا رأيت الرجل يدعو عَلَى السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وَإِذَا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء اللَّه.يقول فضيل بْن عياض : لَوْ كَانَ لي دعوة ما جعلتها إلا فِي السلطان.فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح.ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا، وظلموا.لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وعلى المسلمين، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

علامات أهل البدع:

هل لأهل البدع علامات يعرفون بها ؟

نعم؛ لهم علامات قد تجتمع فيهم وقد تفترق:

العلامة الأولى: الوقعية في أهل الأثر أتباع السلف.

قال: أبو حاتم الرازي :

{ علامة أهل البدع الوقعية في أهل الأثر وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة...وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية }.

واعلم أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني العباس تكلمت الرويبضة في أمر العامة وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ وأخذوا بالقياس والرأي وكفروا من خالفهم فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا علم له حتى كفروا من حيث لا يعلمون فهلكت الأمة من وجوه وكفرت من وجوه (وتزندقت من وجوه وضلت من وجوه) وابتدعت من وجوه إلا من ثبت على قول رسول الله ﷺ (وأمره ونهيه) وأصحابه (ولم يتخطى أحدا منهم) ولم يجاوز منهم أحدا ووسعه ما وسعهم ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم (وعلم) أنهم (كانوا) على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح فقلدهم في دينهم واستراح.

هذا في زمانهم وأما في زماننا فعلامتهم :

اتهام أهل السنة بالتشدد والتنطع بل والتخلف أحيانا وعلامة المجددين المتنورين: اتهامهم بالجمود وعدم العلم بشيء إلا بمسائل الحيض والنفاس وعلامة الطوائف الفكرية: اتهامهم بأنهم

أصحاب الفقه البدوي المتخلف أو الفكر السطحي بل يتهمون أهل السنة والسلف بقولهم: ما عندهم سوى : { قال: الله، قال: رسوله }، { أين الله ؟ } !! هؤلاء يهتمون بالقشور ويتركون اللباب !! وعلامة العلمانيين اتهامهم بأنهم أصحاب الكتب الصفراء !.

وللجميع يقال: نعم الحديث ولو كان في كيفية قضاء الحاجة في الخلاء فيما يخص أمر ديننا وبئس الفكر المخالف لسنة الرسول ﷺ في أمور الدين ولو كان مكتوبا بالفضة على الذهب أما في أمور الدنيا فالمجال مفتوح ورحب واسع لكل مفكر مبتكر مبدع لا يضيق عليه أحد ما لم يخالف نصا أوقاعدة أو حتى قواعدالدين الكلية.

وقد قال: تعالى

{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً } [الأحزاب: ٥٨]

وهكذا كان اليهود يؤذون النبي ﷺ بألفاظهم واتهاماتهم التي ليس عندهم فيها دليل ولا برهان سوى دليل الهوى وبرهان الحقد والخوف على مصالحهم وحزبياتهم !!

وأذى المؤمنين بغير ما اكتسبوا صفة من صفات المنافقين.

قال: تعالى { وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة : ٦١].

وقال: تعالى:{ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً{٤٦} [النساء : ٤٦]

فكان عاقبتهم اللعن والعياذ بالله.

لماذا الاتهام ؟

وسر هذا الذي فعله اليهود ويفعله كثير من المسلمين بإخوانهم إنما هو عجزهم عن رد الدليل بالدليل والحجة بالحجة.

فيلجؤون إلى الاتهام لإشغال الناس بهذه الاتهامات عن العلم والدليل ولستر جهلهم ولصد الناس عن الحق والعلم الذي عند غيرهم.

فاحذر أن تكون ممن يلقي التهم جزافا... فتلعن كما لعنت اليهود... ألا لعنة الله على الكاذبين ألا لعنة الله على الذين يتهمون الناس بغير حق.

قال: شيخ الإسلام :

{ فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظلم والهوى كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه } [الفتاوى (٣/ ٣٥٠)].

قال: الألوسي :

{ وخصوم السلفيين يرمونهم... تنفيرا للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم... وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم } [شرح الألوسي لمسائل الجاهلية (٩٤/ ٩٩)].

العلامة الثانية :

استخفافهم ببعض الواجبات والسنن قولا وعملا متغافلين عن قوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر: ٧].

فلم يفرق الله سبحانه بين ركن أو واجب أو سبيل بل أمر أن نأخذ بكل ما آتانا به رسول الله ﷺ من سنة أو ركن أو طريق من غير تفريق... وإخواننا فرقوا... بل استهانوا... بل استهزئووا هدانا الله وإياهم سواء السبيل. [المقصود عدم التفريق من حيث الأخذ والقبول لا من حيث الأجر والثواب]

وأقل ما فيه من خطورة أنه تقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ والله عز وجل يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات : ١].

وإن لم يكن هذا تقديما فلا يوجد تقديم البتة !!

وقال: ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما وهذا لفظ البخاري قال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقالوهَا، فَقالوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال: أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقال: آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقال: آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقال: " أَنْتُمُ الَّذِينَ

قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي. [البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١)].

فلم يفرق النبي ﷺ ولم يقل : سنتي قشور ولباب !

العلامة الثالثة :

لا يدّعون مذهب السلف والاتباع ولا يدْعُون إليه ولا يحذرون من البدع والابتداع إلا قليلا قليلا ! ويكرمون أعداء الإسلام كثيرا كثيرا !!

بل إذا ذكر بعضهم السلف ذكرهم على سبيل السخرية والاستهزاء وأحسنهم حالا إذا ذكروا السلف ذكروهم للتبرك لا للاتباع والالتزام بما كانوا عليه وإذا ذكروا البدع والابتداع فيفسرونها على أنها المذاهب الكافرة الملحدة لأنهم لا يفرقون بين الكفر والابتداع ولا بين البدع والمحرمات.

ولهذا كثرت عند بعضهم بدع العبادات وعند آخرين بدع الآراء وعند بعضهم بدع السبيل والمنهاج.

العلامة الرابعة :

يعرفون أو يتكلمون عن (ظاهر) حال أعداء الله أكثر مما يعرفون عن دين الله وسلف هذه الأمة.

وقولنا: (ظاهر) لأنهم لا يعرفون الحقيقة ولذلك تجدهم أسرع الناس سقوطا في حبائلهم ووقوعا في مخاضهم لأنهم يقاتلونهم بغير سلاح ويهاجمونهم من غير وقاية.

فعندهم المقال: في جريدة أو باب في مجلة أو تحليل في إذاعة أهم عندهم بل ومقدم على أبواب من أبواب العلم الشرعي.

ويا نعم العلم سلاحا ويا نعم الاتباع وقاية ويا بئست العاطفة سلاحا ويا شؤم الحماسة وقاية !

قال: تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{٤١} سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ{٤٢} [المائدة : ٤١،٤٢].

فإن لم تكن الصحف والإذاعات المغرضة هي الكذب فلا يوجد كذب على وجه الأرض.

العلامة الخامسة :

لا يحتجون بالأدلة ولا يعرفونها وإذا عرفوها أولوها بأدلتهم المظنونة وهي : الظروف، والمصالح، والحنكة السياسية، وفقه الواقع.

وقد سمعت أحدهم يستدل بقول الله تعالى في سورة الطلاق {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً{٤} ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً{٥} [الطلاق: ٥،٤]

فيقول هدانا الله وإياه إن الإسلام ظلم المرأة وامتهنها عندما قال: (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) اعتراضا على أن المرأة لا تزوج إلا إذا حاضت ونسي أو تناسى أو جهل أو تجاهل أن علامات البلوغ عند المرأة ليس الحيض وحده وإنما هناك علامات أخر منها إنبات الشعر تحت الإبط وفوق العانة أو ظهور علامات الأنوثة كبروز الصدر عند المرأة وظهور المفاتن التي تشتهى من المرأة عند التزوج بها والحيض علامة من علامات البلوغ ولكنه علامة على إمكان حمل المرأة إذا تزوجت. فلنعقل ولنفهم حتى لا نزيغ عن أمر الله تعالى فنخسر الدنيا والآخرة ولذلك قال: الله عز وجل بعدها مبينا ومحددا { ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ } أي لتتبعوه دون اعتراض عليه ولا أن تجعلوا عقولكم القاصرة المتفاوتة حاكمة على كلام الله وأحكامه لأنه هو الحكيم الخبير ولذلك ختم الله الآية بقوله {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً }

[ولنعلم أن هناك ألفاظ عائمة لا يستقيم معناها إلا بضبطها وتقييدها بالكتاب والسنة ومنهج السلف وأما إطلاقها من غير تقييد وتعميمها من غير تخصيص فهو الضلال البعيد].

والله عز وجل يقول: { قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : ١١١].

فمن لم يكن عنده برهان من الله ورسوله ﷺ فأولئك هم الكاذبون فاحذروهم !

وقال: { أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ } [محمد : ١٤].

فمن لم يكن عنده دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فهؤلاء هم أصحاب الهوى فاجتنبوهم.وقلما تجد أهل البدع يقولون: قال الله قال رسوله أوقال السلف.

العلامة السادسة :

لا يرون في الفرق والجماعات القديمة والحديثة جماعة ضالة أو مبتدعة بل كلهم على الخير ولذلك ينادون باتحاد هذه الجماعات جميعا...

بدءا من الخوارج إلى الرافضة إلى التجديديين إلى الفكريين...

ينادونهم للوحدة على غير أساس سوى : { جمع جمع }، { أسكت نسكت } !!

[جمع جمع : من غير تصفية ولا تربية ! واسكت نسكت : اسكتوا عن أخطائنا ونسكت عن أخطائكم !].

وكيف يجمعون بين من فرق الله ورسوله ﷺ بينهم وحذر من مغبة سلوك سبيلهم.

قال: تعالى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } [آل عمران : ١٠٦].

قال: ابن كثير :

{ يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قال:ه ابن عباس رضي الله عنهما }.

وقال: ﷺ فيما رواه ابن ماجة:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاق الْأَزْرَقُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قال:، قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ.

[ابن ماجة: ١٧٦ وأحمد (١٨٦٥٠) وأورده شيخنا في (صحيح الجامع) (رقم ٣٣٤٧)].

ولا أدري كيف يفهمون حديث النبي ﷺ:

{ كلها في النار إلا واحدة } [رواه الترمذي وغيره وحسنه شيخنا في (صحيح الترمذي)].

العلامة السابعة :

يرون الكلام في الحكام وبيان كيد أعداء الله لبا وأصلا ! وتصحيح عقائد الناس وإصلاح عباداتهم وتربيتهم قشورا !

والقشور عندهم صفات الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ وسنته !!

وأما الكلام في البدع وأهلها والدفاع عن السنة وأهلها... فهو عندهم أيضا مضيعة للوقت مشتت للأمة.. متغافلين عن واقع الأمة المؤلم.

العلامة الثامنة :

لا يجتمعون على التوحيد والمنهاج بل يجتمعون على أجزاء من الدين بعضهم يجتمعون على السياسة ويتفرقون عليها ! وبعضهم يجتمعون على الجهاد ويختلفون عليه ! وبعضهم يجتمعون على فضائل الأعمال ويهملون العقائد والتوحيد ومن تكلم في التوحيد فهو عندهم فكر آخر يجب التحذير منه !

دون الاهتمام بالتوحيد والتربية وبعضهم يرى أن السياسة قبل التوحيد والأخلاق ! وبعضهم يرى أن السياسة مع توحيد الربوبية ! وآخرون وهم أخفهم انحرافا يعطي السياسة أكثر من حقها ويضعها في غير موضعها ويربي الأجيال عليها !!

والحقيقة أن السياسة لا تكون إلا لخواص الناس لمعرفة ما يجري.

إذ لا شك أن معرفة ما عليه أعداء الله من داخليين وخارجيين وما يكيدونه لهذه الأمة واجب كفائي وبيانه كذلك ولكن بالضوابط الشرعية لا بالانفعالات العاطفية والمواقف الارتجالية فلا يربى الناس على ذلك ولا يشاع ذلك فيهم ولا يكون شغل المسلمين الشاغل بحيث يشغلهم عن تصحيح عقائد الناس وإصلاح عباداتهم والاهتمام بتربيتهم.

وحكمنا في هذه القضية وفي كل قضية ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه من بعده وأتباعهم الذين أمرنا باتباعهم.

فهل كان شغل رسول الله ﷺ في مكة حكامها وما يفعلونه ؟

أم الدعوة والتوحيد والتربية....

ولو كان التوحيد الذي يعنون : توحيد الألوهية والتفصيل فيه إذن لهان الأمر وسهل الخطب ولكنهم يعنون : توحيد الربوبية والإجمال الذي لم ينفع كفار قريش شيئا !

ومن علاماتهم أنك تجدهم في المساء مجتمعين ثم في الصباح متفرقين فإن سألت عن سبب تفرقهم وانفصالهم... علمت أنها السياسة ! والمواقف السياسية ! أو الخلافات الحزبية والتنظيمية على المناصب والأدوار ! لا الخلافات العقدية والمنهجية ولم يكن سلفنا كذلك ولا خير في مخالفتهم.

والحق أحق أن يقال: وهو : أن أهل التوحيد مقصرون أشد التقصير في تبليغ إخوانهم التوحيد وأقسامه والمنهاج ومعالمه.

فقد وجدت منهم من يقول: يا أخي لماذا تتهموننا بالجهل بالتوحيد وتزكون أنفسكم به أو نحن مشركون ؟؟ هل التوحيد: أن نعتقد أن الله في السماء وله وجه ويد... ونترك الطغاة يعيثون في الأرض ويفسدون.

فالعاقل يتعجب من شدة عاطفتهم وعدم معرفتهم بحقيقة التوحيد فعلى أهل التوحيد أن يبينوا لإخوانهم أن التوحيد ليس توحيد الأسماء والصفات فحسب بل هو توحيد الربوبية، والألوهية، ومنه توحيد الحاكمية الذي يسر خاطرهم ! ومنه : الولاء والبراء ، وزيادة الإيمان ونقصانه وحتى السواك يدخل في مسمى الإيمان الذي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فكيف بالولاء والبراء ؟!

كما يشرح لهم لوازم كلمة التوحيد ومقتضياتها ومنها مفارقة البدع وأهلها وأن للتوحيد نواقض كالحكم بغير ما أنزل الله ومظاهرة المشركين على تفصيل معلوم عند أهل السنة إلى غير ذلك مما يجب أن يعرف... فاتقوا الله فيهم يا أهل التوحيد.

العلامة التاسعة :

أثقل شيء عليهم آيات التفرق وأغيظ شيء عليهم أحاديث الاختلاف.

أي: لا يحبون سماعها ولا يعرفون فحواها حتى لا يلتزموا بلوازمها ولا يقع على رؤوسهم مقتضاها !!

فإذا تلوت عليهم قوله تعالى :

{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ{٣١} مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم :٣١، ٣٢].

راحوا يتأولون وذهبوا يحرفون !!

وإذا قرأت عليهم قوله ﷺ:

(... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً)

[الترمذي (٢٦٤١) عن عبدالله بن عمرو وبنحوه أحمد (١٠٢/٤) وأبو داود (٤٥٩٦) عن معاوية وللحديث شواهد وطرق وصححه كثير من العلماء ومنهم شيخ الإسلام والعلامة المحدث شيخنا راجع السلسلة (٢٠٤)].

نفروا نفور ال... !؟

وإذا قرأت عليهم قوله ﷺ: (لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ) [البخاري (٢٢٩٤) مرسلا ومسلم (٢٥٣١)].

تمعرت وجوههم وتحملقت أعينهم... ورأيتهم تدور رؤوسهم كالذي يغشى عليه من الجهل ! لا يعملون بمقتضاه بل لا يعرفون معناه بل وجدت بعض قادتهم لم يسمعوا به على الإطلاق ! وهو في (الصحيحين).

وقال: ابن وهب : سمعت مالكا يقول : ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف وأهل الأهواء من هذه الآية { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.....} [آل عمران : ١٠٦] قال: مالك : فأي كلام أبين من هذا ؟!.

وهؤلاء – وإن كانوا يدعون إلى وحدة الإسلام – لكن دعوتهم لا تتجاوز أفواههم ؛ وذلك لبقائهم على حزبياتهم التي فرقوا بها المسلمين ولفقدان التأصيل في دعوتهم. ودعوة لا تبنى على أسس شرعية وضوابط سلفية دعوة لا حقيقة لها.

{ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }) [التوبة : ١٠٩].

وإنه لمن القول بلا عمل والدعوى بلا امتثال – التي تجلب مقت الله وغضبه – أن ندعو إلى وحدة المسلمين.. في الوقت الذي نتمسك فيه بأحزابنا..

وإنه لمن المراوغة والمخادعة – بل إنه لمن السخرية حقا – أن ندعو إلى وحدة المسلمين التي بها عزهم في الوقت الذي ندعو فيه إلى جماعتنا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{٢} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ{٣} [الصف : ٢، ٣].

كيف يستقيمان..

دعوة إلى حزبية ودعوة إلى وحدة ؟!؟

نشعل نارا.. ثم ندعوا إلى إطفائها !! ونقوض بنيانا.. ثم ندعو إلى إعماره بل إننا ندعو إلى إعماره ونحن قائمون مستمرون على هدمه !!

إن هذا والله لشيء عجيب.

ألم يأن للذين عقلوا أن يعلموا أن الحزبية تفسد الأخوة التي هي من أسس الوحدة الإسلامية كما يفسد الخل العسل !

وإن الحزبية هي التفرق وإن التفرق هو الحزبية اسمان لمسمى واحد..

أما آن للصادقين أن يعلموا أن الحزبية والوحدة الإسلامية لا يجتمعان أبدا حتى تجتمع النار والماء.. والملائكة والشياطين.

وإن على أصحاب منهج السلف الصالح إعلام الدنيا بأن هذا المنهج هو المنهج الوحيد الذي به وعليه تكون وحدة المسلمين حقيقة لا خيالا.. وواقعا لا شعارا ؛ فهو لا يدعو إلى حزبية ولا رجال ولا عصبية.

ولكنه يدعوهم إلى الوحدة على أسس شرعية وثوابت صحيحة لا على أساس المعانقة والتقبيل والتبسم عند اللقاء (!) وكل يسكت عما يعتقده من الضلال عند الآخر.

وليعلم الجميع : أنه من غير الممكن بل من المحال أن تجتمع هذه الأمة على غير أسس الطائفة الناجية التي وضحها كتاب الله تعالى وحددها رسول الله ﷺ.

وإلا ؛ كان جهدنا ضائعا وكانت شعاراتنا للوحدة شعارات تجارية زائفة !

وكيف ندعو إلى وحدة المسلمين ونحن لا نعرف أسس التوحيد الذي به يرضى الرب عنا وعليه تتوحد القلوب.

إن الدعوة إلى توحيد الأبدان قبل القلوب والصفوف قبل العقيدة.. إنما هي سعي وراء سراب ومطاولة للسحاب نعوذ بالله من الخذلان.

العلامة العاشرة :

يدافعون عن الرجال والحزبيات أكثر من دفاعهم عن العقيدة والمنهاج !

فتجد أحدهم يدافع عن عين الرجل ولو كانت عنده طامات ومكفرات ما دام الرجل في حزبه ويؤيد فكره ويدافع عن حزبه أكثر من دفاعه عن الإسلام.

العلامة الحادية عشرة :

يقللون من شأن العلم ويغمزون أصحابه وربما صدوا الناس عنه بدعاوى فارغة : (إلى متى نتعلم) ! (هل العلم يسقط الطواغيت) ! (هؤلاء علماء الحيض والنفاس) ! (هؤلاء قراء الكتب الصفراء) ! هؤلاء لا يفقهون الواقع) ! (الأمة ليست بحاجة إلى علم هؤلاء العلماء...) (النبي ﷺ

بعث معاذا إلى اليمن ليدعواالناس ولم يكن عنده من العلم إلا قولوا لا إله إلا الله تفلحوا !) (كل مسلم مسؤول عن كل فرد في العالم لم يسلم)

... وإذا وافقتهم فتوى عالم طاروا بها في كل مكان وهللوا لها وكبروا... ومن قبل كانوا يصمون عالمها بكل قبيح...

وإذا عارضهم عالم بفتوى انتقصوا منه في كل محضر ومقام ومن قبل كانوا يرون أنه إمام !!

وإننا نعظ إخواننا أن لا يكونوا كالذين قال: الله فيهم :

{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قالوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قال: آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ } [محمد : ١٦].

وبيان شأن العلم وفضله وأدلة ذلك أشهر من أن تذكر.

وأدلته وأهميته أشهر من أن تذكر هنا.

وحسب العاقل منها قوله تعالى :

{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } [محمد : ١٩].

فقدم العلم على الاعتقاد والقول والعمل وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة جعلنا الله وإياكم وجنبنا وإياكم البدع وأهلها.

من الطوائف المبتدعة المعاصرة :

اعلم أرشدني الله وإياك للحق أن المتبعين لمنهج الله ورسوله أمة واحدة عقيدة وشريعة ومنهجا... لا تعدد فيها ولا تفرق ولا تحزب

وقدوتهم في ذلك ورائدهم رسول الله ﷺ ثم الصحابة بإجماع العقلاء فضلا عن تزكية الله لهم ورسوله ﷺ فهم الأئمة الهادون لمن خلفهم والميزان للمختلفين من بعدهم وذلك لقول الله تعالى:

{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } { السجدة:٢٤ }

وأن كل من تبعهم في عقيدتهم ومنهجهم وأخلاقهم فهو من المتبعين.

وكل من عداهم ممن تبنى عبادات مخترعة أو مناهج جديدة أو فكرا محدثا أو طرقا مبتدعة... يدخل في زمرة المبتدعين مهما كانت حجته ومهما كانت نيته.

وعلى هذا فالمبتدعون لا يعدون ولا يحصون فمنهم طوائف قديمة ومنهم معاصرة حديثة منها :

الطائفة الفكرية :

وهي الطائفة التي تقدم فكرها على نصوص الكتاب والسنة وعلى فهم سلف هذه الأمة.

وذكر هذه الطائفة غنى عن الرد عليها إذ مقتضى دعواها : أنهم أعلم من سلف هذه الأمة في العقيدة والشريعة والعربية والفهم والاستنباط والفقه وهذا هو التقديم المنهي عنه :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات : ١].

وما ذكرنا من النصوص السابقة يغني عن إطالة الرد عليها وهذه الطائفة وليدة المعتزلة : عباد العقل.. ومن قدم عقله على شرع الله فقد عبد عقله.

وقد رد عليهم كثيرون ومنهم سيد قطب في { خصائص التصور الإسلامي } وغيره فأجاد وأفاد طيب الله ثراه وغفر له خطاياه وجعل الجنة مأواه.

قال: في رده على محمد عبده :{ حتى صرح أي محمد عبده مرات بوجوب تأويل النص ليوافق مفهوم العقل وهو مبدأ خطر } [خصائص التصور الإسلامي (٢٩)].

وقد كان يدرس لنا أن محمد عبده هذا من العلماء الربانيين المستنيرين الذين كان لهم الفضل في خروج الأمة من ظلمات الجهل إلى نور العلم وحقيقة الأمر أنه ليس كذلك بل إن فكره ومنهجه يوافقان فكر ومنهج المعتزلة

وكيف لا يكون خطيرا وفيه إحالة شرع الله المنضبط إلى عقل غير منضبط وإحالة علم الله الواسع إلى فكر غير مدرك ؟!

وقد فضح أجدادهم من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) وبين عوار مذهبهم وضلال منهجهم وقد أجاد ووفى وشفى الله برده صدور قوم موقنين فعليه من الله الرحمة والرضوان.

الطائفة التجديدية :

وهي التي تدعوا إلى إلغاء ما كان عليه السلف الصالح من الأصول والقواعد بدعوى تغير الزمان والوسائل وإيجاد أصول جديدة تتناسب والعصر ! مثل من يسمون أنفسهم [بالعلمانيين والليبراليين وغيرهم]

وهذه الطائفة قد غفلت عن الأصول والقواعد التي اتفق عليها فقهاء سلفنا الصالح إنما هي :

أصول فطرية، وقواعد عقلية مطلقة.

ويجدر بنا أن نوضح هذا بمثال مما أصله سلفنا وهو :

أن النص المقيد يقيد النص المطلق ويقضي على إطلاقه...

مثاله : قوله تعالى :

{ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } [البقرة :١٥٨] أي : بالصفا والمروة فقد أطلق الله الطواف ولم يحدد سبحانه له عددا.

وجاءت السنة لتقيد هذا الإطلاق بسبعة أشواط فكيف يمكن ولو خيالا أن نجدد هذه القاعدة ؟!

هل نقول : إن المطلق يبقى على إطلاقه فنطوف كما نشاء !! أو ماذا يمكن أن نقول غير ما قال: سلفنا الصالح..؟! إيتونا بأصل يقابل هذا إن كنتم فاعلين ؟؟!

وكيف يمكن تجديد قاعدة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

هل نقول : ما لا يتم الواجب إلا به فهو مندوب أو محرم... أم ماذا يمكن أن نقول.

وقاعدة : السابق إلى مباح أحق به.

وقاعدة :دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وقاعدة : المتهم برئ حتى يدان..

أو نقول : المتهم مدان حتى يبرأ...

إلى غير ذلك من القواعد التي لا يمكن تغييرها إلا إذا تغير عقل الإنسان أو فسدت نيته.

إننا نناشد إخواننا أن يعوا هذه القضية وخطورة الخروج عن الأصول.

إن مقتضى التجديد يعني : أننا أعلم بمقاصد الشريعة ! وأفهم لنصوص الكتاب والسنة ممن نزل عليهم القرآن بلغتهم ! وحدثهم رسول الله بلهجتهم ! بحجة أننا حصلنا من العلم ما لم يكن عند صحابة النبي ﷺ وقد أصبحنا في عصر السرعة والإنترنت والفضائيات والصعود إلى القمر فكيف يحكمنا ما كان يحكمهم وهم كانوا أهل بادية وصحراء ليس لديهم إلا قال: الله قال: رسول الله. فنحن أعلم منهم.

وأود أن أضع بين أيديكم الفرق بين أمور الدين وأمور الدنيا فأمور الدين الصحابة أعلم بها أما أمور الدنيا فنحن أعلم بها وهذا فيه أصل عن النبي ﷺ حين قال: فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله فقال:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْوَاتًا، فَقَال: " مَا هَذَا؟ " قالوا : يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَال: " لَوْ تَرَكُوهُ فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ، لَصَلُحَ " فَتَرَكُوهُ، فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ، فَخَرَجَ شِيصًا، فَقَال: النَّبِيُّ ﷺ : " مَا لَكُمْ؟ " قالوا : تَرَكُوهُ لِمَا قُلْتَ، فَقَال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ.

فأمر الدين بينه رسول الله وفصله وأمر الدنيا تركه رسول الله إلينا يتغير بحسب الزمان والمكان لأن التأصيل أيها الإخوة في أمر الدين لا يكون حسب الزمان والمكان وإلا لم تكن لتدعى أصولا.

فالأصول إنما هي : ثوابت مجردة عن الزمان والمكان والأعيان.

وأما ما كان متعلقا بالزمان والمكان والأعيان بضوابط علمية واضحة.

ويوضح هذا ؛ قول رسول الله ﷺ لسليك الغطفاني لما دخل يوم الجمعة والرسول يخطب : (قم فصل...) وذلك كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما وهذا لفظ مسلم

وحَدَّثَنَا إسحاق بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، كلاهما، عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ، قال: ابْنُ خَشْرَمٍ : أَخْبَرَنَا عِيسَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قال: جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَجَلَسَ، فَقَال: لَهُ " يَا سُلَيْكُ قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا "، ثُمَّ قال: " إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا "

[البخاري (٩٣٠) ومسلم (٨٧٥)] فهذه فتوى خاصة لسليك... وقوله : { إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا " } فهذا حكم قضى به رسول الله ﷺ فهو لكل زمان وكل مكان ولكل مسجد ولكل مسلم.

وللمسألة تفصيل أصولي ليس هاهنا محله.

إن الخروج عن هذه الأصول والقواعد يعني إطلاق العنان للناس يعبثون بالنصوص كما يشاءون ويفسرونها كما يشاءون ما دام لا يوجد أصل يرجعون إليه ولا قاعدة يعتمدون عليها وبعد ذلك حدث ولا حرج عن فوضى لا تبقي ولا تذر وعن الاختلافات العظيمة التي ستنشأ... الأمر الذي يعني تعطيل شرع الله وإبطال نصوصه.

ولولا النهي عن سوء الظن لظننا بمن يدعو إلى ذلك أسوأ الظن لما يترتب على ذلك من خطر عظيم على نصوص الإسلام وأحكامه حيث تصبح هذه الدعوى منفذا لخصوم الإسلام... ويضحى الإسلام ملعبا لأهواء الناس وشهواتهم.

ثم يقال: لهذه الطائفة :

هب أننا سلمنا لكم - جدلا - : أن هذه الأصول تحتاج إلى تبديل وتجديد فهلا طرحتم أصولكم حتى ينظر فيها وهلا عرضتم قواعدكم حتى يحكم عليها ما دمتم تحكمون على أصول وقواعد الأولين من الصحابة ومن بعدهم.

إن الواجب على العاقل الذي لا يعجبه بيته أن يبني بيتا جديدا أولا ثُم يتحول إليه ثم يهدم بيته القديم بعد ذلك.

أما أن يهدم بيته ويشرد أسرته ثم لا يبني لهم بيتا فهذا أمر غاية في العجب !! فلا هو أبقاهم في القديم على ما فيه - على زعمه - !! ولا هو بنى لهم بيتا جديدا !!

فهل يفعل هذا عاقل..؟!! فتأمل...

إن مقتضى التجديد في قواعد الدين وثوابته وأصوله يعني هدما لكيان الأمة وتضييعا لجهود أئمة الملة وتشتيتا لشباب الصحوة فهو – في الحقيقية – تحريف و تبديد..

إن البقاء على أصولهم لا يعني الجمود عند قول فقيه.. لا.. وألف لا... فهذه مسألة وهجران أصولهم مسألة أخرى لا يدركها إلا الذين تفقهوا بأصول الطائفة الناجية التي أمرنا أن نكون منها.

وهذه الطائفة التجديدية لم يكن لهم مثيل في دعوتهم من قبل على الإطلاق.

حتى المعتزلة... لم يردوا أصول الاستنباط ولا قواعد الفهم ولكن بعضهم ضل في تطبيقها وبعضهم كان يتهرب منها كل مهرب.

ورد عليهم سيد قطب – رحمه الله – فأحسن إذ قال:

{ وهو – أي الإسلام – من ثم تصور غير متطور في ذاته إنما تتطور البشرية في إطاره... وهو – من ثم – كامل متكامل لا يقبل تنمية ولا تكميلا }.

ثم قال: { ولعل هذه الخلاصة أن تكشف لنا حكمة الله ورعايته في حفظ أصول التصور الإسلامي بعيدة عن تحريف البشر وعن خطورة أي محاولة باسم { التجديد الديني } أو التطور في الفكر الديني !! }. [خصائص التصور (٦٥-٦٧-٩٧)].

فحذار – يا عبد الله – أن تقع في أفكار خادعة وآراء مزينة تدور بك فتخسر دنياك وآخرتك.

واعلم أنه لا منجي – لك – ولا ملجأ من خضم فتن الأفكار وزحمة الآراء إلا بسلوك مسلك الفرقة الناجية وبمعرفة أصول الطائفة المنصورة.

ولا يكون ذلك إلا باتباع سبيل من أناب إلى الله من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. جعلنا الله وإياكم منهم.

الطائفة الحزبية السياسية !

هي - بل هم - : طوائف اجتمعوا على السياسة وتفرقوا عليها ولم يجتمعوا على أسس الطائفة المنصورة التي أمرنا الله تعالى بالاجتماع عليها ولذلك تجدهم يجمعون في صفوفهم ما هب ودب.

سواء كان المجتمعون على عقيدة واحدة أو مختلفة صحيحة أو فاسدة ! وسواء كانوا على تربية أو على غير ذلك !

وسواء كانوا من الطوائف الضالة أو ممن ينتسب إلى الطائفة المنصورة ؛ كل ذلك لا يهم !!

المهم عندهم : تجميع قاعدة بشرية كبيرة تستخدم عند اللزوم سواء بطريق نبوي أو همجي – لا منهجي – أو علماني أو شيوعي فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ولذلك أدخلوا فيهم – في بعض البلاد – جهال القبائل وزعمائها !

وفي بلد آخر : اتفقوا مع من كان يلعن أبا بكر وعمر ! ومن يقول عيسى هو الله أو عيسى ابن الله والله عز وجل يقول:

{ وَقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً{٨٨} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً{٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً{٩٠} أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً{٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً{٩٢} [مريم: ٨٨:٩٢]

وفي ثالث: شاركوا النصارى في الانتخابات وتحالفوا معهم! حتى ولو كان ذلك التحالف على إخوانهم من المسلمين [مع العلم أننا لا نحرم التعامل مع النصاري فيما يخص المعاملات الدنيوية ونحن نرى النصارى الذين تحالفت معهم بعض الفئات التي تنتمي إلى التدين هم الذين يتحالفون مع ما يسمى بالقوى المدنية اللبرالية والعلمانية وغيرهما لرفض تطبيق الشريعة الإسلامية بحجة أن التيارات مختلفة وكثيرة فبأي فهم من أفهام هذه التيارات نطبق؟ عندئذ ندرك تماما ويقينا معنى قول الله تعالى:

{ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣]

وفي رابع : تحالفوا مع العلمانيين الذين كانوا يكفرونهم !! أو يرون أنهم الحائل بينهم وبين الإصلاح وتطبيق الشريعة وأن الحل في الإسلام. فكيف لمن نعرف من حالهم ومقال:هم أنهم لايقيمون للدين وزنا إلا إذا كان على فهمهم مما تعلموه من المستشرقين وأشباههم أو ما اقتضته عقولهم دون النظر إلى قواعد الشريعة وأصولها أن نتحالف معهم ثم نريد منهم أن يضعوا أيديهم في أيدينا لتطبيق الشريعة عقيدة وأحكاما وأخلاقا وسلوكا ومعاملة فهذا مما لا يروق لهم.

كل ذلك من أجل الوصول إلى الحكم ويا ليت الحكم بمعناه الشمولي إذن لهان الأمر ولكنه بعض الحكم وتحت ظل تحالفات أو تقارب مع من لا يقيم لحكم الله وزنا.

ولـو كـان هـؤلاء الإخـوة يـدركون حقيقـة التوحيـد ومعالمـه ومقصـود شـريعة الله وغايتهـا... لعلمـوا أتباعهم التوحيد ولسعوا لإقامة شريعة الله في النفوس قبل الأرض فإن غاية الإسلام : هداية العباد قبل حكمهم وإقناعهم قبل إكراههم على القاعدة المنهجية العظيمة :

غاية الإسلام : هداية الناس ، ثم سياستهم.. ولا عكس

والحقيقة أن هذه الطائفة أتيت من جوانب ثلاث :

الجانب الأول:

عدم إدراكها لحقيقة الشريعة وظنها أن شريعة الله هي أحكام الجلد والقتل والرجم والقطع ! وأن تطبيق هذه الأحكام على الناس يكون بقوة السلطان قبل قوة الإيمان ! وغفلوا عن أن شريعة الله هي دينه من ألفه إلى يائه بدءا من كلمة التوحيد وإنتهاء بإماطة الأذى عن الطريق وذلك لقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم وغيره وهذا لفظه قال:

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ، بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ " [مسلم:٣٧، الترمذي: ٢٦١٤، النسائي: ٥٠٠٥، ابن ماجة: ٥٧، أحمد: ٨٧٠٧]

الجانب الثاني:

- ردة فعل قوية من الظلم الذي وقع على كثير من الشعوب من حكامهم أفقدتهم صواب الطريق فكان لزاما على الكل أن يلجأ إلى الشرع ظالما ومظلوما فالظالم يرد المظالم لأهلها بقدر استطاعته ويتوب إلى الله والمظلوم يحتسب ما وقع عليه من ظلم عند الله ويبدأ الكل في تطبيق الشرع على نفسه أولا ثم يتعاون الكل في تطبيق الشرع في المجتمع كله. وبما أن الظالم لم يتب ومصر على ظلمه لأنه لم يرد المظالم إلى أهلها فلا يجوز لنا أن نطالب المظلوم بالتسامح والتنازل عن حقه بحجة أن الإسلام يدعو إلى التسامح فالتسامح له ضوابط يجب فهمها أولا قبل أن نطالب به الناس.

الجانب الثالث:

- تأثرها بالأحزاب العلمانية المتوافرة على الساحة فاقتدت بها فتحزبت كما تحزبت ونهجت مناهجها في التغيير وضربت بطريق النبي ﷺ والسلف عرض الحائط بدعوى إباحة الوسائل مطلقا [الغاية تبرر الوسيلة] فنقول نعم الوسائل تتغير ولكن تغيرها مرتبط بالضوابط الشرعية أما الأحكام فهي ثابتة مع النظر إلى المناطات المختلفة والمرتبطة بتأصيل الحكم.

وإليك مقتطفات من كلام سيد قطب – رحمه الله – في الرد عليهم :

{... وإذن فأية حركة.. يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام ومدلول العقيدة وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب في الحكم يجئ من أعلى... إن قيام حكم إسلامي في أي بلد لن يجيء عن مثل هذه الطرق... أي : الانتخابات } [لماذا أعدموني (٤٣-٤٤) وما بعدها]

وإن كانت هذه الوسيلة [أي الانتخابات] لها أصول ولكن ليست على غرار انتخابات اليوم من دخول العامة من الناس بكل ما عندهم من الأهواء والمصالح والتوجهات أو الإعلام الموجه ولكن كان الأمر في هذا موكلا إلى العلماء [الذين هم أهل الحل والعقد] هم الذين يختارون ولو بطريقة الاقتراع [أي الانتخاب والتغليب] ثم يبايع العامة بناءا على اختيار العلماء. فهذه ضوابط لابد منها بارك الله فيكم وهدانا وإياكم إلى طريق الحق والهدي.

وأخيرا في هذا الباب

لنا تساؤل عند إخواننا ونريد الإجابة عليه...

إخواننا هؤلاء من يتبعون.. ؟

فلا بالكتاب والسنة تفقهوا لأنهم تنازلوا عن كثير من أوامر الشرع إرضاءا للطرف المقابل ولكي تمر الأمور بسلام بمبدأ [تنازل أنت أتنازل أنا]

ولا بقادتهم العقلاء الذين خاضوا التجربة فلم يروا منها فلاحا فتراجعوا عما كانوا عليه اقتدوا... ؟!! وإلى الله عاقبة الأمور.

ما الفرق بين المتبعين والمبتدعين :

{ هل لكم أن تبينوا لنا فرقا بين المتبعين والمبتدعين يصلح أن يكون قاعدة ونبراسا } ؟

الفرق الدقيق: أن المتبعين آمنوا بأن كل ما كان من عند الله من عبادة وطريقة ووسيلة ومنهج هو خير كله ما دام من عند الله عز وجل.

وإذا جاءهم الشيطان من جهة تعظيمه لعقولهم ومدحه لآرائهم ردوه على أعقابه خاسرا. وذلك كما قال: ربنا عز وجل:

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ{٢} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ{٣} [محمد : ٢، ٣].

وكما قال: الله عز وجل:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ....... } [النساء : ١٣٦].

فتأمل كلمة { آمَنُوا } في الآيتين وكلمة { آمِنُواْ } في الآية الثانية تدرك معنى الاتباع...

وأن المبتدعين دخلوا في { آمَنُواْ } الأولى... ولم يلتزموا بالثانية أي :

آمنوا على سبيل الإجمال وأما على سبيل التفصيل والاتباع فلم يؤمنوا لأنهم أعرضوا عن كثير من طريق وهذي النبي ﷺ واخترعوا طرقا وفكرا وعبادات وهديا ما أنزل الله بها من سلطان.

ولا شك أن عندهم حججهم: المصلحة والظروف والزمان والدول والمنظمات والقوانين الدولية !

كما كان عند الطوائف الأولى حججهم ! وأيضا يقولون إِنَّ اللَّهُ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ " وهذا القول ينسب لعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب ولكنه لا يصح عنهما والله أعلم

وهذه هي مشكلة أهل زماننا إذ يقدمون ما ظهر لهم من مصلحة وظروف وما أنتج عقلهم من فكر وآراء على شرع ربهم.

وليعلم أنه مهما زين لهم من قوة في استدلالهم وصواب في حجتهم فحاصل ذلك رد النصوص والإعراض عن هدي النبي ﷺ والرغبة عن سنته ! فهل يستويان عند الله مثلا ؟!؟

مُسْلِمٌ مُسَلِّمٌ... مؤمن قانت، موحد يقول : أسلمت وجهي وعقلي وفكري للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مطيعا وما أنا من المعترضين.

ومسلم يقول : عقلي... فكري... ظروفي... مصلحتي... لا أسلم بكل شيء في الكتاب والسنة !!

ثم هم مختلفون: [أي كل الطوائف]

فبعضهم يرى التسليم في العبادات فحسب ويا ليتهم أعطوها حقها من العلم والعمل ! فصلوا كما صلى الرسول ﷺ وحجوا كما حج ولكن هيهات هيهات.

وبعضهم يرى اتباعه ﷺ في طريقة الحكم أي : خلافة وبيعة لا في طريق الوصول إلى الحكم.

وآخرون لا يرون اتباع الرسول ﷺ لا في طريق الحكم ولا في طريق الوصول إليه وإنما يكون الاتباع عندهم بتطبيق الحدود.

والحدود الخمسة فقط دون الأخوة والتعاون وترسيخ الإيمان والولاء وحسن المعاملة والأخلاق.

وكل هؤلاء رافعون راية الإسلام حاملون لواء الجهاد !!!

وقد شابه بعضهم العلمانيين من حيث لا يشعرون.

وذلك لأن العلمانيين يرون التآسي بالنبي ﷺ في العبادات دون اتباعه ﷺ في الحكم والتشريع بحجة تغير الزمان والأحوال.

وهذه هي حجة إخواننا نفسها.

فأي فرق إذن بين من يرد الأخوة بدعوى الحزبية والتنظيم وبين من يرد الواجبات والسنن بدعوى الأحوال؟ وبين العلمانيين الذين يردون التشريع بدعاوى فارغة كتغير الظروف ؟... و...

وبعبارة أخرى :

أي فرق في دين الله بين من يرى الاتباع في ثلث الدين فحسب وبين من يراه في ثلثيه فحسب ؟!

لا شك أنه لا فرق إلا من حيث النية والقصد. أفيليق بمسلم قال: أسلمت وجهي للذي فطر السماوات والأرض أن يترك نهج أصحاب النبي ﷺ ويسلك نهج هؤلاء العلمانيين ؟

أفيحق لمؤمن آمن بأن الله هو العليم الحكيم أن يحكم عقله وفكره في شريعة الخبير العليم الجبار... ؟!

هل هذا من التسليم الذي أمرنا به ؟

قليل من التذكر... قليل من التفكر... قليل من الإنصاف نعرف الصراط المستقيم ونلتزم به فتكتب لنا النجاة.

علامات أهل الاتباع :

{ هل لكم أن تذكروا لنا بالأدلة علامات أهل الاتباع حتى نلتزمهم ونكون معهم } :

العلامة الأولى :

دندنتهم على الاتباع قولا والتزامه عملا.

فتراهم ينتسبون إلى سلفهم صراحة ويفخرون بذلك جهارا... ولم لا يفخر المسلم بسلوك مسلك حواريي رسول الله ﷺ في العقيدة والمنهاج والشريعة والواجبات والسنن فيعملون ما عملوا ويقفون حيث وقفوا ويمسكون عما أمسكوا :

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً } [النساء : ١٢٥].

وعلى حد قول القائل :

أولئك أشياخي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا أخي المساجد

العلامة الثانية :

الاهتمام بمصادر الاتباع ودراستها والدعوة إليها.

ومصادر الاتباع هي : الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

وهو بعبارة مختصرة :

العلم الذي به قامت السماوات والأرض وبه نزلت الأديان والقرآن وبه يكون السداد والتوفيق والتمكين.

فهذا هو اللباب وما عداه قشور عفنة من أصابه شيء منها فليغتسل ولينفض عن نفسه ما علق بها منه وليلحق بركب المتبعين الفائزين بدون استثناء قبل الفوات. قال: تعالى { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف : ٣].

العلامة الثالثة :

إجلال السلف قولا وعملا :

قال: تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١٠٠].

والذين صدقوا في اتباعهم هم المحسنون والذين خالفوهم أو انتقصوهم أو قدموا بين أيديهم هم : المسيئون فاعتبر إن كنت من المعتبرين.

وقال: ﷺ فيما رواه أحمد وغيره وهذا لفظه

حَدَّثَنَا هَارُونُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ الْخَيْرِ الزِّيَادِيُّ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. [أخرجه أحمد (٢٢٢٤٨) وحسنه شيخنا في (الجامع) (٥٤٤٣)].

وإن لم يكن السلف هم العلماء ومعرفة حقهم هو اتباعهم فمن العلماء إذا.ويقال: ما خرج في الناس عالم.

العلامة الرابعة :

دينهم البرهان ومذهبهم الدليل يقدمونه على كل مصلحة ولا يقدمون عليه ظروفا ولا رجالا ولا يتأولونه تحريفا ولا تعطيلا.

{ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : ١١١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات : ١].

{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قال: الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ{١٥} قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ{١٦} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ{١٧} [يونس:١٥: ١٧].

يا أيها المؤمنون العاقلون : أليس إحداث طرق جديدة وترك طرق مسلوكة مهما كان العذر يكون تبديلا ؟!؟ قليلا ما تذكرون.

خلاصة هذا الأمر:

أن الاتباع كلمة أشمل من أن نفهمها كلمة تقابل كلمة الابتداع المحصور في العبادات.

بل إن الاتباع هو: أصل الدين ولبه وهو يشمل كل كبيرة وصغيرة في هذا الدين بل هو الدين كله. { قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ } [الأنعام٥٠].

قال: سيد رحمه الله (٣/ ١٢٥٩) :

(ذلك أن القضية في صميمها هي قضية (الاتباع) هذه هي قضية هذا الدين الأساسية)

فالاتباع : يكون في العقيدة والعبادات والأفكار والآراء والسبيل { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان:١٥].

وإن الضلال الذي حصل في أمة محمد ﷺ لم يكن إلا بسبب مخالفتهم لهذا الأصل العظيم.

ولو أن الخوارج التزموا بهذا الأصل ما كانوا خوارج ولو أن المعتزلة التزموا بهذا الأساس ما كانوا معتزلة ولأراحوا الأمة من شر ما فعلوا واستراحوا وأراحوا.

وما توغلت العلمانية والاشتراكية والمبادئ الهدامة إلا بسبب جهل المسلمين بهذا المبدأ العظيم حيث حرفوا لهم النصوص وعطلوا الأحكام بالتأويل معرضين عن الالتزام بالاتباع.

ولذلك كان الاتباع هو الضابط العظيم للناس من الانحراف والوقاية الحتمية لهم من الزيغ.

والابتداع ليس محصورا في العبادات فحسب بل يشمل كل فكر دخيل على الإسلام أو رأي أو طريقة سواء كان ذلك باسم الإسلام كفكر الخوارج والمعتزلة أو بأسماء شيطانية كفكر العلمانيين والملاحدة.

قال: الإمام عبد الله بن المبارك :

{ اعلم أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فإنا لله وإنا إليه راجعون. فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع }.

رحمك الله يا بن المبارك أتقول هذا في زمانك زمان عزة المسلمين وعزة السنة وكثرة الأئمة ثم تقول : ذهب العلماء !؟ فكيف إذا رأيت زماننا.

اللهم هداك.... اللهم نصرك.

ونحن إذ نحذر من الابتداع ونبين خطورته العظيمة فإن من العدل والإنصاف أن نختم هذا الأصل بقواعد مهمة وتنبيهات مفيدة يغفل عنها كثير من المسلمين.

من قواعد الإنصاف :

يجدر بنا ونحن نبين خطورة الابتداع ونوضح ضرره.. أن نذكر بعض القواعد المعينة على الإنصاف والمبينة لوجه الحق.. حتى نكون أمة وسطا.. لا مُفْرِطين ولا مُفَرِّطِين.

القاعدة الأولى :

أن المبتدع مهما كانت بدعته ما لم يأت بما يخرجه عن الإسلام فهو مسلم له حق الإسلام من الأخوة والموالاة وغيرها من حقوق الإسلام لأنه ما يزال مسلما داخلا في عموم النصوص كقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات : ١٠]

وقوله تعالى { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٧١} وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٧٢} [التوبة:٧١،٧٢].

وهذه الموالاة ومنها النصرة مقيدة بشروط شرعية معروفة منها : أن لا يتقوى بهذه الموالاة على أهل السنة وأن لا تكون سببا في إعانته على بدعته إلى غير ذلك مما هو مفصل في مظانه.

القاعدة الثانية :

كما أنه ليس كل من أتى بكفر فهو كافر وليس كل من أتى بفسق فهو فاسق وليس كل من أتى بجاهلية فهو جاهلي أو جاهل وكذلك ليس كل من أتى ببدعة فهو مبتدع لأن ثمة فرقا عند أهل السنة والجماعة بين من وقع في البدعة وبين من أحدث البدعة وتبناها ودعا إليها وهذا أمر متفق عليه وقد سبق تفصيله.

قال: شيخ الإسلام :

{ فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا بل ولا فاسقا بل ولا عاصيا } [الفتاوى (١٢/ ١٨٠)].

القاعدة الثالثة :

ليس كل عاص أو مبتدع يهجر... بل إن لذلك شروطا قد ذكرها أهل التحقيق من قبل من أمثال الشاطبي في { الاعتصام } وابن تيمية في كتبه عامة وبخاصة الجزء الثامن والعشرين من { مجموع الفتاوى } وغيرها فليراجعها من شاء.

ثم إن الأمر يتعلق بالبدعة نفسها أكثر من تعلقه بصاحبها إلا أن يكون رجل سوء ينام على بدعة داعيا لها ويصحو على بدعة داعيا لها وإذا اتفق على كون الأمر بدعة وعلى وجوب التحذير منها فلا مشاحة بعد ذلك أن يختلفوا على عين صاحبها.

ومن خطوات الشيطان أن يوقع الخلاف بين أصحاب المنهج القويم بمثل هذا فقد اختلف السلف في عين الحجاج هل هو كافر أم لا ؟ واختلفوا في الجهمية هل هم كفار أم لا ؟ ولم يترتب على ذلك شقاق بينهم ولا تشاحن ومن كان سلفيا في العقيدة فلا بد أن يكون سلفيا في المنهج وأدب الخلاف.

وهناك مناظرة كانت بين الشيخ جميل الرحمن طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه وانتقم له ممن قتله وآذاه ورجل آخر يدعي السلفية في العقيدة ولكنه إخواني المنهج

[وجميل الرحمن : هو عبد المنان بن حسين { البشتوي } أو { البشتوني } نسبة لشعب البشتو لقب بجميل الرحمن على عادة العجم هناك ولد بقرية من قرى ولاية كنر بأفغانستان وكان على مذهب السلف ناصرا للسنة قامعا للبدعة داعيا للتوحيد عالما بالتفسير من أوائل من دعا إلى الجهاد في أفغانستان بل هو ثالث ثلاثة دعوا الناس إلى الجهاد ضد الشيوعية والإلحاد وكان ذا فضل وعلم ومكانة في قومه ولقد حقق الله على يديه نصرا عظيما وكان له القسط الأكبر في فتح ولاية كنر مع جماعته أهل الحديث حيث كان أميرا لهم.

تولى إمارة كنر بعد فتحها فأقام بها شرع الله وحكم فيها بالعدل ونشر التوحيد مما أغاظ الحزبيين والمبتدعين فأقدموا على قتله قبل صلاة الجمعة في عشرين خلون من صفر لعام ١٤١٢ هجرية بينما كان يتجهز لأداء الصلاة عاملهم الله بعدله وقاتلهم إلى يوم القيامة وقد افترى عليه افتراءات كثيرة حسدا وبغضا كما هو شأن كل داعية إلى التوحيد والسنة في كل مكان وزمان.

عليه رحمات الله المتتابعة إلى يوم القيامة ورضوان من الله ومغفرة وجنات عرضها السماوات والأرض].

يقول في مناظرة بينه وبين رجل سلفي في العقيدة دون غيرها:[وهو الشيخ عبدالمجيد الزنداني] وقد سمعته يقول ذلك بنفسه قال: (أنا سلفي العقيدة إخواني المنهج) وإنا نقول له

{ ليست السلفية ممدوحة في أمر ومذمومة في آخر بل هي ممدوحة في كل أمر }.
لذا نناشد إخواننا أن يعوا هذه القضية الخطيرة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

القاعدة الرابعة :

ليست البدع سواء فهي تبدأ من بدع الوسائل والعادات إلى بدع العبادات والأفكار والاعتقاد وإن كانت كلها بدعا وكلها ضلالة ولكن الضلال يتفاوت كما يتفاوت الفسق.

[الوسائل والعادات : الأصل فيها الإباحة ولا تكون بدعا إلا إذا تعبد بها واتخذت دينا].

وقد عقد الإمام الشاطبي بابا خاصا في { الاعتصام } عنوانه { في أحكام البدع وأنها ليست على رتبة واحدة } [٢/ ٣٦].

قال: فيه :

{ وقد ثبت التفاوت في المعاصي فكذلك يتصور مثله في البدع.. } [٢/ ٣٩].

إلى غير ما ذكر من الكلام النفيس فليراجعه من شاء.

وأحكام ذلك منوطة بصاحب البدعة وأصوله وعلمه ودينه ودعوته إليها وخروجه عن سبيل السلف في الأصول ومنوطة أيضا بالبدعة نفسها فكما أن المعاصي تتفاوت وهي كلها معاص فكذلك البدع تتفاوت فليست بدعة نفي صفات الله عز وجل كبدعة السبحة وليست بدعة القول بخلق القرآن كبدعة المحراب وليست بدعة التجديد كبدعة الانتخابات وليس الذي يدعو إلى بدعته كالذي صدرت عنه البدعة جهلا وليس الذي يفارق على بدعته جماعة المسلمين أو يوالي ويعادي عليها كالذي لا يفعل شيئا من ذلك وليس الذي نصب نفسه معاديا للطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة السلفية الحقة كالذي لم يعادهم ولم يخرج عنهم أو عليهم بتلك البدعة وليس الذي أقيمت عليه الحجة كالذي لم تقم عليه الحجة.

ألا فليتق الله قوم أرادوا محاربة البدع فسقطوا في بدعة { التبديع } وغلوا فيها حتى نادوا بهجر صاحب كل بدعة أو هجر من لم يهجر كل صاحب بدعة !!

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد إذن لهان الخطب وسهل الأمر ولكن بعضهم يمنع قراءة أي كتاب لأي عالم وقعت منه بدعة أو قال: بتأويل أو غير ذلك !!

كالحافظ العسقلاني والعلامة النووي... وغيرهم من فحول الإسلام .

ولو كان مذهبهم في هذا مذهبا سلفيا صحيحا لما أخرج أئمة السنة كأحمد والبخاري ومسلم لكثير من أهل البدع أحاديثهم ولما وثقوهم واعتمدوا على روايتهم ولوجب علينا أن نمنع من قراءة كتبهم لذلك.

قليلا ما تذكرون.

القاعدة الخامسة :

إن أحكام هذه المسائل من التمييز بين المبتدعين وبين البدع وما يلحق بذلك لا ترجع إلى أحداث الأسنان بل ترجع إلى أهل العلم والتقوى الذين يحكمون في البدعة والمبتدعة ذلك أن معظم أحداث الأسنان لا يفرقون بين أنواع البدع وطبقات المبتدعة فهناك البدعة العقدية والبدعة المنهجية والبدعة في العبادة والبدعة الأصلية أو الحقيقية والبدعة الإضافية والبدعة الاجتهادية ولا يدركون المصالح والمفاسد ولا يفهمون مقاصد الشريعة مما هو مفصل في مواضعه.

[البدعة الاجتهادية : هي التي يختلف عليها أصحاب الأصول الصحيحة ومن هم أهل للاجتهاد ومناطهم فيها معتبر كاختلافهم في صلاة التسابيح ووضع اليدين بعد الرفع من الركوع على الصدر... وهكذا وسميت بهذا لعدم ثبوتها عند الطرف الآخر ولا يسمى صاحبها مبتدعا بحال وإلا لكان الإمام الشافعي مبتدعا لأنه كان يرى القنوت في الفجر ولكان الإمام ابن المبارك مبتدعا لأنه كان يصلي صلاة التسابيح فإلى الله المشتكى من فقه المتعالمين].

القاعدة السادسة :

إن مذهب إمام من أئمة السلف أو قولا له لا يعد دينا للأمة ولا مذهبا لها فضلا عن أن يكون عالما ومعاصرا إلا أن يقوم عليه دليل قطعي الثبوت واضح الدلالة أو إجماع متيقن.

وكل حكاية أو رواية عن إمام معتبر من أهل السنة في مبتدع لا تعدو أن تكون حكما عينيا لا يطرد ذلك الحكم على كل مبتدع.

كذا قال: قامع المبتدعين والغالين شيخ الإسلام رحمه الله :

{ وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله.. فإن أقواما جعلوا هذا عاما فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به... } [الفتاوى (٢٨/٢١٣)].

القاعدة السابعة :

قوله ﷺ فيما رواه مسلم وغيره وهذا لفظه فقال:
حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْمِقْدَامِ وَهُوَ ابْنُ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ". [أخرجه مسلم (٢٥٩٧) وأحمد ٥٥١ وغيرهما].
إن الرفق مطلوب في كل شيء حتى مع الحيوانات والحكمة مأمورون بها مع كل مدعو وفي كل دعوة حتى مع الأعداء.. والكلمة الطيبة ممدوحة مع كل مخاطب سواء كان موحدا تقيا أو مؤمنا عاصيا أو مسلما مبتدعا وسواء كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا.
ولما ردت عائشة على اليهود الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ أمرها النبي ﷺ بالرفق في الرد مع أنهم أعتى عدو للإسلام والمسلمين فما بالك بمسلم مبتدع يظن أنه مصيب ؟! وكذلك أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام من قبل في مخاطبة فرعون وهو أكفر الكافرين وإمام المبتدعين ومع ذلك قال: تعالى :
{ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه : ٤٤].
هذا هو الأصل في كل دعوة ونصيحة وكلمة ولكن هذا لا ينفي أن تكون الشدة وقسوة العبارة أحيانا من الحكمة كما كان ذلك من رسول الله ﷺ لبعض أصحابه أحيانا.
وذلك لأن الشدة في موضعها حكمة ويعتمد هذا على المصلحة المترتبة والثمرة المقطوفة وردود الفعل المتوقعة.
فإذا كانت الشدة أو الهجر أو الكلمة القاسية تهدي المدعو أو تردع المنصوح فهي الحكمة... وإلا فلا.
إذ المقصود في كل هذا مصلحة المدعو واتعاظ المنصوح وهداية الضال لا مجرد الهجر أو الشدة أو شفاء ما في الصدر أو الانتقام للنفس.
ومن وجد شيئا من الشدة في كلام السلف.. فلا يعني هذا أن له حكما مطلقا في كل زمان أو مكان أو مع كل إنسان.
ولكن المسألة تقدر بقدرها ويراعى في ذلك ظروف المدعو وأحواله فكم من كلمة طيبة هدت فجارا وكم من هجر خاطئ أضل أبرارا.

ولا تصغ لمن يقول : ليس علي من ذلك شيء.. المهم أني أهجر.. } لأنه لم يدرك غاية الهجر ولا حكمة العمل به.

وعلى هذا فإن محاربة البدع وأهلها شيء والحكمة والرفق بهم شيء آخر لا يدركه كثير من أحداث الأسنان فيخلطون الأوراق ولا يميزون وللمسألة تفاصيل أخرى تأتي في محلها.

والخلاصة :

إن الرفق وحسن الخلق لا يتنافى مع معاداة البدع وأهلها بل الواجب جمع الاثنين معا وسوء الخلق والفظاظة من وسوسة الشيطان ونزغه حيث يظن المرء أنه يحارب البدع في الوقت الذي يضل في طريقة محاربتها.

وعليك أن تتدبر هاتين الآيتين من سورة الممتحنة لتعرف كيف تعامل الناس.

الآية الأولى قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ } [الممتحنة:١]

فهذه الأية تأمرنا ببغض كل من كفر بما جاءنا من الحق [والحق عندنا القرآن ورسول الله ﷺ] فمن كفر بهما أو بأحدهما فهو عدو لله وعدو لنا ونهانا الله عن أن نوده أو نواليه في نص صريح لا يحتمل تأويلا ولا احتمالا ومع ذلك اقرأ وتدبر الآية التالية قال: تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ{٨} ها هو الله يأمرنا بالبر والقسط والعدل مع من أمرنا بودهم وموالاتهم فهناك فرق بين المودة والبر فالمودة ممنوعة والبر فرض واجب. ثم اقرأ وتدبر الآية التي تليها قال: تعالى: { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الممتحنة:٩] ها هو الله عز وجل ينهانا عن صنف آخر من الناس فتدبر ما هو المعيار؟

والله الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

الخلاف شر كله

وهنا لابد من وقفه للتفصيل في مسألة الخلاف لأن هذا الأمر قد عمت به البلوى فالمخالفة نوعان مخالفة في أصول معلومة من الدين بالضرورة كالفرضيات التي لا يجهلها ولا يسع أحد من المسلمين أن يجهلها مثل فرضية النطق بالشهادتين لمن أراد أن يدخل الإسلام وفرضية الصلاة وأن الله واحد لا شريك له وأن الدين لله وأن محمداً هو رسول الله إلى الناس كافة كل هذه الفرضيات معلومات من الدين بالضرورة فلا يسع أحد إنكارها ومن أنكرها فهو كافر مرتد.

وهناك مخالفة في فقهيات أو إثبات صفات الله تعالى مع تأويلها وليس إنكارها والتأويل مانع من الكفر ولذلك قسم أهل العلم الخلاف إلى نوعين :

١- خلاف تضاد ٢- خلاف تنوع

فالأول هو الذي يكفر صاحبه والثاني هو الذي لا يكفر صاحبه ولكن يحمد أو يذم أيضاً على حسب طريقة الخلاف نفسها.

ولذلك كان حرياً بنا أن نفرق بين الفريقين لنعرف أن الخلاف من الأصل شر وهذا أصله أما ما استثنى من الاختلاف في تفسير الدليل أو تأويله أو صحته أو ضعفه فهذا لا شيء فيه ما لم يتدخل الهوى في نفي الشيء أو إثباته.

والخلاف الذي يسمى بخلاف التنوع له أسباب منها

١- عدم وصول الدليل إلى العالم لأنه لا يعقل أن يجمع العلم كله أحد من الناس.

٢- عدم العلم الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص

٣- النسيان والخطأ

٤- الألفاظ العربية التي تحمل أكثر من معنى.

واعلم أيها المسلم أن خطر البدعة يأتي من وجهين :

الوجه الأول أن البدعة إنما هي زيادة على ما شرع الله تعالى والله تعالى لا يحب ولا يجب أن يشاركه أحد في تشريعه ولذلك حسم الله عز وجل هذا الأمر في قوله { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } [المائدة:٣] والناظر إلى هذه الآية فليعلم أنها

أنزلت ورسول الله ﷺ حي يرزق لم يمت بعد فلا مجال إذاً لقبول أي زيادة أو تعديل في هيئة أو عدد ولذلك كان من صفات المؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } [الأحزاب:٢٣] الرجال الذين يحملون أمانة الدين من صفتهم أنهم لا يبدلون ولا يغيرون ولا يعدلون على أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ ولذلك قال: فيها النبي ﷺ فيما رواه البخاري بسنده عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قالت قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ * (رواه البخاري)

ويعني بكلمة أمرنا أي ديننا ويقول في الرواية الأخرى فيما رواه مسلم بسنده

عن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قال: سَأَلْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ فَأَوْصَى بِثُلُثِ كُلِّ مَسْكَنٍ مِنْهَا قال: يُجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي مَسْكَنٍ وَاحِدٍ ثُمَّ قال: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ * (رواه مسلم)

وعلى ذلك فالذي يقرأ هذا النص الآتي عن النبي ﷺ ويتدبر معناه جيداً يستطيع أن يصل إلى حقيقة الأمر يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجة فقال:

حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّوَّاقُ قالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ صَالِحٍ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قال: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ * (رواه ابن ماجه)

فكلمة سنتي وسنة الخلفاء الناظر إلى الكلمتين يفهم أن هذه سنة وهذه سنة يعني سنتان ولكن المتدبر يربط ما بعدهما بهما فيقول النبي ﷺ { عضوا عليها } يدلنا على أن سنة النبي أصل وسنة الخلفاء تابع لها فما وافق سنة النبي من فعل الصحابة كان علينا الالتزام به وما خالف سنة النبي من فعل الصحابة فهو غير ملزم بل وجب علينا تركه لأن سنة النبي سنة تشريعية وسنة الخلفاء سنة فعلية عملية فإذا خالف العملي التشريعي وجب الرجوع إلى التشريعي

ولا يقولن أحد كائنا من كان هل خالف الصحابة سنة النبي ﷺ أقول ارجع إلى الأصل الذي أصلناه في أول الكتاب عصمة المنهج فالمنهج معصوم أما الأشخاص فليسوا بمعصومين ومن خالف السنة من الصحابة فما خالف تعمدا ولكن لعدم علمه بها أو اجتهد فجانب الصواب أو تأول لفهم رآه ومع ذلك فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه فلنكن مثلهم ونسير على ضربهم نصل إلى ما وصلو إليه أ.هـ

ولذلك قال: ربنا سبحانه { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } [الشورى:٢١]

فكل من أراد أن يقدم طاعة لله لابدّ له من إذن من الله وهذا الإذن إما أن يكون صريحاً أو ضمنياً وهذا لا يعرف إلا من طريق أهل العلم قال: تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[النحل:٤٣]

ولذلك نأصل هنا في هذا المقام شروط العمل المقبول فنقول

لكل عمل يقصد به التقرب إلى الله شروط ثلاثة

١ - النية الخالصة ودليلها قول الله تعالى { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ{٢} أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر]

وقوله تعالى { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ{١١} وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ{١٢} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ{١٣} قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي{١٤} [الزمر]

وقوله تعالى { وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى{١٩} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى{٢٠} [الليل]

٢ - الإذن من الله بآية أو حديث ودليله قوله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } [الشورى:٢١] فما لم يأذن به الله يعد تشريعا من دون الله.

٣ - المتابعة في الكيفية هيئة وعددا قال: تعالى { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران:٣١] وقوله تعالى { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [الأحزاب:٣٦] وقوله تعالى { لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور:٦٣]

وقوله ﷺ فيما رواه البخاري بسنده

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قالت قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ * (رواه البخاري)

وقوله ﷺ فيما رواه البخاري بسنده أيضا

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قال: حَدَّثَنَا مَالِكٌ أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قال: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ * [رواه البخاري]

الشاهد من الحديث وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي

وقوله ﷺ فيما رواه مسلم بسنده

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يقول رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ * (رواه مسلم)

الشاهد من الحديث لتأخذوا مناسككم

أما الوجه الثاني لخطر البدعة فإنه يكمن في أن البدعة تمحو سنة فكلما زادت البدع قلت السنن ومحيت ولذلك لما غاب عن الناس العلم والسنة وانتشرت البدعة أصبحت السنن غريبة وكلما أراد من فيهم خير أن يعيدوا السنن البالية قامت قيامة الناس عليهم وأنكروا واستغربوا لأنهم لقلة ما عندهم من العلم بالسنة أصبحت السنة عندهم بدعة والبدعة سنة ولذلك قال: النبي ﷺ فيما رواه مسلم بسنده

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قالوا أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ قال: لَا مَا صَلَّوْا * (رواه مسلم)

الحديث ولهذا قال: حسان بن عطية وهو من علماء التابعين [ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة] رواه الدارمي.

ولقد جمع الشاطبي رحمه الله خطر البدعة على الفرد المبتدع فقال:

لا خفاء أن البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها لأن اتباعها خروج عن الصراط المستقيم ورمي في عمايه وبيان ذلك من جهة النظر والنقل الشرعي العام

أما النظر فمن وجوه

أحدها أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلى اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلاباً لها أو مفاسدها استدفاعاً لها

الثاني : أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان لأن الله تعالى قال: فيها { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } [المائدة:٣] وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة وغيره بسنده وهذ لفظه

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قال: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ * (رواه ابن ماجه)

وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة.

الثالث : إن المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرق خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك لأن الله يعلم ونحن لا نعلم وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ للعالمين فالمبتدع راد لهذا كله فإنه يزعم أن ثم طرقا آخر ليس ما حصره الشرع بمحصور ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم ونحن نعلم بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع وهذا إن كان مقصودا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع وإن كان غير مقصود فهو ضلال مبين.

روى أبو داود في سننه بسنده

كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ فَكَتَبَ أَمَّا بَعْدُ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنَ الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَبِيرِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَعْتَ مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شِعْرِهِمْ يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ وَلَئِنْ قُلْتُمْ لِمَ أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ كَذَا لِمَ قَالَ: كَذَا لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ وَمَا يُقْدَرْ يَكُنْ وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا *

(رواه أبو داود)

اقرأ ما تحته خط وتدبره جيدا ينفعك الله به بإذن الله

فعليك بلزوم السنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل ما كانوا فيه أحرى فلئن قلتم أمر حدث بعدهم ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ورغب بنفسه عنهم إنهم لهم السابقون فقد تكلموا منه بما

يكفي ووصفوا منه ما يشفي فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر لقد قصر عنهم آخرون فجفوا وطمح عنهم أقوام فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

الرابع : أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها وصار هو المنفرد بذلك لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون وإلا لو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع ولم يبق الخلاف بين الناس ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

فالذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيرا ومضاهيا للشارع حيث شرع مع الشارع وفتح بابا للاختلاف ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك إثما عظيما وضلالا مبينا.

الخامس : أن الابتداع إتباع للهوى لأن الفاعل إذا لم يكن متبعا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين ألا ترى قوله تعالى { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } [ص:٢٦] وقوله تعالى { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } [الكهف:٢٨] وقوله { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص:٥٠] [الشاطبي بتصرف ص٦١و٦٧]

كل بدعة كبيرة بدأت صغيرة

وهذا ما يدلل عليه ويبينه حديث النبي ﷺ الذي أخرجه الدارمي فقال:

أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قال: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قال: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقال: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ قُلْنَا لَا فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقال: لَهُ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا قال: فَمَا هُوَ فَقال: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ قال: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً

فَيَقُولُ هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً وَيَقُولُ سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً قال: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ قال: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ قال: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقال: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ قالوا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قال: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ قالوا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ قال: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقال: عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ * (رواه الدارمي)

والذي يتدبر مثل هذا النص يفهم أن الدين ليس بالاستحسان والرأي وأنه ليس معنى أن ترى الشيء حسن عقلا أن يكون ذلك مباح شرعا قال: تعالى { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } [فاطر:٨] وإذا كان نبينا ﷺ قد قال: الله تعالى له { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{٤٨} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ{٤٩} [الحاقة] فيا أيها العاقل تدبر هذه الألفاظ التي وردت في الآيات إنما هي سيف قاطع وقول جامع مانع لا يتطرف إليه احتمال ولا تأويل لأنه محكم لا تشابه فيه فإذا كان ذلك في حق النبي الكريم فهل يكون ذلك مباح في حق من بعده أيا كان ولكن الله وضع هذا الضابط ليعلمنا أنه لا يلتزم به إلا المتقون فقال: الله تعالى { وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } كما أن هذا المعنى أيضا يظهر من قول الله عز وجل { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ{٦٥} بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ{٦٦} [الزمر] فها هو القول لنبينا بل ولكل الأنبياء السابقين عليه { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } فهل يباح ذلك لمن بعدهم أو دونهم فتدبر أيها العاقل إن شيءت أن تصل إلى الحق والله المستعان.

فهما هم الذين وصفهم حديث أبي موسى كانوا في أول أمرهم يسبحون ويهللون ويكبرون وهذا ليس ممنوعا وإنما هو مشروع في أصله ولكن جدد هؤلاء هيئة لم تكن موجودة في عهد نبينا ﷺ فجلسوا في حلق ومع كل حلقة رجل يقول سبحوا مائة وكبروا مائة فقال: لهم عبد الله ابن مسعود وهو من هو إما أنكم مفتتحوا باب ضلالة أو إنكم على ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ فهذا هو الجواب والحجة على كل مبتدع في أمر من أمور الدين سواء كان في عدد أو هيئة أو زمان أو مكان.

ثم يبين لنا راوي الحديث أن هؤلاء الذين بدؤا الإبتداع في الدين بالتسبيح والتحميد والتهليل بهيئة مختلفة عن الهيئة الشرعية وصلوا ببدعتهم إلى أن قاتلوا أهل السنة يوم النهروان وهي الموقعة التي قاتل فيها علي رضي الله عنه الخوارج فانقلب الأمر من تسبيح إلى تذبيح وهكذا كل المبتدعة فالصوفية بدؤا بدعتهم بالصلاة على النبي وحب آل البيت حتى عبدوا غير الله عز وجل من أصحاب القبور وغير ذلك والمعتزلة بدؤا بدعتهم بإثبات دور العقل في الدين وتمجيده حتى وصلوا إلى إنكار النصوص الشرعية كالشفاعة وعذاب القبر.

وهذا دليل آخر عملى من سنة النبي ﷺ

روى البخاري في صحيحه بسنده

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ "، قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ : وَرَسُولِكَ، قَالَ: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ.

فانظر إلى النبي ﷺ وهو يرد البراء بن عازب عن كلمة ورسولك إلى ونبيك رغم أن كلمة رسولك أعلى من كلمة نبيك وهذه كلمة شرعية وهذه كلمة شرعية إلا أن النبي ﷺ لم يرض بتبديل كلمة مكان أخرى لا تغير في المعنى فهل كان النبي ﷺ متشددا أو مغاليا أو متطرفا أو متزمتا.

ماذا يقال: عن أهل زماننا الذين يرمون من يتمسك بالسنة قولا وعملا بأنه متشدد أو مغال أو متطرف أو متزمت. فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كيف يكون الثبات

الثبات معرفة حقيقة الإسلام ومفهوم السمع والطاعة لله ورسوله ثم للأئمة في طاعة الله ورسوله وذلك لقول ربنا سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } [النساء:٥٩]

مفهوم السمع والطاعة

ضل أقوام لعدم فهم مفهوم السمع والطاعة ومن هنا كان تفصيل القرآن الكريم لهذه المسألة فقال: الله عز وجل { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بَاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [البقرة/٢٨٥]

كانت الصفة اللازمة للمؤمن هي السمع والطاعة وقوله تعالى إِنَّمَا كَانَ قَولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بِيْنَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [النور/٥١]

مَاهُوَ الإِسْلامُ الْحَقِيقِيُّ

الإِسْلاَمُ مَعْنَاهُ أَن تُسَلِّمَ كُلَّ أَمْرٍ للهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ أَتَدْرِي لِمَاذِا ؟

لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ:

{ إِنَّمَا كَانَ قَولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بِيْنَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [النور/٥١]

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا } [الأحزاب/٣٦]

{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بَاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } [البقرة/٢٨٥]

فَالآيَاتُ كُثِيرَةٌ تَتَحَدَّثُ عِن الطَّاعَةِ بِأَنَّهَا مِن صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَحْدَهُم دُونَ غَيْرِهِمْ لأَنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ قالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَإِلَيْكَ الأَيَاتُ

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ} [البقرة/٩٣]

وَيَقُولُ تَعَالَى أَيْضاً :

{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَو أَنَّهُمْ قالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بَكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنَونَ إلا قَلِيلاً} [النساء/٤٦]

فَبِاللهِ عَلَيْكَ هَذِهِ الأَيَاتُ الَّتِي قَرَأْتَهَا لَو تَدَبَّرْتَ مَعْنَاهَا وَلَو لِلَحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ أَلاَ تَفْهَمُ مِنهَا أَنَّ بَنِي إِسَرَائِيلَ مَا كَفَرُوا بِاللهِ وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالْغَضَبَ إِلا لأَنَّهُم سَمِعُوا وَلَكِنَّهُمْ عَصَوا وَلِذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَذِّرًا إِيَّانَا مِن فِعْلِهِم :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوا عَنهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالوا سَمِعْنَا وَهُم لا يَسْمَعُونَ} [الأنفال/٢٠] وَيَقُولُ تَعَالَى {وَقالوا لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك/١٠]

أَهَمُّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ أَخَا الإِسْلاَمِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ - صِفَةُ الطَّاعَةِ – نُصْبَ عَيْنَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا حَقّاً كَمَا يُرِيدُ مِنكَ رَبُّكَ، وَلَكِنِّي إِذْ أَدْعُوكَ أُحَذِّرُكَ أَيْضًا مِمَّا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ ادَّعَوا الالْتِزَامَ وَالتَّدَيُّنَ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَن ذَلِكَ ! كَلاَمٌ غَرِيبٌ وَعَجِيبٌ وَلَكِن سَيَزُولُ عَجَبُكَ وَاسْتِغْرَابُكَ هَذَا سَرِيعًا لَو عَلِمْتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ تَتَوَفَّرُ فِيهِم صِفَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ! وَلَكِن لَيْسَ سَمْعُهُم وُطَاعَتُهم للهِ إِنَّمَا سَمْعُهُم وَطَاعَتُهُمْ لِشَخْصٍ بِعَيْنِهِ وَكَأَنَّهُ مَعْصُومٌ! مَعَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا دِينُ الإِسْلاَمِ كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُتْرَكُ إِلاَ الْمَعْصُومُ ﷺ فَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ الأَشْخَاصَ وَيُطِيعُونَهُمْ طَاعَةً عَمْيَاءَ] كُلُّ هَؤُلاَءِ ضَلُّوا الطَّرِيقَ لأَنَّهُم جَعَلُوا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِبَشَرٍ مِثْلَهُمْ فَكَانُوا كَالْعَابِدِينَ لَهُمْ [كَالصُّوفيَّةِ مَثَلاً] فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ يَشْتَرِطُونَ عَلَى تَلاَمِيذِهِمْ أَن لاَ يُعَارِضُوا قَوْلَ الشَّيْخِ وَأَنْ يُنَفِّذُوا كُلَّ كَلاَمِ الشَّيْخِ دُونَ مُجَادَلَةٍ بِحَجَّةِ أَنَّ الشَّيْخَ وَصَلَ وَلاَ يَسْتَطِيعُ التِّلْمِيذَ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْخُ إِلاَ بَعْدَ أَنْ يَصِلَ مِثْلَهُ، وَتَجِدُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ

اتخَذُوا مِنَ الْمَذَاهِبِ وَسِيلَةً إِلَى ضَيَاعِ أَحْكَامِ الدِّينِ بِالْخِلاَفَاتِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ أَوْ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَذَاهِبِ غَيْرِ الْمَشْهُورَةِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى أَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ الصَّحِيحَةِ ! وَهَذَا لاَ يَعِيبُ الأَئِمَّةَ الَّذِينَ هُمْ رَأْسُ أَهْلِ السُّنَةِ وَلَكِنَّ الْعَيْبَ فِيمَنْ أَخَذُوا كَلاَمَهُمْ دُونَ أَنْ يُرَاجِعُوا أَدِلَّتَهُمْ فَكُلٌ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ إِلاَ الرَّسُولَ ﷺ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فِي مَسْأَلَةٍ وَكَانَ الدَّلِيلُ فِيهَا مُخَالِفًا لأَحَدِ الْمَذَاهِبِ فَلاَ تَجِدُ إِلاَ الاعْتِرَاضَ مِنَ النَّاسِ بِحُجَةِ أَنَّ الإِمَامَ مَالِكٍ قَالَ: كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكٍ، أَوْ الإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ: كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، أَوْ الإِمَامَ الشَّافِعِي قَالَ: كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِي، أَوْ الإِمَامَ أَحْمَدَ قَالَ: كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَلَوْ أَنَّ إِمَامَ مَذْهَبِهِ كَانَ كَلاَمُهُ مُخَالِفًا لِلدَّلِيلِ لَوَجَدْتَهُ يَتَمَسَّكُ بِهِ أَيْضًا وَكَأَنَّ الاحْتِكَامَ أَصْبَحَ لِمَا يَقُولُهُ الْمَذْهَبُ لاَ لِمَا يَقُولُهُ اللهُ وُرَسُولُهُ، وَتَجِدُ النَّاسَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ عِبَارَةٌ يَقُولُونَهَا لا تَدْرِي أَيَضْحَكُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهَا أَوْ أَنَّهُمْ لا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ [كُلٌّ مِن رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسُ] ! وَنَحْنُ لا نُرِيدُ الالْتِمَاسَ وَلَكِنَّا نُرِيدُ الإتِبَاعَ وَالانْقِيَاد لِمَا قَالَ: اللهُ أَوْ قَالَ: رَسُولُهُ أَيًّا كَانَ القَائِلُ بِالدَّلِيلِ وَتَرَى النَّاسَ يَفْعَلُونَ بَعْضَ الأَشْيَاءِ المُحَرَمَةِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مُحَرَمَةٌ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ مَعَهُمْ قَالوا إِنَّ المُفْتِي أَفْتَى بِكَذَا وَكَأَنَّهُمْ يُحَمِّلُونَ المُفْتِي تَبِعَةَ كُلِّ شَيْءٍ هَلْ ظَنُوا أَنَّ المُفْتِي مَعْصُومٌ مِنَ الخَطَأ [وَالمَقْصُودُ بِالمُفْتِي هُنَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُفْتِي فِي دِينِ اللهِ] وَهَذَا الكَلاَمُ لَيْسَ خَاصًا بِأَحَدٍ بِعَيْنِهِ وَلَكِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ أَفْتَى فِي أُمُورِ الدِّينِ أَوْ عَالِمًا جَلَسَ لِيُعْطِيَ دَرْسًا أَوْ يَعِظُ النَّاسَ فَتَجِدُ كُلاً يَتَمَسَّكُ بِقَوْلِ العَالِمِ أَوْ الشَّيْخِ الَّذِي يَحْضُرُ لَهُ الدَّرْسَ مَعَ أَنَّ القَاعِدَةَ العَامَةَ كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُ إِلاَ الرَّسُولُ ﷺ. أَوْ مَا أَصَابَ الجَمَاعَاتِ وَالّتِي أَصْبَحَتْ كَثِيرَةَ العَدَدِ وَمِنْ كَثْرَتِهِمْ أَصْبَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ أَيُّ جَمَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ عَلَى الحَقِ؟ وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُ كُلَّ جَمَاعَةٍ تُقَدِّسُ أَمِيرَهَا الَّذِي بَايَعَتْهُ بِالْبَاطِلِ وَظَنُّوا أَنَّهُ صَاحِبُ الحَقِ فِي الأَمْرِ وَالنَّهيّ وَالْفُتْيَا دُونَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ ذَلِكَ إِلاَ إِذَا شَاهَدَ مَا يَحْدُثُ دَاخِلَ المُعْتَقَلاَتِ فَفِيهَا مِنْ كُلِّ الأَفْكَارِ الَّتِي تَخْطُرُ عَلَى البَالِ أَوْ لاَ تَخْطُرُ عَلَى البَالِ فَتَجِدُ هَذَا لاَ يُصَلِّي وَرَاءَ هَذَا وَهَذَا يُكَفِّرُ هَذَا وَهَذَا يَسُبُّ فِي هَذَا لأَنَّهُمْ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الأَصْلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ وَهُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَةُ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ الَّذِينَ زَكَّاهُمُ اللهُ فِي القُرْآنِ وَزَكَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَحَادِيثِهِ، وَلَكِنْ مَا أَدْعُوكَ لَهُ هُوَ السَّمْعُ

وَالطَّاعَةُ للهِ وَفَقَطْ وَالبَشَرُ كُلُّهُمْ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ عَدَا – الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ – طَاعَتُهُمْ تَأْتِي تَبَعًا لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ للهِ كُنَّا لَهُ مُطِيعِينَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا.

قَاعِدَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

وَعَلَيْكَ دَائِمًا بِالقَاعِدَةِ العَامَّةِ: كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إِلاَ الرَّسُولَ ﷺ وَمِنْ هَذَا الَّذِي سَبَقَ نَفْهَمُ أَنَّ الأَمْرَ يَسِيرٌ وَلَيْسَ فِيهِ عُسْرٌ وَلاَ خِلاَف. وَلَكِنَّ العُسْرَ يَأْتِي مِنْ تَدَخُّلِ الإِنْسَانِ فِي التَّعْدِيلِ عَلَى أَمْرِ اللهِ وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ وَالأَخْذِ بِظَنِّهِ هُنَا يَأْتِي الخِلاَفُ لأَنَّ الأَهْوَاءَ تَخْتَلِفُ وَالْعُقُولَ قَاصِرَةٌ عَلَى أَنْ تَفْهَمَ الحِكْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالظُّنُونَ لاَ تُؤَدِي إِلاَ إِلَى الخِلاَفِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَعْرِفُ أَنَّ الزَّيْغَ وَالضَّلاَلَ لاَ يَأْتِيَانِ إِلاَ مِنْ خِلاَلِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَإِلَيْكَ أَيْضًا الدَّلِيل مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى عَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى { اتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة/ ٣١]

وَلاَ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ الآيَةَ تَذُمُّ النَّصَارَى لأَنَّهُمْ قَالوا المَسِيح ابن اللهِ أَوْ هُوَ اللهُ وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنِي أَقُولُ لَكَ تَدَبَّرْ قَلِيلاً فَالآيَةُ تَقُولُ اتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ أَيْ عُلَمَاءَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَيْ عُبَّادَهُمْ أَيْ خِيَار النَّاسِ فِيهِمْ مِنْ عُلَمَاءَ وَعُبَّادٍ اتَّخَذُوهُمْ آلِهَةً لأَنَهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ لَهُمْ وَيُطِيعُون طَاعَةً عَمْيَاءَ دُونَ النَّظَرِ إِلَى أَدِلَّةِ الكِتَابِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الإِنْجِيلُ وَلَمْ يَتَّبِعُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ اللهُ مُشْرِكِينَ بِنَص الآيَةِ وَأَيْضًا لأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ أَتَدْرُونَ لِمَاذَا؟ لأَنَهُمْ ظَلُّوا يَمْدَحُونَهُ مَدْحًا مُسْتَمِرًّا حَتَى أَخْرَجُوهُ عَنْ كَوْنِهِ بَشَرًا، وَلِذَلِكَ نَرى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَوَانَ فِي أَنْ يُحَذِّرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَقَعُوا فِي هَذِهِ الشِّبَاكِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا اليَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَال: ﷺ { لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ } [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ ﷺ وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ/ ٧٣٦٣].

إِذَنْ ضَلَّ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالغَضَبَ مِنَ اللهِ لأَنَّهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا لِغَيْرِ اللهِ [فَتَنَبَّهْ] مِنْ أَجلِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ سَامِعًا مُطِيعًا للهِ وَرَسُولِهِ وَفَقَطْ وَالْعُلَمَاءُ وَالأُمَرَاءُ مُنَفِّذُونَ أَوْ –إِنْ شيءتَ قُلْ – وَسِيلَةٌ لِفَهْمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَفَقَطْ وَلِذَلِكَ مَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الاجْتِهَادِ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ فُلاَنٌ يَجْتَهِدُ لِمُجَرَدِ أَنَّهُ جَلَسَ يَتَكَلَّمُ كَلاَمًا مَعْسُولاً أَوْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ اللَّبَاقَةِ فِي الكَلاَمِ مَعَ أَنَّهُ لاَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ، وَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ

الأَحْكَامِ وَفَضَائِلِ الأَعْمَالِ وَالأَمْرُ عِنْدَهُ سَوَاءٌ وَفِي أُمُورِ دُنْيَاهُ يُدَقِّقُ وَيَسْأَلُ وَيَتَمَحَّصُ وَيَسْتَعِينُ بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالرَّدِيءِ وَالْغَالِي وَالرَّخِيصِ وَالْمَكْسَبِ وَالْخُسَارَةِ ! وَهَذَا مَفْهُومٌ خَاطِئٌ وَلَكِنَّ الْمَفْهُومَ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَةِ مِن أَنَّ الاجْتِهَادَ هُوَ تَحْصِيلُ الأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ مِن كِتَابِ اللهِ وَأَحَادِيثِ رِسُولِ اللهِ ﷺ بِفَهْمِ الْقُرُونِ الثَّلاَثَةِ الأُولَى الْمُزَكَّاةِ مِن قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدِمَا قال: فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بسنده عن
عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ﷺ يَقُولُ قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ { خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم } [الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ ٣٦٥]. صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَكُونُ الأَمْرُ عَلَى هَذَا اتِّفَاقًا فِي الطَّرِيقَةِ وَالأُسْلُوبِ فَيَكْثُرَ الاتِّفَاقُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَحْكَامِ وَالْمَسَائِلِ، أَمَّا مَا يَحْدُثُ مِن النَّاسِ أَن يَشْرُدَ كُلُّ إِنسَانٍ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ فَهَذَا يَأْخُذُ الْعَقْلَ سَبِيلاً، وَهَذَا يَأْخُذُ الْكِتَابَ وَحْدَهُ سَبِيلاً [كَهَؤُلاءِ الَّذِينَ لا يَعْتَرِفُونَ بِالسُّنَةِ وَيُسَمُّونَ أَنفُسَهُم بِالْقُرْآنِيِّينَ وَهُم لا يَعْرِفُونَ عَنِ الْقُرْآنِ شَيْئًا] وَهَذَا يَأْخُذُ الْوَاقِعَ وَحْدَهُ سَبِيلاً، وَهَذَا يَأْخُذُ مِن حَالِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ سَبِيلاً، فَلاَ بُدَّ وَأَن يَقَعَ الاخْتِلاَفُ وَالتَّمَرُّدُ عَلَى أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَيَحْصُلُ الشِّقَاقُ وَالْفُرْقَةُ كَمَا هُوَ وَاقِعُ الْمُسْلِمِينَ الآنَ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَن تَجْعَلَ وَسِيلَتَكَ للهِ إلا كَلاَمَ اللهِ وَكَلامَ رَسُولِهِ ﷺ.

لِمَاذَا ذَمَّ اللَّهُ النَّصَارَى

وَإِلَيكَ مِثَالاً لِمَا حَدَثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّصَارَى يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَولِ اللهِ تَعَالَى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } يَقُولُ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ مِن طُرُقٍ عَن عَدِيِ بِنِ حَاتِمٍ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَّ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأُسِرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِن قَوْمِهِ ثُمَّ مَنَّ رَسُولُ اللهِ عَلَى أُخْتِهِ وَأَعْطَاهَا فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا فَرَغَّبَتْهُ فِي الإِسْلاَمِ وَفِي الْقُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَقَدَّمَ عَدِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيِّءٍ [وَأَبُوهُ حَاتِمُ الطَّائِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْكَرَمِ] فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي عُنُقِ عَدِيٍ صَلِيبٌ مِن فِضَّةٍ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةُ {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ } قال: فَقُلْتُ إِنَّهُم لَمْ يَعْبُدُوهُمْ فَقال: رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلَى إِنَّهُم حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلاَلَ وَحَلَّلُوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم فَقال: رَسُولُ اللهِ ﷺ { يَا عَدِيُّ مَا تَقُولُ ؟ أَيَضُرُّكَ أَن يُقال: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللهِ ؟ مَا يَضُرُّكَ أَيَضُرُّكَ أَن يُقال: لا إِلَهَ إلا اللهُ فَهَلْ تَعْلَمُ إِلَهًا

غَيْرَ اللهِ ؟ ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ ثُمَّ قال: { إِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمِ وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ }.

وَقال: حُذَيْفَةُ بِنُ الْيَمَانِ وَعَبْدُ اللهِ بِنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرَهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآَيَةِ إِنَّهُم اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا وَقال: السُدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مَعْنَى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ } اسْتَنْصَحُوا الرِّجَالَ وَنَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَلِهَذَا قال: اللهُ تَعَالَى { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } أَي الَّذِي إِذَا حَرَّمَ الشَّيْءَ عَلَيْهِم فَهُوَ الْحَرَامُ، وَمَا أَحَلَّه لَهُمْ فَهُوَ الْحَلاَلُ، وَمَا شَرَعَهُ اتُّبِعَ، وَمَا حَكَمَ بِهِ نَفَذَ إِلَى هُنَا انتهى كَلاَمُ ابنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الآَيَةِ وَمِن خِلاَلِ الْحَدِيثِ وتَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ لِلآَيَةِ نَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرْسِي لَنَا الْقَاعِدَةَ وَيُعَلِّمُنَا أَنَّ الْعِبَادَةَ هِي الطَّاعَةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ لِعَدِيِ بِنِ حَاتِمٍ لَمَّا قال: لَهُ إِنَّهُم لَمْ يَعْبُدُوهُم قال: بَلَى إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلاَلَ وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُم فَذَلِكَ عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم وَمِن ذَلِكَ نَفْهَمُ أَنَّ الطَّاعَةَ هِيَ الْعِبَادَةُ وَعِبَادَةُ اللهِ تَعْنِي طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَلَو تَدَبَّرْتَ الآَيَاتِ الْكَرِيمَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَقِّ خَيْرِ الْبَشَرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَعَلِمْتَ أَنَّ الاتِّبَاعَ هُوَ سُنَّةُ الأَنْبِياءِ وَسَبِيلُهُمْ وَإِلَيكَ الآَيَاتُ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى { اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام:١٠٦]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ } [الزخرف: ٤٣،٤٤]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى { قُلْ لا أَقُولُ لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ } [الأنعام:٥٠]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآَيَةٍ قالوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِن أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَومٍ يُؤْمِنَونَ } [الأعراف:٢٠٣]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم وَقُلْ آَمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ } [الشورى:١٥]

أَلَيْسَتْ هَذِهِ الآَيَاتُ كَافِيَةً أَن يكُونَ الْمِيزَانُ هُوَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَكَلاَمَ رَسُولِهِ ﷺ وتَنَبَهَ أَنَّ الآَيَاتِ كَانَتْ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ يَعْنِي أَنَّ الاتِّبَاعَ لأَوَامِرِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ صِفَةٌ مِن الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَن تَكُونَ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ.

مَاهِيَ وَسِيلَةُ الاتِّفَاق؟

وَمَعَ ذَلِكَ أَخَا الإِسْلاَمِ أُذَكِّرُكَ بِأَنَّنَا اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّ مَن سَمِعَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَأَطَاعَ لَهُ فَلَن يَخْتَلِفَ مَعَ غَيْرِهِ مِمَّنْ اتَّبَعُوا نَفْسَ الطَّرِيقِ لأَنَّ الْكُلَّ يَأْخُذُ مِن مَعِينٍ وَاحِدٍ وَلِذَلِكَ نَرَى نَبِيَّنَا ﷺ كَانَ حَرِيصًا أَشَدَ الْحِرْصِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْجِيلِ الأَوَلِ الَّذِي حَمَلَ رَايَةَ الإِسْلاَمِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ بِأَسْرِهَا عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الْعَظِيمِ وَهُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَفَقَط وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ كَانَ الاحْتِكَامُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَيُفْصَلُ فِي الأَمْرِ دُونَ نِزَاعٍ وَلِذَلِكَ نَرَى الْقُرْآنَ الكَرِيمَ يَضَعُ هَذَا الْمَبْدَأَ أَمَامَ الْمُسْلِمِ لِيَكُونَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فَيَقُولُ اللهَ تَعَالَى {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء/٥٩]

وَيَقُولُ تَعَالَى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء/٦٥]

وَيَقُولُ تَعَالَى {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ} [الحج/٦٧]

الاخْتِلاَفُ شَرٌّ

إِذَنْ النِّزَاعُ وَالاخْتِلاَفُ يَكُونُ شَرًّا إِذَا لَمْ نَحْتَكِمْ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ. لِمَاذَا ؟ لأَنَّنَا خَلْقُ اللهِ وَالدِّينَ دِينُ اللهِ وَالرَّسُولَ رَسُولُ اللهِ فَلاَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ لِغَيْرِ اللهِ لِنَحْتَكِمَ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ سَأَذْكُرُ لَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ النِّزَاعَ مِنْ صِفَاتِ غَيْرِ الْمُنْصِفِينَ وَأَنَّهُ مَذْمُومٌ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [ال عمران/١٥٢]

أَرَأَيْتَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَنَّ النِّزَاعَ كَانَ سَبَبًا فِي الْمَعْصِيَةِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لأَصَابَهُمْ شَرٌّ عَظِيمٌ لأَنَّ اللهَ ذَمَّ النِّزَاعَ الَّذِى وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَلَكِنَّهُ عَفَا عَنْهُمْ وَهُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ فِي أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يُعَذِّبَ وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ نَرَى فِي الأُمَّةِ مَنْ يَخْرُجُ فَيَقُولُ هَذِهِ القَوْلَةَ الشَّنْيعَةَ الَّتِي لاَ تَخْرُجُ إِلاَ مِنْ إِنْسَانٍ جَهِلَ دِينَ

اللهِ بِالْمَرَةِ وَهَذِهِ الْقَوْلَةُ هِيَ [اخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ – أَوْ اخْتِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ – أَوْ اخْتِلاَفُ الأَئِمَّةِ رَحْمَةٌ] مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الاخْتِلاَفَ فِي القُرْآنِ فَكَيْفَ يَكُونُ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً وَهُوَ يُعَارِضُ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ القُرْآنِ وَإِلَيْكَ الآيَاتِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود/١١٨.١١٩]

أَلاَ تَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ أَخِي الْمُسْلِم أَنَّ الاخْتِلاَفَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًا أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ {وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } أَيْ أَنَّ الْمَرْحُومِينَ مِنْ قِبَلِ اللهِ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَخْتَلِفُونَ فَكَيْفَ يَكُونُ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً وَتَرَى بَعْضَهُمْ بِجَهْلِهِ يُنْسِبُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺحَدِيثًا وَهُوَ قَوْلُهُ { اخْتِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ } وَهَذَا بَاطِلٌ لاَ تَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَإِذَا كَانَ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً فَكَيْفَ يَكُونُ الاتِفَاقُ وَمَاذَا يَقُولُ هَؤُلاَءِ عَنْ الاتِّفَاقِ وَلِذَلِكَ يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَمْرِو السُّلَمِيّ وَحُجْرِ بنِ حُجْرٍ قال:اَ أَتَيْنَا العِرْبَاضَ بنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ } فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ فَقَال: العِرْبَاضُ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَال: قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَال: {أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ } [أبو داود/ ٤٦٠٧]

وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْنَا أَنَّ الاخْتِلاَفَ شَرٌّ وَالْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي أَنْ نَتَّفِقَ عَلَى السَّبِيلِ وَالطَّرِيقِ الَّذِي نَتَّبِعُهُ فَيَسْتَرِيحَ الْجَمِيعُ وَيَنْتَهِي الشِّقَاقُ وَالنِّزَاعُ وَالْفُرْقَةُ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا } [ال عمران/١٠٣]

وَكَمَا قَال: تَعَالَى { وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [ال عمران: ١٠٤،١٠٥]

أَلاَ نَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ النَّجَاةَ فِي التَّمَسُكِ بِمَا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ أَنْ نُنَاقِشَ فِيهِ أَوْ نُعَدِّلَ عَلَيْهِ أَوْ نَظُنَّ أَنَّ مَصْلَحَةَ النَّاسِ فِي غَيْرِ أَمْرِهِ.

إِذَنْ الآنَ يَجِبُ أَنْ نَتَّفِقَ عَلَى أَنَّ الإِسْلاَمَ لَيْسَ كَلِمَةً تُقَال: بِاللِّسَانِ أَوْ تُكْتَبُ فِي وَرَقَةٍ أَوْ شِعَارًا بَيْنَ النَّاسِ أَوْ اسْمًا يُطْلَقُ عَلَى شَخْصٍ مَا وَلَكِنَّ الإِسْلاَمَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ التَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَمَعَ ذَلِكَ تَعَالَ بِنَا نُطَوِّفُ بَيْنَ كَلاَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِنَعرِفَ مَدَى مُطَابَقَةِ وَاقِعِ الْمُسْلِمِ لِمَا نَطَقَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَوَى ابنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال:قَال: رَسُولُ اللهِ ﷺ { مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [ابن ماجة: ١]

وَرَوَى ابنُ مَاجَةَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَال: رَسُولُ اللهِ ﷺ { ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنبِيَّائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا } [ابن ماجة: ٢]

وَقَال: ﷺ { مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ }

وَرَوَى أَيْضًا قَال: { كَانَ ابنُ عُمَرَ إِذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ يَعْدُهُ وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَهُ }

وَمَعَ ذَلِكَ تَرَى أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْحَقِّ فِئَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ. وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَ الظَّنَ وَإِنْ هُمْ إِلاَ يَخْرُصُونَ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [الأنعام ١١٥:١١٧]

الدِّينُ يُسْرٌ

أَرَأَيْتَ أَخِي الْمُسْلِم أَنَّ الإِسْلاَمَ سَمْحٌ يَسِيرٌ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْدَمَا يُغَيِّرُونَ أَحْكَامَ اللهِ تَعَالَى وَيُطَوِّعُونَهَا تَبَعًا لأَهْوَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ [إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ] – كَلِمَةَ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ وَكَأَنَّ مَاتَرْتَضِيهِ عُقُولُهُمْ هُوَ الَّذِي فِيهِ اليُسْرُ وَأَمَّا أَمْرُ اللهِ تَعَالَى

أَصْبَحَ لاَيُنَاسِبُهُمْ وَفِيهِ العُسْرُ وَلَكِنَّ الإِسْلاَمَ فِي حَقِيقَتِهِ هُوَ اليُسْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ عُسْرٌ وَأَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ إِذَا نُفِّذَتْ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّ هَذَا هُوَ اليُسْرُ كُلُّهُ الَّذِي لاَيُسْرَ بَعْدَهُ وَلاَمَصْلَحَةَ للنَّاسِ فِي غَيْرِهِ وَلَوْ تَدَبَّرْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا } وَقَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ الْحَقُّ فِي أَن يَخْتَارَ بَيْنَ قَوْلِ اللهِ أَوْقَوْلِ رَسُولِهِ وَقَوْلِ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوْ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَبَدًا كَمَا نَطَقَتْ آيَةُ سُورَةِ الأَحْزَابِ وَأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي لَمْ يُنَفَّذْ كَمَا أَمَرَ اللهُ بِهَ أَوْ أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ بَاطِلٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ كَمَا نَطَقَتْ بِهِ آيَةُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ

مفهوم الأمراء والعلماء

لا بد وأن نفهم أن الأمير ما أمره الشرع والعالم ما اعترف به الشرع عالما ولكن عدم الفهم لهذه المصطلحات يؤدي إلى شتات كبير بل ووبال عظيم وذلك لأن الأمراء إذا تعددوا كان كل أمير له خطه الذي يسير فيه فيترتب على ذلك الفرقة والشتات بل والتضارب والخلاف بل العنف والقتال وأمامنا أفغانستان مثال لذلك لقد تعدد فيها الأمراء اتحدوا لقتال عدوهم وعدو دينهم ولما نصرهم الله تعالى على عدوهم تقاتلوا فيما بينهم وتناحروا على من يكون الأمير فوقعت الفتنة وازداد الخلاف وأصبح المثل يضرب بهم على أناس يريدون الحكم وليس هدفهم التحكيم.

والعالم من جعله الشرع عالما لعلمه بقواعد الشرع وأصوله وكان له في كل قول سلف من أهل السنة لا من أهل البدع والأهواء من الفرق الضالة ولذلك كان العلماء لهم وزنهم في دين الإسلام حيث إنهم الجهاز المناعي لهذه الأمة من الأمراض الفتاكة التي تفتك بجسدها ولكن مع ذلك كله كان الواجب أن يكون العلماء مجرد وسيلة لتوصيل الحق وليسو معبودين من دون الله عز وجل كما سبق بيانه ولا بد من العلم أنه إذا وقع الخلاف بين المسلمين في أي عصر من العصور منذ عصر الصحابة إلى عصرنا هذا وجب عند الاختلاف أن يرد الأمر لله وللرسول فلقد قال: الله عز وجل { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء/٥٩] ومعنى الرد إلى الله سبحانه وتعالى أي الرد إلى كتابه ومعنى الرد إلى الرسول ﷺ أي الرد إلى سنته بعد وفاته وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين ممن يعتد

بهم في شريعة الله عز وجل فإذا قال: مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال: آخر هذا حرام فليس أحدهما أولى بالصواب من صاحبه إلا بموافقته للدليل والبرهان من الشرع ولذلك كان الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال وذلك لأن العلماء كل منهم فرد من أفراد عباد الله تعالى مكلف بما كلف به غيره بل زادت تكاليفه عن غيره بالبيان للناس وكلما كان العالم علمه أكثر وشهرته أوسع كان تكليفه أكبر فقد قال: الله عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينُ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَهُ لِلْناَّسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَي مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاه لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعُنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ فالعالم تزداد تكاليفه ويشتد حسابه بين عباد الله عز وجل بما آتاه الله من العلم الذي أمر بتبليغه بالحق

وبالجملة فهذا أمر معلوم أن العلم وكثرته وبلوغ حامله إلى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية والقاعدة في هذا كما قلنا كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ أو كما قال: الإمام مالك فليس لعالم وإن بلغ من العلم إلى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون قدره ومرتبته ومنزلته بحيث يقتدى به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه من الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجرا ولا يجوز لغيره أن يتابعه عليه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد فائدة

مفهوم النصر والتمكين

إن مفهوم النصر والتمكين يحتاج منا إلى مراعاة القواعد الأصولية للشرع والعلم التام واليقين الجازم بأن الله بيده مقال:يد الأمور يصرفها كيف يشاء وأن الإنسان ليس له من الأمر شيء ولكن ما عليه إلا أن يستخدم الأسباب التي خلقها الله سبحانه وتعالى وأعطاها له فيكون الهدف الحقيقي من سعيه مرضاة الله عز وجل ولذلك كان هذا المفهوم النصر والتمكين الذي أخبر الله عز وجل به في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئَا ﴾ [سورة النور]

فالنصر والتمكين متحقق في هذه الآية فالذي يريد أن ينصره الله فليعلم علم اليقين أن النصر من عند الله عز وجل قال: الله تعالى ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ ولكن لابد مع هذا أن يعلم علما يقينيا معنى قول الله عز وجل ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾ وأيضا قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم ﴾ فها هي الأولى وما النصر إلا من عند الله والسبب الأول والأخير الذي عليه تحقق النصر من عند الله عز وجل ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

فما هو توجيه المعنى لنصر الله ؟ وهل الله يحتاج من الناس إلى النصر ؟

فليس أمام كل مؤمن إلا أن يقول ﴿ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ولكن معنى النصر لله هنا أن نقوم بما علينا من الواجب لله عز وجل فإنه العزيز الغني الحميد ولكن ننصر شرع الله لتكون النتيجة أن يعزنا الله عز وجل ولو نظرنا إلى نعم الله التي بين أيدينا لوجدناها كلها من هذا القبيل فالله يعطيك النعمة من عنده ويعطيك الثواب والجزاء على إنفاقها في وجهها الصحيح فيعطيك الوقت والعقل والعافية لتصلي فإن صليت كما أمرك الله كان ذلك راجع لك بالحسنات التي بها ينجيك الله من النار ألا ترى أنك بهذا قد نصرت الله وكان الخير عائدا إليك أنت مع أن الله غني عن صلاتك وصلاة غيرك عزيز من غير عبادتك له وقوي ليس بحاجة إلى أحد بل تستمد العزة والقوة منه هو سبحانه وتعالى فإن فعلت ذلك كانت النتيجة المترتبة على نصر الله قوله تعالى ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ فيا لها من عجيبة من عجائب قدرة الله عز وجل أن يكون هو المعطي أولا وآخرا فذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم وثم بيان لذلك في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قال: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ

قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ قَالَ: سَعِيدٌ كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ

وأخيرا

اعلم أن هناك أحكاما فقهية الأصل أنها تذكر في كتب الفقه ولكن أهل السنة يذكرونها في كتب العقائد لما أنكرها أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام وكلما ظهر أمر عمت به البلوى في ديار المسلمين ينقله العلماء إلى كتب العقائد.

ومن هذه الأمور

اعتقاد أن الرجم حق والمسح على الخفين من سنة الإسلام وتقصير الصلاة في السفر سنة والصوم في السفر من شاء صام ومن شاء أفطر.

وقد قال: النبي ﷺ فيما رواه البخاري من قول عمر في الرجم فقال: البخاري:

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ : قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا، فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ " [البخاري: ٦٨٣٠، مسلم: ١٦٩٢]

وفي لفظ ابن ماجة قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ " لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ

اللَّهِ أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوِ اعْتِرَافٌ وَقَدْ قَرَأْتُهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ " [ابن ماجة والدارمي]

فكانت هذه الآية مما نسخ تلاوة ولكنها لم تنسخ حكما ومن هذا المنطلق قال: عمر بن الخطاب ما قال: فلما أنكرها قوم نقلها العلماء إلى كتب العقائد.

ونقل ابن المنذر الإجماع على أن الحر إذا تزوج حرة تزويجا صحيحا ووطئها في الفرج أنه محصن وهي محصنة يجب الرجم على من زنى منهما.

<u>وأيضا مسألة المسح على الخفين</u> لما أنكرها الشيعة ذكروها في كتب العقائد وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما قال: البخاري رحمه الله:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ الْحَرَّانِيُّ، قال: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، فَاتَّبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ.

قال: ابن المنذر رحمه الله (وأجمعوا على أن كل من أكمل طهارته ثم لبس الخفين وأحدث أن له أن يمسح عليهما).

<u>وقصر الصلاة في السفر</u>

حيث قال: الله تعالى { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً } [النساء: ١٠١]

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قال: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قالت: " فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ. [البخاري: ٣٤٠، مسلم: ١١١١]

<u>والصوم في السفر</u>

حيث روى البخاري ومسلم فقال: البخاري:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو الأَسْلَمِيَّ، قال: لِلنَّبِيِّ ﷺ: " أَأَصُومُ فِي السَّفَرِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ؟ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ " [البخاري: ١٩٤٣، ١١٢٢]

الأزمنه لا تخلوا من دين قائم ورجال يحملون أمانته

واعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة يهديهم الله ويهدي بهم (غيرهم) ويحيي بهم السنن وهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف فقال: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة:٢١٣]

تأمل في هذه الآية وتدبر معناها ومراحلها تعرف ما نحن فيه اليوم

وقد قال الله تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{٧} يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } { الصف: ٨،٧ } وكل رجائي أن نتدبر هذه الألفاظ { افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ } أي تبين له عقائد وشرائع الإسلام أو أنه ينتسب إلى الإسلام أي هو من المسلمين ظاهراً ثم وصف الله تعالى هذا الصف بالظالمين فقال: { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } واعجبا ممن يقرأ هذه الآية وتمر عليه مر الكرام وهو لا يربطها بما بعدها قال: تعالى بعدها { يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } فالهدف المنشود من وراء إظهار الإسلام دون أن يكون له ارتباط بالباطن إنما هو إطفاء نور الله عز وجل وهل هذا يمكن الله منه أحد؟ الجواب لا يتمكن منه أحد ودليل ذلك ما رواه مسلم في صحيحه فقال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قالوا : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ "، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ وَهُمْ كَذَلِكَ.

وأيضاً أتم الله الآية بقوله { وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة منهجا وسلوكا وإن كان قليل العلم ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب هوى أو جاهل وإن كان كثير الرواية.

ومن قال في دين الله برأيه وقياسه فقد قال على الله ما لا يعلم وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة : فقد قال على الله ما لا يعلم ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين والحق ما جاء من عند الله عز وجل والسنة ما سنه رسول الله ﷺ والجماعة ما أجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبى بكر وعمر (وعثمان) ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه الجماعة غلب على أهل البدع كلهم واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله لأن النبي ﷺ قال فيما رواه ابن ماجة من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً "، وفي الباب عن سَعْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قال: أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (رواه الترمذي)

ثم بين لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال: (ما أنا عليه وأصحابي) فهذا هو الشفاء والبيان الأمر الواضح والصراط المستقيم فعليك به

وختاما أقول مستشهدا ربي سبحانه ما كان من حق في كلامي هذا فإني أدين لله به حتى ألقاه وما كان فيه من خطأ فإني راجع عنه في حياتي وبعد مماتي وما من أحد من الناس أنفع لي في الدنيا مخففا عني في قبري وبين يدي ربي من رجل يبصرني بخطئي فأصلحه والله المستعان

والحمد لله رب العالمين

كتبه / أبو محمد

عبد الله بن عبد الحليم بن محمد السيسي